

# **الشباب وجماعات العنف "رؤى شبابية"**

الشباب وجماعات العنف.. رؤى شبابية  
أوراق مؤتمر بيروت 22-23 ديسمبر/كانون أول 2015



الباحثون حسب ترتيب الدراسات بالكتاب:

شريف محي	علي المعموري	عمرو الشويكي
سحر مندور	أيمن عبد المعطي	محمد العجاتي
عمر فسطاوي	جنى نخال	محمد الصحيحي الخلفاوي
كريستينا كازابون	ربي الحلو	سيزر أوزكان
لييب شائف محمد اسماعيل	حبيبة محسن	حازم فؤاد
بليغ المخلافي	جيروم دريفون	ياسين بزاز
عمر سمير خلف	بلال الأمين	جورج فهمي
فؤاد غربالي	سميحة الحامدي	آنا فليتش
سارة سوجار	مافي ماهر	رابحة سيف علام

مراجعة: أيمن عبد المعطي

ترجمة: سونيا فريد

الناشران: منتدى البعثات العربية للدراسات، ومنظمة روزا لوكسمبورغ

طبعة أولى 2016

رقم الإيداع: 2016/7627

الترقيم الدولي: 978-977-751-223-7

نشر وتوزيع

+201222235071

[rwafead@gmail.com](mailto:rwafead@gmail.com)

[www.rwafead.com](http://www.rwafead.com)



محتوى هذا الإصدار هو مسئولية المؤلف ولا يعبر بالضرورة عن رأي منتدى البعثات العربية للدراسات أو منظمة روزا لوكسمبورغ

# الشباب وجماعات العنف

"رؤى شبابية"



## تعريف بالباحثين

**عمرو الشوبكي**، خبير سياسي وبرلماني سابق، ورئيس لجنة "نظام الحكم" في لجنة الـ50 لصياغة مسودة الدستور المصري 2013. له العديد من المقالات في الجرائد العربية والفرنسية، بالإضافة لعمود ثابت ومقال أسبوعي في جريدة "المصري اليوم" المصرية.

**محمد العجاتي**، المدير التنفيذي لمنتدى البدائل العربي للدراسات. حاصل على الماجستير في التنمية السياسية من جامعة القاهرة. باحث متخصص في مجال المجتمع المدني، والحركات الاجتماعية والإصلاح في المنطقة العربية. له دراسات منشورة في عدد من الكتب المحررة والدوريات العلمية. كاتب بجريدة "السفير" اللبنانية والشروق المصرية. من أهم الكتب التي شارك فيها "الحركات الاحتجاجية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية- 2011"، و"الثقافة العربية أسئلة التطور والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية- 2003"، و"الحركات الاحتجاجية الجديدة في مصر... السياسة في الشارع، مركز دراسات الأهرام- 2010". وصدر له حديثا كتاب "كيف صوت المصريون". له خبرة في مجال إدارة منظمات المجتمع المدني والتخطيط، بالإضافة إلى قضايا التنمية، والتدريب ورفع القدرات، وتنسيق المشروعات، والمؤتمرات، وورش العمل، وفرق البحث.

**محمد الصحبي الخلفاوي**، مساعد للتعليم العالي بكلية العلوم القانونية والاجتماعية والتصرف بجنوبية - تونس. باحث بالمرصد التونسي للانتقال الديمقراطي. عضو وحدة البحث عن "الدين والدولة والمجتمع" بكلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس. مسجل بالسنة الرابعة من الدكتوراه بكلية الحقوق و العلوم السياسية بتونس.

**سيرز أوزكان**، أستاذ مساعد، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والإدارة والعلوم الاجتماعية، جامعة حسن كاليونجو، تركيا، حصل على درجة البكالوريوس في مجال العلاقات الدولية في جامعة أولوداج، بورصة، تركيا، 2007. ودرجة الماجستير في مجال العلوم السياسية والدفاع والأمن، في الجامعة الكاثوليكية في البرتغال، لشبونة، البرتغال، عام 2010. وفي وقت لاحق، الدكتوراه في مجال العلوم السياسية، في جامعة بيليفيلد الألمانية، عام 2014.

**حازم فؤاد**، له العديد من الدراسات حول الشرق الأدنى والأوسط في بوخوم- ألمانيا، القاهرة- مصر، ولندن- المملكة المتحدة. يعمل حاليا كمحلل لعضو مجلس الشيوخ الداخلية في برين- ألمانيا. بجانب عمله يقوم بكتابة رسالة الدكتوراه حول "النقد الإسلامي المعاصر للسلفية"

في جامعة كييل - ألمانيا. ومحاضر حول مواضيع التطرف والراдикаلية، والإيديولوجيات المتطرفة، الإسلام في ألمانيا والتنمية السياسية في مصر.

**ياسين بزاز**، المنسق العام لمعهد بروميشيوس للديمقراطية وحقوق الإنسان بالمغرب، طالب باحث بسلك الدكتوراه بجامعة محمد الخامس علم الاجتماع السياسي، حاصل على ماجستير في القانون الدستوري وعلم السياسة جامعة محمد الخامس 2013، حاصل على الإجازة في القانون العام جامعة محمد الخامس 2010.

**جورج فهمي**، باحث زائر-مركز كارنيجي للشرق الأوسط، تتركز أبحاثه على القوى الدينية في مرحلة الانتقال الديمقراطي، والتفاعل بين الدين والدولة، والأقليات الدينية، وهو أيضا باحث في منتدى البدائل العربي للدراسات بالقاهرة، حيث يعمل على الأحزاب السياسية والحركات الشبابية في مصر. وقد حضر في جامعة بوغازيتشي في تركيا في العام 2010. شارك أيضا في تحرير كتاب "دروس الماضي وتحديات الحاضر واستراتيجيات المستقبل" (مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 2011).

**أنا فليتشير**، تعمل في el parlament وهي شركة استشارية سياسية مقرها في برلين-ألمانيا. وكانت مسئول مشروع لدعم البرلمان في مصر عام 2014. حاصلة على درجة الماجستير في العلوم في دراسات العالم العربي من جامعة دورهام ودرست في ألمانيا والمملكة المتحدة ومصر. تتركز اهتماماتها البحثية في الغالب على الديمقراطية، وحقوق المرأة والتحول السياسي.

**رابحة سيف علام**، باحثة في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية (ACPSS) منذ عام 2005. وبشكل خاص متخصصة في الحركات الإسلامية، الدراسات الأمنية والسورية والشؤون اللبنانية. حاصلة على شهادة الماجستير في العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، حول التحالفات والتوازنات في الرئاسة اللبنانية أزمة 2004-2008 (2013). وماجستير آخر في السياسة العامة، كلية الشؤون الدولية والسياسات العامة، الجامعة الأمريكية في القاهرة، حول آفاق إصلاح الشرطة في البيئة السياسية المصرية 2011-2015.

**علي المعموري**، حاصل على بكالوريوس علوم سياسية قسم النظم السياسية والسياسات العامة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين، وماجستير علوم سياسية (2015)، عنوان الرسالة (سياسة الأمن الوطني في العراق بعد 2003). له العديد من المنشورات مثل، داعش والموصل، خلفية الأحداث، القاهرة، منتدى البدائل العربي 2014، التنظيمات المتطرفة في العراق... القيم والعنف المنظم في العراق، مداخل للتأثير الإقليمي (عرضت في المؤتمر الإقليمي الخامس لمركز

البحوث والدراسات الاستراتيجية في الجيش اللبناني، بيروت 2015)، الأعظمية...مقاربة  
طبقية-دولية، منشور على موقع فكر أونلاين، القاهرة 2015.

**أيمن عبد المعطي**، كاتب ومدون اشتراكي ثوري مصري. المنسق الإعلامي لمنتدى البدائل  
العربي للدراسات.

**جنى نخال**، باحثة وناشطة يسارية من بيروت والجنوب. تعمل في مجال التنظيم المدني في  
العشوائيات ومخيمات اللجوء، كما تنشط في التنظيم الطلابي في الجامعات، والعمل السياسي  
ضمن الإطار اليساري النسوي.

**ربي الحلو**، محاضرة في جامعة نوتردام- اللوزة (NDU)، لبنان. حصلت على شهادة  
الماجستير المهنية في "مركز التنمية وتدريب الصحفيين"، "المعهد الفرنسي للصحافة" و"كلية  
الإعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية". تقوم حاليا بالعمل للحصول على الدكتوراه في الدراسات  
الإعلامية.

**حبيبة محسن**، باحثة ومديرة مشروعات بمؤسسة الشركاء الدوليين، حصلت على درجة  
الماجستير في العلوم السياسية من جامعة القديس يوسف ببيروت- لبنان؛ ولها العديد من المواد  
المنشورة حول الحركات الاجتماعية والأحزاب السياسية في مصر، السياسات العامة والحكم  
المحلي.

**جيروم دريفون**، زميل ما بعد الدكتوراه في جامعة مانشستر. حاصل على رسالة الدكتوراه في  
جامعة دورهام ويعمل حاليا على إنجاز كتاب عن إدارة استراتيجيات الجماعات الإسلامية  
المسلحة، استنادا إلى دراسته حول تطور حركة الجهاد والمجموعات الإسلامية المصرية. تشمل  
اهتماماته البحثية دراسة التنظيمات والتشبيك، التطرف المسلح والحروب الأهلية وحركات التمرد،  
ودراسات الحركة الاجتماعية وتحليل الشبكات الاجتماعية.

**بلال الأمين**، كاتب ومحرر لبناني. حاصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من  
مركز جامعة جورج تاون للدراسات العربية المعاصرة، ومؤسس ورئيس تحرير مجلة التحول اليساري  
بين 2000-2005 في مدينة نيويورك.

**سميحة الحامدي**، مساعدة متعاقدة في علم الاجتماع بكلية الآداب والعلوم الانسانية  
بصفاقس والمعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بقفصة. باحثة بوحدة البحث "الدولة  
والثقافة وتحولات المجتمع" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. مسجلة بالسنة الثالثة دكتوراه  
في علم الاجتماع بجامعة صفاقس- تونس وجامعة غرونوبل- فرنسا.

**مافي ماهر**، مخرجة وباحثة. تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة عام 2007. حصلت على دبلومة إعلام من كلية الإعلام جامعة القاهرة بالتعاون مع CFPJ باريس. عملت كمساعد مخرج مع عدة مخرجين أبرزهم: خالد يوسف، هاني خليفة، لوك بيسون. أخرجت عدة أفلام قصيرة أحرهم فيلم "بهيبة" إنتاج افلام مصر العالمية والسفارة البريطانية في القاهرة. عملت كصحفية في الأهرام إبدو منذ تخرجها حتى 2014. تعد رسالة ماجستير في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بعنوان "صورة الحادى عشر من سبتمبر/أيلول في السينما الأمريكية والمصرية...دراسة مقارنة". لها عدة مقالات بحثية متعلقة بالعلاقة بين الثقافة والسياسة. تعمل حاليا على مشروع فيلمها الطويل الأول "مرم".

**شريف محيي الدين**، باحث ومتخصص في شؤون العدالة الجنائية بالمبادرة المصرية للحقوق الشخصية، ومسؤول ملف (مكافحة الإرهاب وشؤون حقوق الإنسان) تخرج من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وعمل ك (باحث ومحلل سياسي) بالعديد من مؤسسات التفكير الاستراتيجي، ومراكز الأبحاث مثل (مؤسسة بيت الحكمة للدراسات الاستراتيجية)، (المجموعة المتحدة). وتعاون في عدة مشروعات بحثية دولية مع جامعات مثل جامعة (Yale) الأمريكية، وجامعة (Wits) في جنوب أفريقيا. وكذلك تعاون في تقديم الاستشارات لبعض الوزارات والأجهزة الحكومية مثل (وزارة الصناعة والتجارة الخارجية)، و(وزارة التخطيط والتعاون الدولي). تتنوع مجالات اهتمامه البحثية، وتقع من ضمنها، الدراسات الأمنية، دراسات الثقافة والسياسة، ودراسات الحركات الاجتماعية والمجتمع المدني.

**سحر مندور**، روائية لبنانية، ولدت في بيروت في 1977 لأم لبنانية وأب مصري. درست علم النفس في "جامعة القديس يوسف". تعمل كصحفية في جريدة "السفير" البيروتية منذ 1998.

**عمر فسطاوي**، محام تونسي ومحاضر في جامعة إيكس مرسيليا في فرنسا. وهو حاصل على دكتوراه في القانون والعلوم السياسية من معهد العلوم السياسية إيكس أون بروفانس، وانتهى لتوه من المشاركة الوثيقة في جامعة جنيف. يتركز بحثه الرئيسي على السياسات الحيوية وأخلاقيات علم الأحياء في البحر الأبيض المتوسط. وهو يعمل أيضا على حقوق الإنسان في منطقة الشرق الأوسط مع التركيز بشكل خاص على حقوق المرأة في السياقات الإسلامية والإسلام في سياقات العلمانية. يحاضر عن الإسلام والديمقراطية، والقانون الإسلامي والإسلام السياسي. يعمل على موضوع التطرف مع منتدى القادة الشباب (YLF) منذ العام 2015.



**كريستينا كازابون**، باحثة في شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وهي الرئيس التنفيذي والمؤسس المشارك لمركز البحوث الإسباني باب الشمس، حاصلة على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة كومبلوتنسي في مدريد. تعمل حاليا كمحررة و مترجمة وكاتبة للديمقراطية المفتوحة Open Democracy.

**لييب شائف محمد إسماعيل**، باحث وكاتب وله العديد الأبحاث العلمية وأوراق السياسات العامة ومؤلف لسبعة كتب في مجالات التخطيط الاستراتيجي والسياسة العامة والتطوير المؤسسي... وغيرها، حاصل على ماجستير إدارة عامة- جامعة صنعاء 2010، يعمل حاليا كمستشار في التطوير الإداري والحوكمة.

**بليغ المخلافي**، إعلامي وباحث سياسي يمني، رئيس مؤسسة التنمية الشبابية، منظمة مجتمع مدني غير حكومية تهدف إلى تعزيز الديمقراطية التشاركية وتنمية القيادات الشابة، مدير عام في وزارة الخدمة المدنية والتأمينات، مسئول عن مشروع إصلاح مؤسسات القطاع العام، باحث متخصص في قضايا الإدارة العامة ومدرب في الحوكمة والمساءلة الاجتماعية، كاتب صحفي ومحلل سياسي متخصص في الشؤون اليمنية لدى العديد من القنوات التلفزيونية ووسائل الإعلام الدولية والإقليمية، رئيس تحرير سابق لصحيفة صوت العمال.

**عمر سمير خلف**، مساعد باحث بمنتدى البدائل العربي للدراسات. طالب ماجستير علوم سياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. حاصل على بكالوريوس العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة 2010.

**فؤاد غربالي**، أستاذ جامعي عرضي بالمعهد العالي للإنسانيات التطبيقية خلال السنة الجامعية 2010 -2011، حاصل على شهادة البكالوريا آداب 2003، حاصل على شهادة الأستاذية في علم الاجتماع 2007، حاصل على ماجستير بحث في علم الاجتماع حول "البطالة كتجربة اجتماعية لدى شباب الأحياء الهامشية بمدينة صفاقس"، مسجل بالسنة خامسة دكتوراه في علم الاجتماع بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس حول "الأحياء الشعبية بمدينة صفاقس: التمثلات والمعيش" دراسة سسيو أنثروبولوجيا، له العديد من المنشورات العلمية مثل: الشباب والدين في تونس... دراسة للأشكال الهوياتية الجديدة- مجلة إضافات العدد 121 - 122 سنة 2013، الشباب والظاهرة السلفية: أية دلالة سسيولوجية في كتاب أعمال ندوة "التدين: مقاربات ونماذج" منشورات المركز الثقافي العربي- الرباط 2015.

**سارة سوجار**، ناشطة في المجتمع المدني، باحثة مغربية ومديرة مشروعات، درست القانون بجامعة محمد الخامس، المغرب.



# فصل تمهيدى



# تحولات جماعات العنف حدود المواجهة الفكرية- الدينية

عمرو الشوبكي

## مقدمة

شهدت جماعات العنف الديني ثلاثة تحولات كبرى في تاريخها المعاصر بدأت مع التنظيمات الجهادية الكبرى ومرت بعصر الخلايا الصغرى وانتهت بعودة جديدة للتنظيمات التكفيرية الكبرى التي استخدمت وسائل جديدة تختلف عن تلك التي اتبعتها التنظيمات الجهادية الكبرى في سبعينيات القرن الماضي.

سنحاول في هذه الورقة أن نلقي الضوء على المراحل الثلاثة والسياق الاجتماعي والسياسي الذي احتضن كل مرحلة من هذه المراحل.

## أولاً: عصر التنظيمات الجهادية الكبرى

تبلورت تجربة تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية، في بداية السبعينيات، وتحديدًا حين خرج جيل من داخل جماعة الإخوان المسلمين متأثرًا بكتابات سيد قطب، وبكتابه الشهير "معالم في الطريق" ليعلن عن دعوته إلى قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة، وبناء نظام إسلامي بدلا منه، وأعد كلا التنظيمين عناصره للقيام بالثورة الإسلامية ورفض الديمقراطية بالوسائل السلمية في العمل السياسي.

وكانت البداية مع جماعة "المسلمون" -عرفت إعلاميا بالتكفير والهجرة- التي اعتبرت من الجماعات الأصولية القليلة التي كفرت السلطة والمجتمع ودعت أعضائها إلى هجرة الاثنين.

ويشير شكري مصطفى زعيم الجماعة:

من كان يظن أن تكاليف بناء المدينة الحديثة لا تتعارض مع تكاليف العبادة وإنه كان يمكن لعلماء الغرب وبناء المدن الحديثة أن يكونوا عباد الله في الوقت نفسه من

كان يظن ذلك فليشهد على نفسه أولاً بقلة الحياء وصفاقة الوجه فأولئك هم الذين باعوا أحرقتهم بدنياهم.

هل كان يمكن حقا لمحمد وأصحابه رهبان الليل فرسان النهار في سبيل الله تعالى أن يكونوا أيضا علماء للطبييعات والرياضيات ورواد الفضاء وصناع المدن الحديثة.

لقد بقي رسول الله ثلاثة عشر عاما في مكة يعلم المسلمين الإسلام... لا يعلمهم شيئا إلا الإسلام لا فلكا ولا رياضة ولا فلسفة ولا فيزياء، فأين من هذا الدجالون اليوم الذين يزعمون أن الإسلام لا يقوم حتى يتلمذ على علوم الأروبيين؟؟.

أما عبود الزمر أحد قادة تنظيم الجهاد الذي خطط ونفذ عملية اغتيال السادات، فينتقد بشده القادة العرب لأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ورفعوا لواء الديمقراطية تارة، فنادوا بالعلمانية والوطنية والقومية والحياة النيابية والحرية الشخصية والتبرج والاختلاط... ثم بادروا برفع راية الاشتراكية تارة أخرى فهتفوا الاشتراكية والحرية والوحدة ودعوا إلى التقدم والرقي وتحرير فلسطين.

ويعلن ميثاق العمل الإسلامي الذي أصدره تنظيم الجهاد الحرب المقدسة على العلمانية بوصفها دعوة إلى فصل الدين عن الدولة عقيدة وفكرا ونظاما وحكما، في التشريع والحكم والقضاء والتعليم والإعلام، علمانية تبثها أجهزة التثقيف والتوجيه.... علمانية بغیضة دست علينا وغرست قسرا في تربيتنا فأنبئت هذه الأنظمة الجاهلية الكافرة التي تستبدل بـشرع الله شرع الشيطان.

وقد أصدرت الجماعة الإسلامية الجهادية، وهي التيار الآخر للأصولية المحلية في ذلك الوقت، وثيقة حملت عنوان: "موقف الحركة الإسلامية من العمل الحزبي في مصر"، عبرت فيها عن موقفها الراض للتعددية الحزبية والديمقراطية.

والمؤكد أن التنظيمات الجهادية الأولى، وتحديدًا تنظيمي الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر، امتلكت مشروع عقائدي وسياسي استند على أسس فقهية وتفسيرات دينية خاصة لابن تيمية، وسيد قطب، وعمر عبد الرحمن وآخرين كفروا السلطة الحاكمة باعتبارها لا تطبق شرع الله، وطالبوا بمحاربتها، ولم

يكفروا المجتمع كما فعلت جماعة المسلمين . التي عرفت إعلاميا بالتكفير والهجرة.

وظهر كتاب الفريضة الغائبة الذي اعتبر الجهاد فريضة غائبة لا يطبقها المسلمون، ويجب استعادتها مرة أخرى، كما قدم قادة تنظيم الجهاد عشرات من الأفكار التي تدعو إلى قتال الحاكم الذي لا يطبق شرع الله، وكذلك فعل تنظيم الجماعة الإسلامية الذي قدم وثيقته الشهيرة " ميثاق العمل الإسلامي "، وتبني نفس التوجه، أي ضرورة محاربة الحكام الذين لا يطبقون شرع الله، ولكنه كان أكثر مرونة من الناحية التنظيمية والعقائدية من تنظيم الجهاد فضم أعداد أكبر من تنظيم الجهاد وانتشر بصورة كبيرة في صعيد مصر.

وقد قام كلا التنظيمين بتجنيد آلاف العناصر داخل بنية تنظيمية محكمة، يقودها مستوى قيادي مركزي، وعناصر وسيطة وقواعد منتشرة في كل المحافظات والمدن المصرية، وتم إعدادهم عقائديا من أجل خوض مواجهة مسلحة مع كل خصومهم في الدين: الأقباط، والسياسة: العلمانيين ورجال الدولة، بالإضافة إلى الأبرياء من المواطنين العاديين الذين سقطوا ضحية هذا العنف الآثم.

ومارست هذه التنظيمات عمليات إرهابية طالت الجميع، ونجحت الدولة المصرية في النهاية في تفكيكها، وإنهاء قدرتها على ممارسة مزيد من العمليات الإرهابية، وخاصة بعد عملية الأقصر البشعة عام 1997 التي راح ضحيتها عشرات السائحين، والتي يمكن اعتبارها آخر عملية للتنظيمات الجهادية الكبرى في مصر.

وشهد عقد التسعينيات من القرن الماضي ساحة مواجهة أخرى أكثر عنفا ودموية من نظيرتها المصرية، حين قامت كل من الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد إقصائها عن السلطة ومعها الجماعة الإسلامية المسلحة "بمعركة محلية " أخرى من أجل إسقاط نظام الحكم في الجزائر، وشهدت البلاد ما يشبه الحرب الأهلية غير المعلنة وحدثت جرائم عنف وعنف مضاد راح ضحيتها الآلاف من أبناء الشعب الجزائري، وخسرت الجماعات المسلحة هي الأخرى معركتها ضد الدولة الجزائرية مثلما حدث مع الدولة المصرية.

والحقيقة أن انهيار أي تنظيمات كبرى حتى لو كانت عنيفة، يؤدي عادة إلى ظهور حالة فراغ يفترض أن تملأها قوى اجتماعية وسياسية أخرى قادرة على استقطاب أنصار هذه التنظيمات وجانب من أعضائها "التائبين"، نحو نموذج آخر للفعل الاجتماعي والسياسي مستقل عن الأجهزة الأمنية، وقادر على تفرغ الفكرة الجهادية من مضمونها العنيف وتحويلها إلى شكل سياسي سلمي، وهو ما لم يحدث حيث اعتمدت الدول العربية في مجملها على قبضة الأمن لردع أنصار هذه التنظيمات والحفاظ على "توبة" أعضائها، وبقيت هناك تربة محلية قابلة لنمو سرطاني جديد لهذه القوى المحبطة لكي يمارس بعض أفرادها الإرهاب، حتى لو كان مختلفا في الشكل والمضمون عما رأيناه في العقود الثلاثة الماضية.

وبدا أن فشل جماعات العنف الديني في معركتها ضد النظام المصري والجزائري وظهور بيئة إقليمية خارج الحدود قادرة على احتضان هذه التنظيمات أدى إلى حدوث تحول حقيقي نحو عولمة نشاطها وانتقالها من مرحلة العمل داخل حدود الدولة الوطنية إلى العمل خارج حدودها وتأسيس تنظيمات عابرة للحدود هيمنت على المشهد في العالمين العربي والإسلامي بل وانتقلت بعد اعتداءات 11 سبتمبر/أيلول إلى التأثير في العالم أجمع من خلال تنظيمات تكفيرية متعولمة انتشرت في الشرق والغرب على السواء وهددت دول بأكملها في العالم العربي وانتقلت شروها إلى دول غربية كثيرة.

ويمكن اعتبار عام 1998 الذي أعلن فيه جناح اليمن الظواهري في تنظيم الجهاد انضمامه إلى تنظيم القاعدة وتشكيل ما عرف "بالجبهة العالمية لمحاربة اليهود والصليبيين"، البداية العملية لتحول تنظيمات الجهاد المحلية إلى تنظيمات متعولمة وجدت بيئة خصبة لها عقب الغزو الأمريكي للعراق، وتحولت الحرب الأمريكية على الإرهاب إلى أحد مصادر انتشاره الرئيسية.

والحقيقة أن عصر التنظيمات الجهادية المحلية عرف هدف سياسي محدد سعت إليه هذه الجماعات يتمثل في إسقاط النظم القائمة، وادعاء امتلاك بديل إسلامي في الحكم وفي إدارة الدولة وكانت هناك أدبيات كثيرة تتحدث عن الدولة الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي.



في حين أن في المرحلة الثانية التي أعقبت اعتداءات 11 سبتمبر/أيلول الإرهابية أدت إلى ظهور خلايا صغرى أولاً ثم ظهور التنظيمات التكفيرية المتعولمة، فمن الصعب القول إن لديها أية أدبيات تذكر تتحدث عن نظام الحكم الإسلامي أو الدولة الإسلامية، بقدر ما ركزت على محاولة كسر الدولة الوطنية القائمة، أو محاولة ملء الفراغ الذي خلفه سقوط بعض الدول العربية مثلما جرى في العراق وليبيا.

### ثانياً: مرحلة الخلايا الصغرى

يمكن اعتبار الميلاء الأول -والحقيقي- للإرهاب الجديد في مصر كان حادث طابا الذي جرى في 6 أكتوبر/تشرين أول 2004، وأعقبه اعتداء الأزهر وميدان عبد المنعم رياض، وجاء بعدهما اعتداء سيناء الثاني في شرم الشيخ في 23 يوليو/تموز 2005، وأخيراً اعتداء دهب في ذكرى عيد تحرير سيناء في أبريل/نيسان 2006.

وقد تغير أداء خلايا العنف الديني في مصر مقارنة بما شهدناها في العقود الثلاثة الماضية، فهو أولاً يغلب عليه الطابع الفردي لأشخاص لا ينتمون إلى أي من التنظيمات الجهادية الكبرى وليس لهم أي رغبة أو حتى حرص على صياغة مشروع فكري أو عقائدي يوضح الهدف النهائي من ممارسة هذا العنف، وهم لا يتحملون البقاء لفترة طويلة في تنظيم محكم بهيكلية صارمة، وشاهدنا عملية انتقال من مرحلة "الفكر الجهادي" إلى عصر "الفعل الإرهابي"، وأصبح "الجهاد" في الحالة الجديدة "مهمة فردية" تمثل نوع من الخلاص أو الانتقام الفردي أو الجماعي الذي يصنع -أو يبرر- حوادث انتقامية، ولا يحمل أي رؤية جماعية أو مشروعات عامة لتغيير المجتمع أو إسقاط النظام السياسي وتقديم بديل ولو وهمي كما فعل أعضاء التنظيمات الجهادية في الثمانينيات.

كما أنهم ثانياً يقومون بهذه الأعمال الإرهابية وفق دوافع وأهداف متباينة، فقد يكون متغير الانتقام من الإسرائيليين نتيجة لما يحدث في الأراضي الفلسطينية المحتلة هو الدافع الرئيسي وراء عملية طابا الإرهابية التي شهدتها مصر في 2004، أو يكون ضرب الاقتصاد المصري عن طريق ضرب السياحة أو الانتقام من النظام بسبب تجاوزات الأجهزة الأمنية بحق أهالي سيناء عقب اعتداء طابا.

وتميزت ثالثا هذه الحوادث بأنها تضم الهواة والمحترفين معا، فالمؤكد أن عملية طابا في 2004 ضمت عناصر على قدر يعتد به من الاحتراف والقادرة على تحديد الهدف بدقة موقعة عددا كبيرا من الضحايا، على عكس كثير من الحوادث التي شهدتها مصر طوال العقد الماضي حيث قامت بها خلايا صغيرة لا علاقة لها بالعمل الجهادي.

كما إنه من الوارد أخيرا أن يكون لهذا النوع من العنف دعم خارجي من أفراد أو جماعات أصولية هي الأخرى لا تمثل حالة تنظيمية متماسكة إنما مجموعة من الشبكات العنقودية المنعزلة عن بعضها والمتبنية "النموذج" القاعدة ونهجها.

ويصبح هذا "الموزاييك" العشوائي والذي لا ينتمي إلى أي من تنظيمات العنف المعروفة ولا يشكل حالة فكرية أو تنظيمية كبرى، نتاج احباطات البيئة الاجتماعية الداخلية وأحوال الأحياء العشوائية شديدة الحرمان والفقر، وأيضا نتاج مشاهد العنف اليومية التي ترتكب على يد قوات الاحتلال الأمريكي والإسرائيلي، بصورة يتداخل فيها بشكل مثير عجز الداخل مع قهر الخارج وعدوانيته.

ولم يعد بالضرورة هذا العنف نتاج لقراءة خاصة لابن تيمية كما فعلت تنظيمات الجهاد في العقدين الماضيين أو بسبب تبني كتاب الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج عبر برامج تنفيذية يلقتها أمراء الجماعة لأعضاء التنظيم، إنما هو نتاج واقع سياسي واجتماعي محلي، ومشاهد قتل يومية في العراق وفلسطين على يد جنود تحمل وجوههم بعض ملامح وجوه السياح القادمين إلى القاهرة.

والمؤكد أن تجربة الخلايا الصغرى في العقدين الماضيين (ولا زالت هذه الحالة موجودة في كثير من البلدان وخاصة في أوروبا) دلت على أن هناك جملة من العوامل المركبة التي ساعدت على وجود هذه التنظيمات وأنها لم تستطع أن تتجاوز كونها مصدر قلق للنظم القائمة وليست مصدر تهديد كما جري مع التحول الأخير الذي كانت العراق وسوريا مسرحا له متمثلا في ظهور تنظيمي القاعدة ثم داعش.

### ثالثا: عودة للتنظيمات الكبرى...عصر التكفيريين الجدد

عقب الغزو الأمريكي للعراق وإسقاط الدولة الوطنية العراقية وهدم مؤسساتها وعلى رأسها الجيش الوطني، ووضع مكانها دولة جديدة قامت بشكل أساسي على نظام المحاصصة الطائفي الذي مثل عاملا رئيسيا وراء انتشار التنظيمات التكفيرية المتعملة من القاعدة وحتى داعش.

وهنا يمكن القول إن الفراغ الذي خلفه انهيار الدولة العراقية ملأته تنظيمات تكفيرية سنيه حاربت الجميع شيعة وسنة وأمريكيين، وأخري جهادية ركزت عملياتها على مقاومة المحتل وأيضا مواجهه التنظيمات الشيعية المسلحة.

ولم تمض أعوام قليلة على الغزو الأمريكي للعراق حتى هيمنت الطبعة الأولى من التنظيمات التكفيرية المتعملة على المشهد العراقي، ممثلة في تنظيم القاعدة الذي مارس عنف وإرهاب غير مسبوق مستهدفا بالأساس العراقيين وحاول أن يملئ الفراغ الذي خلفه غياب الدولة وتفكيك المؤسسات.

وانتشر إرهاب القاعدة طوال العقد الماضي في دول عربية كثيرة وخاصة بعض دول الخليج العربي وبشكل خاص السعودية ومثل تهديدا حقيقيا لها حتى لو ظل وجوده الأساسي ونقطه انطلاقه الأولى هي العراق.

ومع بدايات هذا العقد وانطلاق الثورة السورية ثم قمعها بصورة وحشية من قبل النظام السوري والذي مثل أحد الأسباب الرئيسية وراء عسكرتها ظهرت الطبعة الثانية من التنظيمات التكفيرية المتعملة متمثلة في تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق المعروف بداعش، والذي وجد بيئة حاضنة له في عدد ليس بالقليل من المدن السورية وشكلت جرائم النظام السوري وطائفته عاملا مهما وراء انتشار داعش في سوريا والعراق وانتقاله إلى أكثر من بلد عربي كالسعودية والكويت والمغرب العربي وشبه جزيرة سيناء في مصر كما امتد في عدد من البلدان الأفريقية كمنطقة الصحراء ومالي وغيرها، ونجح أيضا في أن يزرع عملاء له في عدد من الدول الأوروبية وخاصة فرنسا، وصار نموذج لتنظيم عابر للقوميات يمارس واحدة من أبشع الجرائم في تاريخ الإنسانية.

ولعل ما شهده العالم في منتصف 2015 حين قام تنظيم داعش الإرهابي بثلاث عمليات إرهابية في يوم واحد وفي ثلاث بلدان، وقارات ثلاثة مختلفة، هي رسالة ذات دلالة على قدرة خلايا التنظيم المتعوم على الضرب في وقت واحد وفي قارات متعددة.

وقد تبني تنظيم داعش العمليات الإرهابية الثلاثة التي شهدتها تونس والكويت وفرنسا ودعا أعضائه لاستكمال عملياتهم الإرهابية ضد من وصفهم بالمرتدين والكفار وعملاء الصليبية.

وتكررت مثل هذه الظواهر أكثر من مرة طوال العام الماضي (2015) وشهدت فرنسا حادثا إرهابيا آخر يكاد يكون الأسوأ في تاريخها المعاصر وراح ضحيته ما يقرب من 140 شخصا، كما شهدت تونس إرهابا آخر استهدف حافلة تقل قوات من الحرس الرئاسي، وفي مصر استمرت جماعة أنصار بيت المقدس عملياتها الإرهابية داخل سيناء ولم تسلم القاهرة أيضا من العمليات الإرهابية.

#### رابعا: أسلمه التطرف أم التطرف الإسلامي

هناك كثير من الكتابات التي خرجت مؤخرا تتحدث عن تنظيم داعش باعتباره نموذج للتطرف الإسلامي، والجماعات الجهادية والتكفيرية باعتبارها تمثل انحرافا عن الفهم الصحيح للدين وخارجة عن شريعته السمحة، وتعمل على وضع تفسيرات دينية مخالفة لفهم هذه الجماعات للنص الديني وتدحضها.

والحقيقة أن هذا الفهم يحتاج لمراجعة، لا بسبب أن هذه الجماعات تمثل صحيح الدين إنما لكونها اختلفت تماما عن تجربة التطرف الإسلامي في نهايات الألفية الثانية والتي اتسمت بوجود إطار فقهي عميق استدعي مراجعات عميقة أعقبت فشل هذه الجماعات في معركتها مع النظم القائمة.

وقد قدمت الجماعة الإسلامية في مصر مراجعتها للعنف مبكرا، وتمثلت أولا في مبادرة وقف العنف عام 1997، ثم في إصدار أربعة كتب في عام 2002 تمثل مراجعة للأساس الفقهي الذي قام عليه المشروع الجهادي للجماعة الإسلامية تحت عنوان سلسلة تصحيح المفاهيم"، وهي: مبادرة وقف العنف... رؤية واقعية ونظرة

شرعية، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين، تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء، والنصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين وعادات وأصدرت ما يقرب من 20 كتاب في نفس هذا الاتجاه على مدار السنوات التي أعقبت مبادرة وقف العنف.

وجاءت بعد ذلك مراجعة الشيخ سيد إمام وعرفت باسم ترشيد الجهاد في مصر والعالم، لتطوي صفحة كاملة من ملف العنف الديني في مصر، كان بطلها التنظيم الأقل عددا والأكثر إحكاما في بنيته التنظيمية والعقائدية أي تنظيم الجهاد.

والسؤال المطروح هل تحتاج داعش إلى مراجعة فكرية ودينية مثلما فعلت الجماعات الجهادية في نهايات الألفية الثانية؟ أم أن طبيعة هذه التنظيم وعمليات التجنيد التي تتم داخله لا تجعل هناك اولوية لهذا النوع من المواجهات الدينية؟

الحقيقة أن آلية تجنيد الغالبية العظمى من عناصر داعش تتم وفق دوافع اجتماعية وسياسية وطائفية طبعتها أو بررتها بشعارات إسلامية، أو جعلتها "تأسلم التطرف" القادم من الواقع المجتمعي أولا، وليس كما جري مع الجماعات الجهادية في سبعينيات القرن الماضي التي كان "تطرفها إسلامي" لأنه نابع أولا من تفسيرها للنص الديني.

والحقيقة أننا شهدنا خيرة الجماعات الجهادية التي خرج معظمها من عباءة الإخوان ومن كتابات سيد قطب، وتركزت على نمط فكري وعقائدي متكامل يدور حول مفهوم الحاكمية لله واعتبار كل القوانين الإنسانية هي خروج عن الشريعة، وأن النظم القائمة هي نظم جاهلية لا تطبق أحكام الله ولذا وجب تكفيرها وأسقاطها بالعنف.

والحقيقة أن رحلة بناء هذا النسق العقائدي في صورته المعاصرة استمرت عقود وخرجت مئات الكتب وآلاف المنشورات والأبحاث التي تبرر ممارسة العنف والإرهاب، ولعل دراستنا في تسعينيات القرن الماضي لفكر تنظيم الجهاد أوضحت أن مدخل أي عضو في هذا التنظيم كان يبدأ بالإيمان بنسق عقائدي متكامل يدفعه إلى ممارسة العنف في مواجهه ما كان يعتبره "النظام الكافر" والمجتمع الجاهلي.

فمثلا سيد إمام الشريف (واسمه الحركي دكتور فضل) وهو أحد أهم من صاغوا الإطار الفكري للتنظيمات الجهادية في مصر وخارجها، كتب مجموعة من الكتب أهمها على الإطلاق "كتاب العمدة في إعداد العدة" الذي تجاوز ألف صفحة ويعد المرجع الرئيسي لكل الجماعات الجهادية والتكفيرية، وأيضا كتاب الجامع في طلب العلم الشريف، النصيحة في التقرب إلى الله، الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر، أسرار تنظيم القاعدة، نقد الشيعة.

واعتبر علماء دين كثيرين أن هذه الكتب تمثل نوع من الانحراف الفقهي والعقائدي عن الإسلام، وراجع جانب منها سيد الإمام نفسه قبل خروجه بقليل من السجن بعد ثورة يناير/كانون ثان، في الكتاب الذي أشرنا إليه وهو "ترشيد الجهاد".

والحقيقة أن هذا السجال الفقهي والعقائدي الذي راج في نهايات القرن الماضي بين الجهاديين وخصومهم، تراجع بصورة كبيرة مع تنظيم القاعدة، ثم اختفى تقريبا مع دواعش القرن الجديد لصالح عمليات قتل وذبح واستباحه كاملة يقوم بها قتلهم مجرمون لم يقرأ معظمهم كتاب إسلامي واحد ولو حتى في الاتجاه الخاطئ.

إذا سألت أحد رموز الجماعات الجهادية الذين قدموا مراجعات فقهية في نبد العنف مثل د. ناجح إبراهيم عن برنامج الإعداد العقائدي لعضو الجهاد أو الجماعة الإسلامية في سبعينيات القرن الماضي وقارنته بإعداد داعش في العقد الحالي، ستكتشف أن في الحالة الأولى كانت تستغرق عملية الإعداد سنوات ليصبح العضو جهاديا مهيا لممارسة العنف، أما مع داعش فإن الأمر لا يحتاج أي إعداد عقائدي يذكر، إنما الدافع هو رغبته في الثأر من الشيعة في العراق أو من النظام الطائفي في سوريا أو الانتقام من الاضطهاد والعنصرية في أوروبا فتطوع مع داعش لينتقم من كل "الكفار" غربا وشرقا.

كل النظريات العلمية والأبحاث الاجتماعية والسياسية التي درست ظاهرة الإرهاب في العالم، وخاصة في العقود الأخيرة أصبحت حائرة أمام تفسير الظاهرة وفق نظرية أو تصور واحد، فهناك من رأي أن هناك دوافع اقتصادية واجتماعية للإرهاب دحضتها تجارب جماعات إرهابية كثيرة، وهناك من قال إن استبداد النظم العربية هو

السبب وراء وجود الإرهاب فظهر في أوروبا الديمقراطية بقوة، وهناك من قال إن الحيازات أمريكا وسياسات الاحتلال الإسرائيلي هي السبب أيضا وراء الإرهاب، فظهر إرهاب الدواعش في كل مكان إلا إسرائيل.

والحقيقة أن العمليات الإرهابية التي نشهدها في كل مكان في العالم نتاج تحولين كبيرين أحدهما يرجع للتغيير الذي أصاب بنية الجماعات الجهادية وانتقالها من المحلية والصراع مع السلطة الداخلية بغرض إسقاطها، وبناء مشروعها الإسلامي، إلى صراع انتقامي قد يكون مع ظلم محلي وعالمي مع الإنسانية، وعبر هذا التحول حدث تغير أعمق يتعلق بتراجع تأثير الإطار العقائدي الحاكم لهذه الجماعات، ففي عهد الجماعات الجهادية المحلية كان هناك إطار عقائدي وتفسير فقهي خاطئ للدين يحرك هذه الجماعات والآن تراجع حتى الغياب هذا الإطار لصالح شعارات دينية سطحية تستدعى لتبرير القتل والإرهاب.





## **الباب الأول:**

### **الشباب الأوروبي وحركات العنف الراديكالية**



# الأجيال الجديدة في أوروبا من أصول عربية وأزمة الاندماج (النموذج الفرنسي)

محمد العجاتي

تفصح الأزمة الأخيرة المتعلقة بالعمليات الإرهابية في فرنسا، والتطورات الأخرى التي تبعتها، وما أعقبها من تشدد في خطابات قوى اليمين الأوروبي، وصعوده في الانتخابات المحلية الأخيرة في فرنسا، أن ثمة خلل في المواطنة الأوروبية عموماً والفرنسية بشكل خاص، إذ أن معظم منفذي الهجمات كانوا من الجيل الثاني الذي نشأ وتربى في فرنسا ولا يعرف كثيراً لا عن التراث العربي ولا الإسلامي بشكل عام. وتمثل هذه الجريمة وفقاً للبعض تعبيراً واضحاً عن أزمة الهوية الفرنسية وما يرتبط بها من مفاهيم كالمواطنة والتعايش إذ في غضون ساعات من الهجمات دأب العديد من رجال السياسة الفرنسيين والدوليين، والمعلقين، على تصوير الهجوم بأنه يستهدف "التاريخ التنويري والنهضوي المشرف" للبلاد، وقد وصفه الرئيس فرنسوا هولاند بأنه اعتداء على الجمهورية وقيمها المتمثلة في "الحرية والابداع والعدالة وحرية التعبير والتعددية"<sup>1</sup>، هذا الخطاب يتجاهل التحديات العميقة التي تواجهها المجتمعات الأوروبية المعاصرة، فالهجمات المروعة التي شهدتها فرنسا، تعيد إلى الواجهة مسألة ما يعنيه أن يكون المرء مواطناً في أوروبا اليوم، وكيف تتقاطع هذه المواطنة مع المسائل الملحة المتعلقة بالطبقة والهويات الثقافية المتعددة.<sup>2</sup>

---

1 من التعليقات المعبرة عن هذه الوضعية ما نشره السياسي اليساري المصري/ عماد عطية، على صفحته على الفيسبوك: "عشت في حياتي انتخابات كثير في أوروبا...والخناقة المعتادة فيها كانت دائماً بين يمين الوسط ويسار الوسط حول الضرائب والضمانات الاجتماعية...باختصار محل...اليمين دائماً عاوز يقلل الضرائب على الأعمال والاستثمارات والأغنيا باعتبار ده حافز للاستثمار...وطبعاً لما الضرائب تقل...الانفاق على التعليم والصحة والمعاشات...ألخ يقل...واليسار العكس...نزود الضرائب علشان نحسن الخدمات دي وننفق أكثر على الضمانات الاجتماعية واعانات البطالة وكدة...يمكن أول مرة في حياتي وأنا باتابع انتخابات فرنسا امبارح...لم أسمع أي كلمة حول هذه المواضيع...والكلام كله عن هوية فرنسا...لدرجة ان ساركوزي وماري لوين ورئيس وزراء فرنسا الاشتراكي مانويل فالس...الثلاثة أخوا خطبااتهم بجملة: تحيا فرنسا!!" <https://goo.gl/KjTbHr>

2 مهي بجي، " بالعودة إلى "شارلي إيبدو" ومعنى الهجوم بالنسبة إلى أوروبا!، جريدة الحياة 6 فبراير/ شباط 2015، <http://is. gd/eNg18n>

تحاول هذه الورقة التعرض لأزمة الاندماج التي يعاني منها هؤلاء المهاجرين وعلاقتها بأزمة الهوية والتكامل القومي، ومظاهر هذه الأزمة وأسبابها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وعلاقة ذلك بتطبيق نظرية المواطنة الفرنسية وتطبيقاتها وعلاقة السياسات بصعود اليمين الأوروبي، وهو ما نتناوله على النحو التالي:

### أولاً: أزمة الاندماج لدى الفرنسيين من أصول عربية

يمثل المنحدرون من أصول عربية في فرنسا في الوقت الحاضر أعلى نسبة من العرب المقيمين في أوروبا، بحيث تتجاوز نسبتهم الكثير من الدول الأخرى كبريطانيا وهولندا وبلجيكا وألمانيا، فهم من أصول عربية ولكنهم يختلفون كثيراً عن العرب المولودين في الوطن العربي، وفي نفس الوقت يختلفون كثيراً عن الأوروبيين الذين توارثوا الأصل والثقافة الأوروبية، هذه المشكلة ظهرت وانتقلت من جيل إلى جيل حيث ظهرت حالة من حالات الأزمات الثقافية التي عانت منها الأجيال الحديثة خصوصاً الجيل الثالث، والذين ولدوا في فرنسا وفي نفس الوقت يتمتعون بالهوية العربية والتي لا يعلموا عنها الكثير، خلقت هذه الحالة أزمة المواطنة وإحساس فقدان الهوية<sup>3</sup>. فالجيل الأول من المهاجرين إلى فرنسا في الستينيات، جيل ذاب داخل المجتمع الفرنسي الذي جاء يبحث فيه عن لقمة العيش وجمع المال للعودة بعدها إلى وطنه الأم، لا يعبر عن اهتمامه الديني ولا تقاليده، يعيش في انكماش وانغلاق، في غياب إتقان اللغة وجهد للثقافة الغربية. أما بالنسبة للجيل الثاني من المهاجرين فجاء خلال فترة نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي، حيث بدأ يقرأ ويحاول أن يفهم هويته، وبدأ يطرح أسئلة حول هويته الحقيقية وكان منها هل هو فرنسي أم عربي؟، بدأت الأمور الدينية تطرح بالنسبة إليه كذلك، والدين صار يشكل بالنسبة إليه مشكلة اجتماعية، وللهروب من حالات عدم الاستقرار والتساؤلات الكثيرة التي لم تكن لديه إجابات عليها في غالب الأحيان، اتجه أكثر نحو الدين الذي صار بالنسبة إليه كملجأ. أما بالنسبة للجيل الثالث وهو الجيل الحالي شكل الدين بالنسبة إليه

3 عبد الواحد أكميز، العرب الأوروبيون: الهوية والتربية والمواطنة، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، 2012، <http://goo.gl/FFtrgS>

أكثر من أي وقت مضى الملجأ والحل، وهذا الجيل يعاني من مشكلة هوية جوهرية، فكثير من أبناء هذا الجيل لا ركائز أسرية لديه، وعانى مشاكل عائلية كثيرة، وفقد معاني المواطنة والتعايش مع بقية فئات المجتمع لأنه يعتبر أن هذا المجتمع ظلّمه وظلم قبله والديه لذلك يجب الثأر منه، عن طريق تجسيد أفكار متطرفة وجهادية<sup>4</sup>. ويؤدي التهميش والتمييز بين المواطنين في فرنسا إلى انخراطهم في أعمال غير قانونية وتكوين العصابات والتفكير في الثأر من الدولة.

وتدفع وضعية الإقصاء بعض المنحدرين من أصول عربية إلى البحث عن هوية ومواطنة بديلة، يجدونها أحيانا في الدين، ويتحول الدين إلى تدين، أي إلى رغبة في إبراز الاختلاف من خلال بعض المظاهر مثل إطلاق اللحية، أو ارتداء اللباس الأفغاني أو النقاب، وبسبب غياب ثقافة دينية صحيحة، وبسبب تواضع مستواهم الثقافي، تسقط قلة منهم فيما تقدمه بعض القنوات الفضائية ذات التوجه الإسلامي الراديكالي، أو بعض المواقع الإلكترونية وهي مواقع تعتبر أوروبا دار كفر والتي تشجع على الإرهاب، وهكذا يتشبع هؤلاء الشباب العربي الأوروبي بالفكر الجهادي، ويتوجه بعضهم إلى أفغانستان أو باكستان أو العراق أو سوريا، بهدف الجهاد.

### ثانيا: الأبعاد الاقتصادية للأزمة:

بينما تشير الأبحاث والدراسات إلى تزايد حاجة المجتمع الأوروبي للمهاجرين لأسباب اقتصادية وديمقراطية تتعلق بظاهرة شيخوخة المجتمع الأوروبي إذ تتمثل مشكلة أوروبا الديمغرافية في تراجع معدلات النمو السكاني، وارتفاع نسبة كبار السن.<sup>5</sup> وبرغم أنه كان هناك إدراك أوروبي للحاجة للمهاجرين عقب الحرب العالمية الثانية وحتى ثمانينيات القرن الماضي، إلا أن التمييز ضد الجيل الأول من المهاجرين أدى إلى ظاهرة توارث الفقر بشكل كبير كما أن التمييز في الحصول على فرص العمل بين الفرنسيين على أساس الأصل العرقي، سيما إثر صعود اليمين، أدى لتركز العمالة من المهاجرين في المناطق الأفقر، يعيش الفرنسيون من أصول عربية في معزل ويشكون من

4 لينا خالد، عرب فرنسا. تطرف وسط غيوم عنصرية، عالم واحد، <http://goo.gl/IIFFa7>

5 أليساندرو فيجس، تحديات الديمغرافيا ومشاكل المهاجرين في أوروبا، مجلة السياسة الدولية،

<http://is.gd/t6Mrnu>

الإهمال وعدم الاكتراث بآمالهم وطموحاتهم من طرف المسؤولين ويحتلون المراتب الأخيرة في مستوى المعيشة، فلا أمل لأولئك الشباب لمرجات الفرنسيين الأصليين بسبب التهميش المحبط بهم من كل جانب، وانسداد الآفاق أمامهم ما يستتبع الانخراط في حياة الانحراف والتمرد على القانون وتكوين العصابات التي أرقت كثيرا الشرطة الفرنسية وأضنتها،<sup>6</sup> توضح ذلك بيانات الفقر والبطالة بحسب دراسة لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية-تقارن الدراسة بين أوضاع الأجانب المقيمين في دولها الأعضاء، حيث بلغت نسبة البطالة لديهم أربعة أضعافها لدى أكثرية السكان، فيما بلغت الضعفين كمعدل في دول المنظمة فنسبة البطالة في صفوف المهاجرين تبلغ 15.6% مقابل معدل 8.13% في دول منظمة التعاون والتنمية. وأشار التقرير إلى أن فرنسا هي البلد الذي يستقبل أكبر نسبة من الأفراد المولودين في أفريقيا بين مهاجريها. فثلاثة أرباعهم -ومن بينهم من تمت إعادته إلى بلاده- ولدوا في دول المغرب، وأكد التقرير أن عدد الأجانب المقيمين في دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ارتفع بنسبة الثلث في عشر سنوات، ومع ارتفاع نسب الفقر والبطالة برزت فرنسا بين الدول الأسوأ أداء في دمج مهاجريها وتحتل فرنسا موقعا وسطيا بين دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التي تضم 110 ملايين مهاجر يشكلون 9% من مجموع سكانها بحسب الدراسة، لكن نسبة الفقر في أوساط الأجانب المقيمين في فرنسا تبلغ 21.1% مقابل 17.3% لمهاجري دول المنظمة، كما بلغت نسبة البطالة لديهم 14.5% عام 2010 مقابل 11.9% في دول المنظمة.<sup>7</sup>

كما يصبح المهاجرون أكثر عرضة للفقر من غيرهم وفقا لدراسات لمنظمة العمل الدولية إذ تقول إن احتمالية وقوع العاملين غير الأوروبيين في أوروبا للفقر 29%، بينما هي في أوساط الأوروبيين المولودين ببلداتها 15% فقط، وهو ما يعني استمرار نظرية توارث الفقر ما لم تراجع سياسات الدمج الاقتصادي والاجتماعي لهؤلاء

6 ميلود بن غربي، المهاجرون: تهميش أم أزمة هوية؟، شبكة فولتير، 2005 <http://goo.gl/h8d6th>

7"فرنسا تواجه مشاكل في دمج المهاجرين، العرب القطرية، <http://goo.gl/ikEtdD>

المهاجرين.<sup>8</sup> هذه الأرقام لا تدل فقط على حالة اقتصادية سيئة بل تركز لما يمكن أن نطلق عليه الانعزال الاقتصادي لمواطنين على أساس أصولهم.

### ثالثا: المشكلات السياسية للأجيال الفرنسية من أصول عربية

هناك استهداف مباشر لجمهور ناخبين مضاد لفكرة قبول المهاجرين في المجتمع الفرنسي أو حتى لفكرة الدمج وبالذات في فترات الانتخابات المختلفة،<sup>9</sup> سواء بالمغازلة لكسب أصواتهم من تيارات أو بالهجوم عليهم لكسب أصوات الجانب الأخر من تيارات أخرى. بينما يجرم القانون الفرنسي العنصرية ومعاداة السامية فإنه لا يهتم للأفعال العنصرية المرتبطة بالإسلاموفوبيا، وهو ما تستفيد منه الأحزاب اليمينية المتطرفة إذ صعد حزب الجبهة الوطنية إلى الحد الذي جعله يحصد خمس الأصوات في الجولة الأولى من رئاسيات 2012 والتي شارك بها أكثر من 80% من الفرنسيين،<sup>10</sup> ثم انتخاب أعضائه لابنة زعيمه جان ماري لوبان بنسبة 100% من الأصوات في العام 2014 والتي يتوقع وصولها للمرحلة الثانية من انتخابات 2017 المقبلة،<sup>11</sup> ثم من حيث تزايد عدد مقاعد اليمين في الجمعية الوطنية الفرنسية كما في البرلمان الأوروبي 2014 إذ حصل اليمين المتطرف على ما يزيد قليلا عن 25% من مقاعد البرلمان الأوروبي،<sup>12</sup> بينما لا يزال عدد الأجانب في الجمعية الوطنية الفرنسية ضعيف جدا ولا يتجاوز 10 أعضاء في انتخابات 2012.<sup>13</sup> وهو ما يعني ضعف تمثيل

---

8 Megan Benton and others, "moving up or standing still? Access to Middle- skilled Work for Newly Arrived Migrants in the European Union July 2014, P 7, available at: <http://is.gd/ozmdok>

9 محمد شراق، المهاجرون الجزائريون "وقود" الحملة الانتخابية للرئاسيات في فرنسا، الخبر، 18 يوليو/تموز 2011، <http://is.gd/j9nLdn>

10 فرانس 24، مارين لوبان. الوجه الجديد لليمين المتطرف في فرنسا، 25 أبريل/نيسان 2012، <http://is.gd/pFodBz>

11 قناة يورو نيوز، مؤتمر حزب "الجبهة الوطنية" الفرنسي اليميني المتطرف يكرس مارين لوبان رئيسة له، 30 نوفمبر/تشرين ثان 2014، <http://is.gd/R3WyKp>

12 كولين ديفيدسون، الأحزاب المتطرفة تحصل على ربع مقاعد البرلمان الأوروبي، فرنسا وازلال اليمين المتطرف، الاتحاد، 29 مايو/أيار 2014، <http://is.gd/085Pmj>

13 فرانس 24، نواب من أصول عربية وأجنبية يدخلون المجلس النيابي الفرنسي الجديد، 18 يونيو/حزيران 2012، <http://is.gd/wftvMs>

الفرنسيين من أصول غير فرنسية في ظل صعود اليمين وما يمثله خطابه من عنصرية تجاه المهاجرين. كما أن ثمة اتهامات مباشرة للعرب المسلمين عقب أي عمل إرهابي من قبل وسائل الإعلام والأحزاب اليمينية وهو ما يزيد من حدة الإسلاموفوبيا والخلط بين الإسلام والإرهاب<sup>14</sup>.

#### رابعاً: المشكلات الاجتماعية والثقافية

من يتابع برامج المواهب العربية يلاحظ الكم الكبير من الأوروبيين خاصة الفرنسيين من أصول عربية الذين يقدمون عروضهم في بلادهم، ولا يعرفون اللغة العربية لكنهم يشاركون في هذه البرامج معبرين عن رغبتهم في تقديم عروضهم أمام جمهور من ذات الأصول التي ينتمون لها، وهو ما يؤكد أنهم لا يشعرون بالاندماج الكامل في مجتمعاتهم، وينقلنا ذلك للعامل الثقافي والاجتماعي.

ثمة إشكاليات تتعلق بنظرية المواطنة في فرنسا إذ تذهب إلى الدمج والصحراء لا احترام التنوع والاختلاف، ووفقاً لمضمون المواطنة الفرنسية الفردية القائمة على عدم الاعتراف بالتنوع أو الخصوصية الثقافية في المجال العام على أن تبقى حرة في المجال الخاص<sup>15</sup>، فإن هناك إشكالية تتعلق بفقدان الرابط بين مبدأ المساواة ومبدأ احترام التنوع والاختلاف إذ لا تعترف الدولة الفرنسية لمواطنيها بلغات أو مظاهر اجتماعية أو ثقافية غير الفرنسية، كما تتجلى هذه الأزمة في اضطراب بعض الفرنسيين من أصول عربية إلى تغيير أسماءهم حتى يستطيعوا أن يندمجوا في فرنسا، كما أن بعضاً من أبناء الجيل الثالث يحملون اسمين فهناك الأول عربي يتداوله أفراد العائلة، والأخر فرنسي يستخدم في المدرسة والدوائر الحكومية، وذلك لأن الشخص الفرنسي من أصول عربية يصبح أكثر عرضة لانتهاكات الشرطة الفرنسية من غيره كما تؤكد ذلك تقارير

14 تقرير بعنوان: الإسلاموفوبيا. حديث الأوساط الإعلامية والسياسية الفرنسية، قناة فرانس 24، 27 فبراير/شباط 2015، <http://is.gd/HUQZc1>

15 Local integration policies for migrants in Europe, European Foundation for the Improvement of Living and Working Conditions, Luxembourg, 2007 P12.



لصحفيين فرنسيين<sup>16</sup> أو لمؤسسات حقوقية دولية، ويلاحظ علماء اجتماع ومختصون فرنسيون بشؤون الهجرة الأجنبية أن سجلات الأحوال المدنية خصوصا في المناطق التي تتكون غالبيتها من أبناء المهاجرين العرب والمسلمين، بدأت تحتوي على أسماء غير عربية، يطلقها هؤلاء المهاجرون على أبنائهم، أو على الأقل أنهم يختارون أسماء "تزاوج بين الأسماء العربية والأسماء اللاتينية". ويرى هؤلاء المختصون أن هذه الظاهرة تعكس "رغبة المهاجرين الأجانب - خصوصا من الأجيال الشابة - في الاندماج بالمجتمع الفرنسي"، وتشير الأسماء المتداولة في المجتمع الفرنسي الآن إلى أن الأسماء العربية التقليدية مثل مصطفى وعبد الله والتي كانت مستخدمة بكثرة لدى عائلات المهاجرين العرب في سبعينيات القرن الماضي، بدأت تتراجع خلال السنوات الأخيرة. ومن الملاحظ أن العائلات العربية المهاجرين بدأت تميل في الفترة الأخيرة إلى منح أطفالها أسماء عربية، ولكنها في الوقت نفسه سهلة على التلفظ عند الفرنسيين.<sup>17</sup>

تتمثل أهم مظاهر هذه الإشكاليات في أن مجتمعات المهاجرين العرب تبدو كما لو كانت كانتونات على أطراف المدن الفرنسية إذ أن فرنسا، كسائر البلدان الأوروبية التي استوطنها المهاجرون، أنشأت مناطق في محيط المدن الكبرى، صارت على مر السنين بؤرا لمشاكل حادة، كالسكن والتعليم والعمل والتعايش بين فئات من ملل وثقافات مختلفة، فضلا عن الجريمة وتجارة المخدرات، فهذه المناطق تضم أحياء لا يسهل فيها العيش، فهي أشبه بجيتو أو على الأقل فضاءات نفى وعزلة، خالية أو تكاد من مظاهر التقدم والحضارة التي تشهدها المدينة، وهنا يصبح العرب أكثر عرضة للانعزالية إذ أن الأفارقة الفرنكفونيين يسهل عليهم التعامل لغويا واجتماعيا مع الفرنسيين<sup>18</sup>. يتقاطع مع هذه الوضعية ضعف وجود بيانات واضحة ودراسات حول

16 Etre français d'origine arabe en 2009, Le Monde 29/10/2009, <http://goo.gl/FmHxNQ>

17 عرب فرنسا يغيرون أسماءهم عسى أن يوسع ذلك فرص الحياة أمامهم، الوسط البحرينية، العدد 61، 6 نوفمبر/تشرين ثان 2002، <http://goo.gl/cyUHt2>

18 المهاجرون أسرى العزلة الثقافة المضادة في الضواحي الفرنسية، جريدة العرب اللندنية، 18 يوليو/تموز 2013، <http://www.alarab.co.uk/?p=53285>

إسهامات المهاجرين في المجتمع الفرنسي سواء في الاقتصاد أو السياسة أو غيرهما من المجالات. يعزز هذا تراكم الصور النمطية السلبية.

### خاتمة:

اختزال أزمة المواطنة في أوروبا في العامل الثقافي، ثم حصره في البعد الهوياتي، ثم قصر الهوية على العنصر الديني، هو جوهر الأزمة وسبب تعمقها أكثر فأكثر، فلا بد التعامل مع الأزمة بنظرة أوسع فتهميش مناطق المهاجرين في السياسات، ومن ثم تحولها لكانتونات تعاني الاغتراب الاجتماعي، وتكرس حالة الانعزال الاقتصادي.

نظرية المواطنة الفردية والأحادية الاستيعابية تحتاج لإعادة نظر لكي تصبح تعددية بشكل كبير إن في تقبل المظهر أو الدمج للمهاجرين على اختلاف أصولهم وأديانهم، إذ أن شعور الأجيال الجديدة من المهاجرين بالاغتراب الثقافي والاجتماعي قد يصبح قبلة موقوتة ما لم يتم التعامل معه بمنطق تعددي. فما صلح لإدماج القادمين من الريف من أكثر من نصف قرن، لا يصلح للتعامل مع القادمين من أصول أخرى في ظل الانفتاح الثقافي السائد في عالمنا اليوم. وهو ما يربط الاستفادة من العمالة المهاجرة في تحقيق رخاء أوروبا الاقتصادي بخلق مجتمعات متعددة الثقافات، حيث يكون هناك قبول واحترام للثقافات المختلفة، وتقدير للمواهب والإمكانات، ويجب أن تشيع ثقافة التسامح، وأن يبدأ ذلك من السياسة التعليمية. ولا بد أن يواكب ذلك مجموعة من الاستراتيجيات المتعلقة بالأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية عبر مراجعة التشريعات التي تشعرهم بالعزلة والتهميش وعدم المساواة، من أجل نمط من التشريعات يحقق المواطنة بأبعادها المختلفة والقائمة على أساس العدالة وليس المساواة. وتوفر لهم حماية خاصة من التعسف الأمني وتحقق لهم قدر من التمكين الاقتصادي، وتمهيمهم من العنصرية على غرار القوانين الخاصة بالهولوكوست والتي تمثل للعرب نموذج للكيل بمكيالين. ودعم حقهم في التنظيم والاندماج في المجتمع المدني عبر إشراكهم في عمليات الحوار المجتمعي حول القضايا الوطنية، وليس فقط القضايا التي تخصهم. إضافة إلى ذلك من المهم تعريفهم بالأبعاد المختلفة للثقافة التي ينحدرون منها من خلال مثلا حركة ترجمة لتراث التنوير العربي الذي يجمله معظم

الفرنسيين من أصول عربية، إذ تشير الاستطلاعات أن علاقتهم بالثقافة العربية خاصة من ابنا الجيل الثالث والمولدون في أوروبا تقتصر على البعد الديني والمشايخ الذين ينتمون إلى التيار المحافظ على أفضل تقدير. أو حركة تبادل فني يستهدف وجود الفنانين خاصة المستقلين من الشباب العربي في مناطق تجمع الفرنسيين من أصول عربية واطلاعهم على ما يقدمه الشباب العربي من اسهامات وتطوير في مجال الموسيقى والسينما والفنون الأخرى.

كما يجب على الأكاديميين والسياسيين الأوروبيين مواجهة نظرية صراع الحضارات التي بدأت تعود للساحة من جديد، وذلك بالتعامل مع فكرة الهوية باعتبارها أوسع من الديانة، وذلك بتطويرها لتشمل أبعادا مختلفة، وهو ما سيسهل عملية إخراج الفئات المنغلقة على ذاتها للمجتمع الأرحب، إذا شعروا أن دينهم رغم إنه مختلف إنما ما هو إلا جزءا من هويته أوسع يشاركون باقي المجتمع فيها.



## لماذا ينضم الشباب من الجيل الثاني في أوروبا لجماعات العنف الراديكالية؟

محمد الصحي الخلفاوي

لن تكون سنة 2015 سنة عادية في تاريخ فرنسا. بدايتها دموية ونهايتها أكثر دموية.

الشعور الوطني الفرنسي ضرب في الصميم ومشاهد الضحايا مفترشين الأرض انتقلت من التلفاز إلى الشارع المقابل.

ردة فعل السلطات الفرنسية كانت الدعوة مباشرة إلى وحدة وطنية مقدسة في مواجهة هذا الخطر. مثل هذه الدعوات عادة ما تكون نتيجة مباشرة لهجمات تتعرض لها الأمة من عدو خارجي. وقد حدد هذا العدو: داعش. إشكال وحيد يطرح على هذا المستوى.

من هاجموا فرنسا ليسوا سوريين أو عراقيين. ليسوا سعوديين أو تونسيين أو مصريين التحقوا بصنف مقاتلي "الدولة الإسلامية". هم فرنسيون من أبناء الجمهورية، دخلوا مدارس الجمهورية وحملوا بطاقات هوية تحمل شعار الجمهورية. لهم استثناء وحيد عن بقية المواطنين الفرنسيين: هم من أبناء الجيل الثاني من المهاجرين الذين ساهموا في بناء القوة الاقتصادية لإحدى الدول العظمى في العالم. هي إذن فرنسا في مواجهة نفسها. والظاهرة تمس عديد البلدان الأوروبية الأخرى.

تتعدد محاولات الفهم والتفسير للأسباب والدوافع التي تجعل عددا من أبناء الأقليات الأوروبية المسلمة فريسة سهلة لفكر راديكالي قصوي لا يعترف الا بالمواجهة المسلحة والعنفية مع الدول التي ينتمون إليها.

فهم الظاهرة يستوجب دراسات في عدة مجالات تتقاطع بعضها مع بعض لإعطاء صورة متكاملة عن الوضع وفهم تعقيداتها وتعدد جوانبها.

فيما يلي طرح لبعض مفاتيح بحث سريع عن مسببات التحاق الشباب المسلم من أبناء الجيل الثاني للهجرة بالحركات الجهادية في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة.

## 1) أطروحتان تقليديتان في تفسير الظاهرة

يمكن تكثيف الحوارات الرامية لتفسير الظاهرة والمنعقدة في المجالين العام والأكاديمي في أطروحتين أساسيتين:

تتمثل الأطروحة الأولى في اعتبار تنامي فاعلية الحركات الجهادية نتيجة حتمية لصراع الحضارات. يعتبر هذا الطرح الثقافي (culturaliste) انخراط الشباب المسلم في الخيار الجهادي كدليل على عدم قابلية الإسلام للانصهار في المنظومة القيمية الإنسانية دونما إعادة قراءة شاملة للنصوص الدينية الإسلامية تلغي كل دعوة شمولية تميزه عن غيره.<sup>19</sup>

الأطروحة التقليدية الثانية تنتمي لمدرسة العالم الثالث (tiers-mondisme) وتعتبر أن صدمة ما بعد الاستقلال والتماثل مع القضية الفلسطينية ورفض التدخلات الغربية في منطقة الشرق الأوسط أو كذلك مواجهة مجتمعات تعاني العنصرية والرهاب من الإسلام (islamophobie) تعطي تفسيراً منطقياً لانخراط الشباب المسلم في الخيارات السياسية الإيديولوجية الجذرية.<sup>20</sup>

ما تغفله هاتان الأطروحتان البنيويتان هو أن الظاهرة السلفية عامة والجهادية خاصة لا تمس سوى عدد صغير من المسلمين الأوروبيين وفي مجال محدد وقابل للتعين من مجتمعات الهجرة<sup>21</sup>، إضافة لإشكالات أخرى خاصة بكل منهما على حدة.

---

19 يمثل المعلق الفرنسي إريك زمور Eric Zemmour أحد أشهر المدافعين عن هذا الطرح في المجال الإعلامي الفرنسي. في إحدى مداخلته: <http://is.gd/k8ZU8N>

20 يعتبر فرونسوا بيرغا، مدير بحوث في المركز الوطني للبحوث العلمية الفرنسي، أحد أهم المدافعين عن هذا الطرح.

ردا على أطروحات أوليفي روا Olivier Roy، أعاد بيرغا تجديد دفاعه عن أطروحات مدرسة العالم الثالث في مقال بعنوان: غير المنطوق في أسلمة الراديكالية في موقع مجلة الملاحظ الجديد الفرنسية. Le Nouvelobs. <http://is.gd/hAMPnR>

21 نشر مركز Soufan Group، بتاريخ 8 ديسمبر/كانون أول 2015، تقريرا استخباراتيا عن عدد أعضاء تنظيم "الدولة الإسلامية" يبين توزع الجنسيات داخله، <http://is.gd/5bcWO9>

أما الأولى، وبغض النظر عن كونها حاملة لوجهة نظر مركزية-غربية (occidentalocentrisme)، فإنها ترسم فهما جوهرانيا (essentialiste) للإسلام يغفل تعدد فرقه الكلامية والفقهية بل وحتى تعدد تظاهراته السياسية الحديثة من أحزاب وتيارات مختلفة لا تعبر عن نفسها بذات الطريقة. هو إذن مخيال يرى الإسلام كتلة نقية خالصة من الأحكام تخترق الزمان والمكان. يشترك هذا المخيال مع تصور الحركات الجهادية لظاهرة التدين الإسلامي التي هي في أصلها تعبيرة اجتماعية تعكس توازنات اقتصادية وجمعية وتاريخية معقدة ومتعددة.

وأما الثانية، فإن الإشكال الذي تطرحه هو إغفال الغياب التام للفلسطينيين والعراقيين والسوريين (أصحاب القضايا الناتجة عن التدخل الغربي المباشر) عن الأعمال الإرهابية التي عرفتها الأراضي الأوروبية. فضلا عن كون الوجهات المفضلة للجهاديين من حاملي الجنسيات الأوروبية هي مناطق النزاع الطرفية<sup>22</sup> (إذا ما استثنينا جاذبية العراق وسوريا اثر اقامة الدولة الإسلامية - وليس قبل ذلك) دون أن تشهد الأراضي الفلسطينية مثلا تسجيل حالة واحدة من حالات فتح جبهة جهادية جديدة أو استهداف للمصالح الإسرائيلية في أوروبا كما كان الشأن لحركات أقصى اليسار في السبعينيات.

إذا لم توفر هاتان الأطروحتان الآليات الكفيلة بفهم الظاهرة، فأبي مقارنة ممكنة لها؟

## 2) أسلمة الراديكالية

إذا كان التفسير القائم على اعتبار الخلل كامنا في العقيدة مبتورا وإذا كان إرجاع أسباب التطرف الأصلية إلى ردة فعل ضد هيمنة إمبريالية تستمر منذ قرنين أو أكثر منقوصا، فأبي سبيل لفهم الظاهرة؟ ومن أين نبدأ؟

---

22 Roy, Olivier, "Islamic terrorist radicalisation in Europe", in Amghar, Samir, Amel Boubekour and Michael Emerson (eds. ), European Islam - Challenges for society and public policy", Brussels, Center for european policy studies, 2007, p: 53

- معطى أساسي في التعامل مع الظاهرة: المسارات الاجتماعية لكل الشباب الذين قاموا بأعمال إرهابية في فرنسا تتشابه. هم:
- مواطنون فرنسيون من أبناء المهاجرين.
  - من متساكني الضواحي الباريسية.
  - لم ينجح أغلبهم في الانخراط في المسارات الاقتصادية والإنتاجية الكلاسيكية
  - انقطاع أغلبهم عن التعليم مبكرا أو عدم تمكنهم من الالتحاق بالتعليم العالي
  - تتراوح أعمارهم بين الثالثة والعشرين والواحدة والثلاثين عاما.
  - معروفون لدى السلطات الأمنية قبل سنة 2012 لارتكابهم عددا من جرائم الحق العام كاستهلاك المخدرات والسرقة والمشاركة في أعمال إجرامية ذات مدى محدود

- تحولت مراقبتهم الأمنية فيما بعد إلى خانة الاشتباه في اعتناقهم لفكر راديكالي متطرف.

هم إذن يشتركون مع عدد كبير من نظرائهم من أبناء المهاجرين في وضعية هشاشة اجتماعية تميز عموم الجيل الثاني من مسلمي فرنسا الأصيلين. هذه الهشاشة تميزها ثلاث مستويات من القطيعة مع الوضع العام لنظرائهم:

**أ. قطيعة اقتصادية:** يعاني معظم أبناء المهاجرين من صعوبة الاندماج في النظم الاقتصادية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة. تعود أسباب تعطل العملية الاندماجية لعدة معطيات تتفاوت في أهميتها ولعل أبرزها الفشل الدراسي المبكر. ينتقل الشباب المنقطعون عن المسارات التعليمية من أفق الانخراط في سوق الشغل الرسمية إلى ضرورة البحث عن موارد الرزق في القطاعات الموازية نتيجة تأهيلهم المتدني. تنتج هذه الوضعية فيما بعد قطيعة مع كل الأطر الرسمية الأخرى، السياسية والمدنية والاجتماعية.

في نفس الإطار يمكن كذلك ذكر عوامل أخرى مساعدة على استكمال القطيعة الاقتصادية تحتل مكانة ثانوية وتلعب دور المساعد في انتاجها أكثر من كونها المحدد الأساسي في تحقيقها من بينها: هيمنة ثقافة جيتوية (une culture de



Ghetto) تفشل الاندماج العلائقي مع بقية المجتمع من غير المنتسبين للجيل الثاني من المسلمين أو كذلك تنامي الرهاب من الإسلام والمسلمين كعائق لعملية التقبل الأولى في مختلف وسائط الإدماج الاقتصادي.

ب. **قطيعة ثقافية:** وهي قطيعة ثنائية، قطيعة مع الثقافة الغربية ولكنها كذلك قطيعة مع ثقافة البلدان الأصلية التي يحملها الجيل الأول، جيل الآباء.

أما القطيعة مع الثقافة الغربية فتتم تحت عنوان رفض الآخر المعاش والمتخيل كذلك. الملاحظ هنا هو فشل المثالين الأوروبيين الأبرز في عملية إدماج المهاجرين وأبنائهم: المثال الأنجلوسكسوني القائم على فكرة التعددية الثقافية (أين يصنف الوافد في خانة مجموعة اثنية-ثقافية. رغم تمتع هذه المجموعة بجملة من الحقوق والمزايا التي تتجاوز أحيانا تلك الممنوحة للمجموعة المواطنة الأصلية الا أنها تؤسس شبكات العلاقات الجمعية -les liens communautaires- وتساهم في منع عمليات الاندماج الاجتماعي) والمثال الفرنسي الاندماجي (أين لا يمكن للوافدين التمتع بوضع المواطنة الكاملة على المستوى العملي والمعيشي الا بالتخلي عن هويتهم الأولية والاندماج في المثال الثقافي والمجتمعي الذي تنتجه الدولة والنخب الملتصقة بالإرث اليهودي-المسيحي رفضا أو قبولا. يتحول المهاجرون في هذه الحال إلى آخر غريب رغم مواظته على المستوى القانوني).<sup>23</sup> تصبح الإشكالية المطروحة هنا إذا هي مدى قابلية هاذين المثالين على إعادة طرح تساؤلات تكوينها ومدى قابليتهما للمحافظة على فكرة التأسيس الأولى للنظام المجتمعي والسياسي القائم على لفظ الخصوصيات الثقافية من مجال تحديد السياسات العامة للدولة وإدراجها ضمن مجال الحريات الفردية في المستوى الخاص.

ولكن ما لذي يجعل ردة فعل أجيال الهجرة الأولى على النقيض تماما من ردة فعل أبنائهم على الأوضاع الاجتماعية المعاشة؟

المستوى الثاني من القطيعة الثقافية يتم القيام بها ضد جيل الآباء. الجيل الأول للمهاجرين منخرطون في تصور ديني مقحم أساسا على المستوى الثقافي وتم نقله من

---

23 Roy, Olivier, op. cit. , p: 56

المجتمعات الأصلية. ثورة الجيل الثاني على آباءهم تتضمن ثورة أخرى على هذا التصور الديني التقليدي، الثقافي في الدور المناط به والسليبي حركيا.<sup>24</sup> تتحول عملية نقل الانتماء الديني من الآباء إلى الأبناء إلى مجرد عملية جينية يغيب عنها عنصر التأثير والتشكيل المناط بعهدة الأجيال الأولى. هو إذا فشل أجيال الهجرة الأولى في نقل مخزونهم الثقافي والحضاري لأبنائهم. تتعدد أسباب هذه القطيعة ولكن لعل أبرزها على الإطلاق يبقى هشاشة الروابط الاجتماعية داخل العائلات بسبب انخراط الجيل الأول من المهاجرين ضمن شبكات الإنتاج الصناعية التي تحتم غياب العنصر المنوط به نقل الثقافة الجمعية والهوياتية داخل العائلة (أي الوالد في الثقافة الأبوية السائدة) لساعات طويلة يوميا عن الأبناء. تمس هذه الوضعية أساسا عائلات المهاجرين المغاربة في فرنسا وتستثني منها المهاجرين الأتراك مثلا أو القموريين الذين نجحوا في إقامة شبكات اجتماعية تضامنية تضمن حماية نفسها وعناصرها من خطر التفكك.

**ج. قطيعة سياسية:** وهي عملية لفظ للمسارات السياسية التقليدية التي تضمن إدماج كل العناصر المجتمعية داخل المنظومة التمثيلية وضمن المؤسسات السياسية الحاكمة حتى تتلافى الدخول في مواجهة قد تضعف النظام.

لعل أهم هذه الآليات تبقى الوظيفة الخطابية (la fonction tribunitienne) التي تعهد بها الدولة إلى التنظيمات والجمعيات والأحزاب التي تعلن معادتها للنظام القائم.<sup>25</sup>

لم تنجح الأطر الأصلية للحكم ولا الأطر البديلة في استقطاب أبناء المهاجرين عموما وعناصرهم الأكثر راديكالية خصوصا ليقى هؤلاء في أطراف أنظمة سياسية مرمزة رغم تعدد بناها الجهوية والمحلية. من بين عوامل عديدة أخرى، تمثل هذه القطيعة سببا لعدم تواجد أبناء الجيل الثاني في منطلق اكتساب السلطة وإنما في ديناميكية

---

24 Amghar, Samir, "Le niqâb, pour s'affirmer ?", Revue Projet 2010/7 (n° HS 01), p: 73

25 Charlot, Jean, Les partis politiques, Paris, Armand Collin, 1971, p: 109

المواجهة المفتوحة معها لتتخذ عناصرهم الأكثر راديكالية سبيل المواجهة المسلحة العنيفة الإرهابية كنهج تعبيرى.

نحن إذا بصدد جيل يعاني هشاشة اقتصادية وتعليمية ترجمت بإحداث قطيعة مجتمعية وجيلية وسياسية لتتحول عناصره الأكثر راديكالية والأكثر قابلية للثورة والأكثر استبطانا لعملية الوصم الممارسة ضده (la stigmatisation) إلى التيارات الإيديولوجية العنيفة الجذرية. هذا إضافة لواقع أن هذا الفكر المتطرف لا يمس كامل المجتمع المسلم وإنما جزءا أقليا منه.

يلعب هنا الفكر السلفى الجهادي مجرد دور القادح المسلح بأساليب متطورة في الانتداب والإقناع فوق أرضية خصبة تتميز بغياب روابط تثبيت لشباب يحمل أصالة الرغبة في التطرف ومواجهة المنظومة السياسية والاجتماعية القائمة دون الاهتمام أساسا بشكل الفكر المبشر به. تتجلى إحدى مظاهر هذا الرغبة في تبني العنف أكثر من اهتمام عناصره بكنه الفكر في جوهره في الغياب شبه التام للحوارات الكلامية العقدية عنهم وعن أساليب استقطابهم التي تمس بشكل أكبر بكثير معطيات واقعهم المعيش بصفة خاصة وواقع المسلمين في العالم بصفة أعم.<sup>26</sup>

يعبر أستاذ الأنثروبولوجيا الفرنسي ألان بارتو Alain Bertho عن هذه الفكرة بشكل أكثر حركية حين اعتبر أن "التحول إلى الفكر الجهادي هو أحد الخيارات الممكنة للتعبير عن الثورة ضد المعيش" خاصة وأن الفكر السلفى العنفي "هو اليوم أحد آخر العروض المتوفرة في سوق الطروحات السياسية الراديكالية"<sup>27</sup>. وقد ذهب أستاذ العلوم السياسية الفرنسية أوليفيه روا في نفس النهج "لينفي حصول تحول راديكالي داخل الإسلام" وليؤكد على كون الظاهرة هي في أصلها لباس إيديولوجي للظاهرة الراديكالية أو بطريقة أوضح "أسلمة للراديكالية"<sup>28</sup>.

26 Roy, Olivier, op. cit. , p: 57

27 حوار الموقع regards. fr مع ألان بارتو بتاريخ 11 مايو/آيار 2015 بعنوان "أسلمة الثورة الراديكالية".  
<http://is. gd/242JzL>

28 مقال نشر بموقع جريدة لوموند Le Monde الفرنسية بتاريخ 24 نوفمبر/تشرين ثان 2015 بعنوان "الجهادية ثورة جيلية وعمدية".  
<http://is. gd/8s7Go0>

### 3) قادح الانخراط في النهج الإرهابي: عن جاذبية "داعش"

ينحى عديد من المراقبين والدارسين للظاهرة السلفية الجهادية إلى إعزاء القدرة الهائلة لتنظيمات الإرهاب الإسلامي لحجم التمويلات التي تتمتع بها. رغم الأهمية القصوى لهذا المعطى فإنه يغفل حقيقة مهمة هي أن أغلب الشباب المنخرط في هذه التنظيمات هو من قام بالخطوة الأولى في اتجاه هذه المجموعات.

يتميز تنظيم "الدولة الإسلامية" بقدرة هائلة على الجذب، والعرض السياسي والمجتمعي الذي يقدمه يكاد يكون متوجها حصريا للجمهور الشبابي. تفيد كل التقارير الصحفية التي تم القيام بها حول مرتكبي الهجمات الإرهابية في أوروبا عن غياب أي ماضي تدين لدى الجهاديين وارتكاب أغلبهم لجرائم صغرى زجت بعدد منهم في السجون لمدد قصيرة.

ما تقدمه داعش لهؤلاء إذا، هي ولادة جديدة تحمل كليا ماضيهم مهما بلغت سوداويته من مدى لتدعوهم للالتحاق بذات جمعية عليا غير تلك المتوفرة في سوق مجتمعاتهم المصغرة والوطنية التي تلفظ خصوصياتهم الثقافية وتساهم من خلال بناها المادية والفكرية في إقصائهم. عملية الولادة الجديدة توفر لجمهورها حياة جديدة تنطلق من إطلاق اسم جديد يحمل شحنة نفسية هائلة في طريق "الجهاد" لتصل إلى حد توفير إجابات جاهزة عن أدق تفاصيل الحياة والممات. توفر هذه الولادة الجديدة نوعا من معاني حياة أفضل تعبر عن نفسها بمصطلحات جديدة وأسلوب معين في اللباس وتنظيم للحياة اليومية قائم على تقسيمها حسب أوقات العبادة الأساسية (الصلاة). تبلغ تجليات الولادة الجديدة أعلى مستويات عنفها باستعراض الأنا الجديد شديد القوة والتباهي باختيار أسلوب الموت في سبيل الغاية الجديدة السامية لتخلق بذلك قطيعة نفسية أخرى يصبح بموجبها الجهادي راغبا في الموت بنفس درجة حب الآخرين للحياة.

تمنح كذلك هذه الولادة الجديدة لجمهورها دورا أساسيا في بناء مجتمع جديد يمثل الشباب طليعته الحركية وقادته العمالئيين. يوم 24 نوفمبر/تشرين ثان 2012،

خطب أحد الدعاة السلفيين الجهاديين التونسيين، كمال زروق، في جمهور شبابي غفير في أحد الأحياء المتاخمة للعاصمة تونس ليقول:

"شباب الإسلام، إن الشعب ينتظركم، فعلموا الناس الدين ولنر معاملاتكم، ولنر أقولكم وأفعالكم في المجتمع بإذن الله. أنتم الخير وأنتم القادة وأنتم الصحة. أنتم ستقودون الأمة إلى النصر وقد قال فيكم النبي صلى الله عليه وسلم "يخرجون رجالا من المغرب يلبسون الصوف يفتحون جزيرة العرب..."<sup>29</sup>.

ينوط مثل هذا الخطاب بشباب الحركات الجهادية مهاما عظيمة وسامية كلف بها مؤسس الدين نفسه المخاطبين. ولكن الأهم في مثل هذا الخطاب هو تحويل المقصي اجتماعيا وثقافيا إلى سيد يعلم الطيب والمهندس والأستاذ تعاليم دينهم.

مثل هذا الخطاب يجد أبعادا أخرى لدى الشباب المسلم في أوروبا فهو يرسم لهم مهاما أسمى: هم خط الدفاع الأول عن مشروع إحياء المجتمع النبوي في مواجهة دار الكفر والحرب التي أقصتهم اجتماعيا وكذلك ضد دار الردة أين يعم إسلام هجين منحرف. فالإسلام الذي يبشر به الجهاديون هو إسلام "الفرقة الناجية" لذلك نجد هجوما ضد العائلات ويرفض سلطة الأئمة التقليديين. باختصار، هو إسلام يحول المقصين إلى مقصيين<sup>30</sup> تحت عنوان مشروع كبير سام متعال.

تمثل داعش اليوم لا فقط كما قال ألان بارتو العرض السياسي الأخير في سوق الراديكالية ولكنها كذلك العرض الأخير في سوق الطروحات السياسية المثالية التي لا تقدم مجرد ردود عن كيفية اقتسام السلطة أو إصلاحات نظام الجباية وغيرها بل تندرج في خانة العروض السياسية الشمولية التي تقدم تصورا كاملا عن العالم والخير والشر وتشكل الكون ونهايته...

29 ذكر في: الحاج سالم، جهاد، الشباب الجهادي في دوار هيشر: دراسة حالة اتنوجرافية، في الحاج سالم، محمد (إشراف)، السلفية الجهادية في تونس: الواقع والمآلات، المعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية، 2014، ص 215

30 تناول بيار فيدال ناكيه Pierre Vidal-Naquet نفس الفكرة عند حديثه عن جيل التأسيس لدولة إسرائيل.

Vidal-Naquet, Pierre, Les Juifs, la mémoire et le présent, tome 2, La Découverte, 1991, p: 16

#### 4) خاتمة؟

سوف تشكل داعش المشهد السياسي والثقافي والجيوستراتيجي العالمي لعقود آتية. وإذا أنتجت الحداثة الفكر الفاشي والنازي في القرن الماضي كوجه آخر للنظام الذي يضع الإنسان في مركزه فإن ما بعد الحداثة قد أنتجت هذا الابن الطبيعي القادر على استغلال واستعمال أفضل الإنتاجات التقنية للحضارة لمواجهتها.

فشلت إذا الحركات السياسية التقليدية في تلافي إنتاج الإرهاب الذي يقتل مبتسماً<sup>31</sup> لذلك فهي لن تكون قادرة على مواجهته واجتثاثه خاصة وأنها تبقى أسيرة أساليبها التقليدية في الفعل المجتمعي والسياسي. هي فقط حركات راديكالية أخرى تخاطب نفس جمهور الإرهاب بمضامين أخرى قد تكون قادرة على اجتثاثه الفكري والسياسي ولعل حركات مثل "بوديموس" أو النسخة الأصلية من "سيريزا" هي الحل الوحيد اليوم لمواجهة هذا الإرهاب.

---

31 حديث عن النبي محمد: الضحوك القتال يركب البعير ويلبس الشملة ويجتريء بالكسرة وسيفه على عاتقه

## دوافع الشباب الأوروبيين للانضمام للجماعات المتطرفة:

### داعش مثالا

سيذر أوزكان

تقوم هذه الورقة بتحليل الأسباب التي تدفع الشباب الأوروبيين للانضمام للجماعات المتطرفة وخاصة الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). لا يمكن فصل هذه الأسباب عن بعضها البعض حيث أن هذه الأسباب مجتمعة تخلق سبب واحد أكبر. ستتطرق الورقة لطرق التجنيد التي تتبعها الجماعات المتطرفة ولنوع المشاركة التي يقدمها المقاتلون الأوروبيون في داعش. في الجزء الأخير سيتم طرح العديد من التوصيات بشأن تعامل الجهات الرسمية الأوروبية مع هذا الخطر المتنامي.

### أوروبا تواجه الخطر الأكبر: داعش

التطرف ظاهرة معقدة لكن يمكن تعريفه على أنه الأنشطة والمعتقدات والمواقف التي تعتبر خارجة عن السياق الطبيعي. لكن المشكلة في هذا التعريف هو معايير ما هو "متطرف" وما هو "طبيعي" حيث يخضع هذان المفهومان لعدة عوامل منها السياسي ومنها الشخصي. كما أن المهمشين هم عادة من يلجأون للأعمال المتطرفة لأن أبواب المقاومة السلمية تغلق أمامهم. هذا لا يمنع أن المجموعات المهيمنة تمارس أيضا التطرف مما يتضح في العقوبات الحكومية التي تفرض على ميليشيات المتمردين أو الهجمات التي تقوم بها بوكو حرام في نيجيريا أو داعش في سوريا والعراق.<sup>32</sup> كما ارتبط التطرف عادة بأعمال العنف لكن توجد مجموعات تختار الوسائل السلمية كما تختلف كل مجموعة عن الأخرى في نوع العنف الذي يتم استخدامه خاصة فيما يتعلق بالأهداف فبينما تهاجم بعض المجموعات أهداف عسكرية تهاجم أخرى البنية التحتية وأخرى المدنيين العزل وهكذا. يشير مصطلح "الجماعات المتطرفة" هنا للتنظيمات الإسلامية المسلحة التي تتبنى رؤية صارمة

32 Onuoha, F C. (2012). "Boko Haram: Nigeria's Extremist Islamic Sect", Al Jazeera Centre for Studies, February 29 2012, 1-6.

للإسلام أي الفكر السلفي وتسعى لتطبيق الشريعة أو إحياء الخلافة الإسلامية. على سبيل المثال، قدمت داعش نفسها على أنها الجماعة الوحيدة القادرة على توحيد صفوف المسلمين تحت قيادة الخليفة أبو بكر البغدادي. نجحت داعش في تجنيد مقاتلين من مختلف أنحاء العالم ولا تزال تجذب أعضاء جدد من كارهي الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. تبني داعش وغيرها من الجماعات المماثلة على الجهاد والذي يتم تفسيره على أنه استخدام العنف كوسيلة مقاومة.

يقدر المسؤولون الأوروبيون عدد الشباب الأوروبيين المنضمين لداعش حتى الآن بحوالي 5 آلاف سواء في العراق أو سوريا مما جعل التطرف أحد أهم بنود الأجندة السياسية للدول الأوروبية وجعل أوروبا بأكملها في حالة تأهب.<sup>33</sup> ومن المعروف أن داعش لا تجتذب فقط مقاتلين من العالم العربي لكن أيضا من أوروبا خاصة فرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة. أحد أبرز الأمثلة اللاعب الألماني بوراق كيران الذي قتل في سوريا في أكتوبر/تشرين أول 2013<sup>34</sup>. يشير فالكو فالدي، المتخصص في الشأن العراقي في مؤسسة فريدريك ناومان بعمان، أن معظم الشباب المنضمين لداعش ينحدرون في الأصل للإيديولوجية التي تروج لها الجماعة كما أن داعش التنظيم الأكثر تطرفا والأكثر عنفا في المنطقة وهذا في حد ذاته يجذب الشباب الذين يبحثون عن هدف<sup>35</sup>. معظم هؤلاء المجندين اعتنقوا الإسلام حديثا وتبنوا الفكر السلفي الذي يتبع الصورة المثالية للمراحل الأولى للإسلام. يلعب المقاتلون الأجانب دورا ثانويا في نجاح داعش لكن تكمن أهميتهم في استخدام داعش لوجودهم كجزء من حملاتهم الترويجية فمن خلالهم تعلن داعش أن مقاتلوها لا يأتون فقط من العراق أو سوريا أو منطقة الخليج العربي بل أيضا من أوروبا.

---

33 في أبريل/نيسان 2013 قدر المركز العالمي لدراسة التطرف عدد الأوروبيين المنضمين للمتطرفين السوريين بـ 140-600 وفي ديسمبر/كانون أول من نفس العام قدر المركز العدد بـ 1937-396، <http://is.gd/KRWJRD>

34 Der Spiegel (2013) "Toter Islamist Burak Karan: Vom deutschen Nationalspieler zum Dschihadisten" [Burak karan: From National Football team to Jihad], Der Spiegel, 18. 11. 2013

35 لمزيد من المعلومات، <http://is.gd/xAqCi7>



على الرغم من قوة الاتحاد الأوروبي الاقتصادية والسياسية إلا أنه لم ينجح حتى الآن في تناول أزمة الفكر المتطرف وتأثيره على الأراضي الأوروبية وهذا يتضح من تزايد أعداد الأوروبيين المنضمين لداعش. تتركز مخاوف الاتحاد الأوروبي في نقل الجهاديين أنشطتهم المتطرفة من الشرق الأوسط لأوروبا وقد بدأ هذا بالفعل في هجمات باريس والمتحف اليهودي ببروكسل في 2015 والتي نفذها مقاتلون تلقوا تدريبات من داعش مما يوضح البعد الدولي للأزمة. نفس الأمر ينطبق على الهجوم على شارلي إبدو في باريس والذي تم تنفيذه بواسطة الفرع اليميني لداعش.

أحد الأسباب التي تجعل المسؤولين الأوروبيين غير قادرين على تناول مشكلة التطرف بالشكل المناسب هو عدم رغبة الشباب الأوروبي في الاستماع إليهم وهذا يرجع بشكل أساسي للاختلافات الثقافية بين الاثنين. على سبيل المثال، لا تدري الدولة في فرنسا أي خطاب تستخدم وأي نوع من القيم تشجع وهذه الأزمة الرئيسية في فرنسا. كما أن الجالية المسلمة في فرنسا تعاني من عدة مشاكل فعلى الرغم من التطور الذي حدث في علاقة المسلمين بفرنسا فيما يتعلق باللغة والثقافة واندماجهم التدريجي في النسيج الفرنسي لا تزال هناك مشاكل متعلقة بالتعليم بالنسبة لغالبية المسلمين. هذا يحجم من قدرة المسلمين أنفسهم على تناول أزمة التطرف بشكل ملائم داخل جاليتهم. كما أن غياب قيادات إسلامية معتدلة في فرنسا يؤهل الجماعات المتطرفة لملء هذا الفراغ والتأثير على الشباب. هناك عوامل أخرى مثل التمثيل المحدود للجالية المسلمة الفرنسية في منظمات المجتمع المدني وغياب الخبرة بين مسلمي فرنسا فيما يتعلق بالأمور الاجتماعية والسياسية والدينية وعلى رأسها التطرف. على سبيل المثال، يعاني الشباب الأتراك في فرنسا من الانقسام بين ثقافتين حيث أن قيمهم الثقافية والدينية ليست مماثلة للقيم الفرنسية السائدة بل أحيانا مناقضة لها فقد هاجر آبائهم من قرى تركية فقيرة كجزء من العمالة التي احتاجتها كل من فرنسا وألمانيا في الوقت الذي بدأ فيه الازدهار الاقتصادي في كلتا الدولتين أي حوالي عشر سنوات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. لم يتلق هؤلاء المهاجرون التعليم الكافي فلم يتمكنوا من إرشاد أولادهم إلى طرق الاندماج في المجتمع الجديد بينما لم يتوفر للأبناء أية وسيلة لتعلم الإسلام. بالإضافة إلى هذا يعاني الأتراك في فرنسا من

التمييز على جميع المستويات. وهنا يأتي دور الجماعات المتطرفة التي تظهر للاستجابة لاحتياجات هؤلاء الشباب وهذا ما يجب أن تتعامل معه الدولة الفرنسية. صرح الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند أنه يجب بذل المزيد من الجهد لتحذير العائلات الفرنسية من خطر حملات التجنيد للجماعات المتطرفة والتي رأينا أنها يمكن أن تستهدف الشباب من خلفيات مختلفة بما فيهم معتنقي الإسلام الجدد. في الواقع، يشكل معتنقو الإسلام نسبة عالية من المنضمين لداعش من فرنسا. كشف استبيان أجرته مركز الوقاية من الانحراف العقائدي المرتبط بالإسلام بفرنسا أن 90% ممن تبنا الفكر المتطرف لديهم أجداد فرنسيون و80% ينحدرون من عائلات ملحدة<sup>36</sup>. على الجانب الآخر، يعتقد وزير الداخلية الألماني توماس دي ميزير أن الإسلاميون من ألمانيا يتعاونون مع داعش في العراق وأضاف: "بما أننا نعرف أن داعش هي نفس المنظمة التي تقاتل في سوريا يمكننا الاستنتاج أنه يتم نشر المقاتلين الأوروبيين في العراق أيضا وهذا يشكل قلقا بالغالنا"<sup>37</sup>.

كما تختار داعش أماكن محددة تراها مناسبة لتجنيد الشباب مثل السجون بالمساجد والجامعات والمقاهي والنوادي الرياضية وهكذا. وتقوم داعش بالترويج لنفسها من خلال العديد من مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك ويوتيوب وتويتر وتامبلر والعديد من المدونات وتصدر مجلة شهرية تدعى "دابق". وفقا لفالدي تستخدم داعش شبكة الإنترنت لتجنيد المقاتلين الجدد<sup>38</sup>. كما أضاف أن التقارير تشير أن الشباب المقاتلين يتحولون إيديولوجيا بشكل كامل: "نحن بصدد تفسير متطرف وأصولي للإسلام يسيطر على كل مناحي الحياة وكل من يعتقد هذا الفكر لديه القدرة على تنفيذ أعمال إرهابية في أوروبا"<sup>39</sup>. بالإضافة إلى ذلك فإن

---

36 <http://www.bbc.com/news/world-europe-30119868>

37 رجاء الاطلاع على تصريح وزير الداخلية الألماني في يناير/كانون ثان 2014 والذي قال فيه: "لا نريدهم أن يعودوا وقد اكتسبوا قدرات قتالية ليصبحوا هجمات هنا".

Bundesminister Dr. Thomas de Maiziere beim Rat der Justiz- und Innenminister - "Foreign fighters" Problem für die EU, <http://is.gd/ANWEJn>

38 German jihadists on ISIS terror mission: <http://is.gd/gnMSuY>

39 المصدر السابق

الفيديوهات ومواقع التواصل الاجتماعي ليست الوسيلة الأساسية للتجنيد حيث أن ديناميكيات العنف في التنظيمات السرية ذات سمة علائقية مما يعني أنها نتيجة عملية تفاعلية بين عدة عوامل والتي تشمل الحكومات وسياساتها سواء الداخلية أم الخارجية. كما تصاعد القلق من تحول الشباب للتطرف حين تم نشر تقارير مخبرائية مقلقة وعند تدفق التقارير الإخبارية حول المواطنين الأوروبيين الذين يسافرون لسوريا للقتال في صفوف المعارضة السورية<sup>40</sup>. كما يأتي استخدام داعش لشبكة الإنترنت كأحد أهم العوامل المؤثرة على نجاح الحملات الدعائية التي يقوم بها التنظيم سواء لجذب المقاتلين أو إذاعة مشاهد الإعدام وما تفعله أوروبا في الأخيرة هو التركيز على المقاتلين ذوي الملامح الأوروبية وعلى الرموز الإسلامية التي يتم استخدامها بدلا من التركيز على الضحايا ولهذا حققت داعش نجاحا حيث تمكنت من استدراج الدول الأوروبية ودفعها لاتباع الخيوط التي يختارها التنظيم<sup>41</sup>. كما أن الدعاية التي تستخدمها داعش ذات تأثير هام حيث أنها توحى بأن التنظيم سيقوم بحماية المهمشين وخاصة السنة الذي اضطهدهم بشار الأسد في سوريا والنظام الشيعي في العراق ويمتد هذا المنطق ليشمل السياسات الظالمة للولايات المتحدة والغرب فيما يتعلق بالمسلمين والشرق الأوسط. تقوم داعش أيضا باستخدام مفاهيم الجهاد والهجرة على أنهما من الأركان الأساسية في الإسلام لتشجيع الشباب على الانضمام كما يجذب الكثيرون للمكاسب المادية التي سيقومون بتحقيقها بعد الانضمام<sup>42</sup>.

عادة ما يكون المنضمون مواطنين فرنسيين لديهم وثائق السفر اللازمة التي تمكنهم من الذهاب للحدود التركية ثم الانضمام لداعش. حين يعود هؤلاء الشباب لبلادهم يكونوا قد تحولوا تماما للفكر المتطرف وقد يعاني بعضهم من صدمة نفسية لكنهم في جميع الأحوال يعودون بعد اكتساب خبرة في القتال. يتم الآن النظر في

---

40 Martin Chulov (2012), "Syria: Foreign Jihadists could join battle for Aleppo", The Guardian, 30. 07. 2012

41 What is driving French nationals to join Islamic State? By Lucy Williamson, BBC News, Paris: <http://is.gd/TGQqke>

42 أوراق ورشة أمل مختار، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، نوفمبر/تشرين ثان 2015، القاهرة، مصر

الإجراءات القانونية التي يمكن اتخاذها لمنعهم من دخول البلاد مرة أخرى. في فرنسا، ينظر أصحاب الفكر المشابه لهؤلاء العائدين على أنهم أبطال وأحياناً يتم استقبالهم كالنجوم<sup>43</sup>. في هذه الحالة يجب على المسؤولين الأوروبيين أن يسألوا أنفسهم عن إمكانية تحول الشباب لخطر على الغرب. إذا كانت الإجابة نعم فكيف ستقوم الدول الأوروبية بالتعامل مع هذا التحول؟ وهل يمكن تخليصهم من الفكر المتطرف أم من الأفضل إبقائهم خارج أوروبا؟ جميعها أسئلة تتطلب رد في أسرع وقت ممكن. في يناير/كانون ثان 2008 تم تقديم تقرير للبرلمان الأوروبي بعنوان "منع التطرف الداعم العنف والتجنيد للعمليات الإرهابية في الاتحاد الأوروبي: الخطر الذي تشكله الجماعات الإسلامية المتطرفة على أوروبا"<sup>44</sup>. يشير التقرير للنقاط التالية:

- لا يجب فصل التحول للفكر المتطرف عن سياقه الاجتماعي والسياسي ويجب دراسته في نطاق أوسع وتحديدًا من خلال سوسيولوجية الصراع ودراسات العنف.
- لا يجب تحليل الفكر المتطرف على أنه المرحلة السابقة للإرهاب وافترض أن يمكن منع هذا التطور للعنف من خلال المراقبة المكثفة لجالية أو أقلية ما.
- لا يجب تحليل التطرف على أنه عملية تسير في خط مستقيم بل يجب الأخذ في الاعتبار أنه ديناميكية علائقية.
- يجب الانتباه لديناميكيات التصعيد والتهدئة عند تحليل الفكر المتطرف.<sup>45</sup>

---

43 <http://www.dw.com/en/german-jihadists-on-isis-terror-mission/a-17710907>

44 Didier Bigo, Laurent Bonelli (2008), Preventing Violent Radicalisation and Terrorist Recruitment in the EU. The Threat to Europe by Radical Islamic Terrorist Groups, Briefing Paper for the European Parliament, PE 393. 277. Available at: <http://is.gd/FHaj6D>

45 EU Parliament Study: Countering Youth Radicalization in the EU: <http://is.gd/MgNc5g>

## دوافع انضمام الشباب الأوروبي لداعش

أصبح التطرف أحد الأولويات الأساسية على الأجندة السياسية للاتحاد الأوروبي وزادت أهميته بعد عودة العديد من المقاتلين لبلادهم من سوريا والعراق. حين بدأ الشباب الأوروبيون في الانضمام لداعش، كانت عدة دول أوروبية مثل المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا تميل لتجاهل الأمر طالما تخلصت من الوجود للمتطرف على أرضها. بعد هجمات باريس في 13 نوفمبر/تشرين ثان 2015، بدأت الحكومات الأوروبية بالاشتراك مع خبراء الجماعات المتطرفة في مناقشة دوافع الشباب الأوروبي في الانضمام لداعش والأسباب التي تدفعهم لارتكاب أعمال وحشية ضد أبناء وطنهم. اتضح في هذا الوقت أن داعش لم تكن فقط تزيد نفوذها في العراق وسوريا بل كان هذا النفوذ يمتد لمواطني العديد من الدول خارج المنطقة خاصة أوروبا الغربية. ينتمي معظم المواطنين الأوروبيين المنضمين لداعش للجيل الأول أو الثاني من المهاجرين القادمين من أفريقيا أو الشرق الأوسط أو آسيا. رغم أن هؤلاء المقاتلون قد تلقوا تعليمهم في مدارس أوروبية وعاشوا في مجتمع ديمقراطي منفتح إلا أنهم قرروا التخلي عن هذه الحياة والانضمام لصفوف جماعات الإسلام الراديكالي. في نفس الوقت، يقول الخبير في الإسلام مايكا كيفير إن الشباب الذين لم ينالوا قسط وافر من التعليم والذين أتوا من بيئة عائلية مضطربة هم الأكثر عرضة للانضمام للجماعات المتطرفة: "يجب أن تجتمع عدة عوامل سلبية ليتجه الشباب للتطرف. حين يقابل الشباب الذين يمرون بظروف مضطربة من يعاملهم باحترام ويشعرهم بالتضامن ويخبرهم بالطريق الذي يجب أن يتبعوه يمكن أن تتحول حياتهم بشكل جذري"<sup>46</sup>. كما أن أحد الأسباب التي قد تدفع الشباب للانضمام لداعش هو الحياة بدون هدف مما يجعلهم ينجذبون لعنف وقسوة داعش فيتحولون بسرعة أكبر للتطرف. كما أن داعش لديها العديد من المتابعين على شبكة الإنترنت في فرنسا وبلجيكا وهؤلاء يقتنعون بفكرة الجهاد كوسيلة للانتقام من مجتمع يميز ضدهم ويوقعهم تحت العديد من الضغوط ويعاملهم كأجانب. يقول الخبراء إن هؤلاء الشباب ليس لديهم المعرفة

---

46 المرجع السابق

الكافية بالدين مقارنة بالأجيال التي سبقتهم. كما أن القاعدة كانت أكثر انتقاء للجهاديين وهذا لا ينطبق على داعش التي ترحب بكل من يرغب في الانضمام مما يجعل انضمام الأوروبيين أكثر سهولة. يتحدث أنتوني جليز، الأستاذ بمركز دراسات الأمن والاستخبارات بجامعة باكينجهام، عن حالة بريطانيا: "لماذا ينضم البريطانيون لداعش؟ من وجهة نظري هذا يرجع لسهولة انتشار الفكر الإسلامي المتطرف في بلادنا تحت ستار الدين وحرية التعبير والتعددية الثقافية".<sup>47</sup> كما ساهم في انضمام الأوروبيين لداعش التمييز الذي يعاني منه المواطنون المنتمون للجالية الإسلامية خاصة مع تصاعد العداء ضد الإسلام أو الإسلاموفوبيا وهذا بدوره يسهل من انتشار الفكر المتطرف للجماعات التي ترغب في تجنيد مقاتلين جدد. كما أن الطريقة التي يتم بها النظر للجاليات المسلمة في أوروبا لا تساعد على الاندماج بل تخلق المزيد من الاغتراب. كل هذا يثير التساؤل حول المستقبل الأمني لأوروبا حيث يمكن هؤلاء المقاتلين العودة لبلادهم وتنفيذ عمليات انتحارية بها وأيضا يلفت الانتباه مدى اندماج الأقليات في المجتمعات الأوروبية.<sup>48</sup>

على عكس الاعتقاد السائد أن داعش تستهدف المسلمين شديدي التدين، اتضح أن الشباب المنتمين لعائلات علمانية هم أيضا عرضة للانضمام للجماعات المتطرفة بل هم ضمن أهداف هذه الجماعات حين تسعى لتجنيد أعضاء جدد.<sup>49</sup> على سبيل المثال تركت فتاة في السادس عشر من عمرها تدعى إليف أوسكورجي منزلها وأخبرت عائلتها أنها ذاهبة لمنزل إحدى صديقاتها ولم تعد. يحكي والدها أتيليا أوسكورجي أن ابنته كانت قد بدأت تتغير وعبرت عن رغبتها في ارتداء الحجاب: "لقد سعدنا بهذا لأن عائلات مثلنا تجد صعوبة بالغة في حماية الفتيات في المجتمع الألماني. لكن بعد فترة وجيزة عبرت إليف عن رغبتها في ارتداء النقاب مما أثار قلق العائلة لكن في النهاية استجابوا لرغبتها. بعد ذلك بدأت إليف تتحدث عن المسلمين الذين يتم

47 The "Europeans" in ISIS , 12 Oct 2014 , <http://one-europe.info/the-europeans-in-isis>

48 Strengthening the EU's response to radicalisation and violent extremism, European Commission, 15. 01. 2014 (IP/14/18)

49 <http://is.gd/4imkmC>

قتلهم في سوريا والشرق الأوسط وأشارت أن داعش تقاوم ذلك الطغيان لكن حتى هذا لم يثر شكوك العائلة. لم يكن الأب يعرف سوى القليلين من أصدقاء إليف كما لم تكن عائلتها على دراية بما تفعله على مواقع التواصل الاجتماعي. "لكنها لم تكن تقبل إضافة أي منا على حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي." " لم تشك العائلة في شيء حين قالت إليف إنها ذاهبة لمنزل صديقة لا يعرفونها. حين لم تعد في اليوم التالي بدأت العائلة في البحث عنها لكن دون جدوى فلم تكن في المدرسة ولم يكن أي من أقاربها يعرف عنها شيء. ثم اكتشفت الشرطة الألمانية أن إليف انضمت لداعش لكن حين وصل الأب إلى اسطنبول كانت هي قد عبرت الحدود بالفعل. حدث شيء مشابه مع امرأة تبلغ من العمر ٢٥ عاما وتدعى دويجو دوغان تركت منزلها في فرانكفورت ولم تعرف عائلتها سوى أنها اتجهت لمنزل صديق لها في سوريا يدعى سلجوك. يوضح هذان المثالان كيف يهدد تأثير داعش العائلات العلمانية في أوروبا.

لا ينجح أبناء المهاجرين في أوروبا في الهروب من كونهم "الآخر" مهما حاولوا الاندماج في أسلوب الحياة الحداثي الذي تفرضه أوروبا ويتضح هذا على سبيل المثال في الهجمات المتكررة التي تتعرض لها الفتيات المحجبات في أوروبا والتي تحولت لحوادث عادية. قد يؤدي مزيج الشباب والرغبة الشديدة في الاستقلال لخلق فجوة بين العائلة والطفل الذي يفتح على العالم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي مما قد يحوله لطفل منطوي. هذا الانعزال يجعل الشخص أكثر عرضة للاستسلام للتأثير الخارجي ويزداد المعدل كلما صغر السن. كما أن المنظمات الإسلامية في أوروبا لم تستطع احتواء الشباب وملء الفراغ حيث أن الحكومات المعادية للإسلام تفرض العديد من القيود على هذه المنظمات. لذا يجب على الحكومات الأوروبية تطوير سياسات خاصة بالأقليات والمسلمين تحديدا وتغيير معايير الحكم على هذه الأقليات.

### خاتمة

يعد تحول الشباب الأوروبيين للتطرف أمراً حيويًا بالنسبة للمجتمع الأوروبي. كما يتضح أن شيء ما لا يسير على ما يرام في أوروبا فلو كانت الأقليات اندمجت بالفعل كما يبدو ظاهرياً لأصبح المواطنون المنتمون لهذه الأقليات أعضاء فاعلين في المجتمع ولما

انضموا للجماعات المتطرفة بهذا الحماس. نظرا لأسباب تتعلق بالخصوصية الثقافية، لا تستطيع أوروبا التواصل مع الشباب بشكل فعال. من المهم أن يحاول المسؤولون الأوروبيون التواصل مع الشباب ومن المهم أيضا أن يبدي الشباب استعدادهم للاستماع للمسؤولين. يمكن تفسير الموقف الحالي بين الطرفين باستخدام مصطلح إدوارد سعيد "نحن وهم" حيث يصبح المؤلف ثقافيا "نحن" وغير المؤلف "هم". هذا ينطبق على كل من المسؤولين الأوروبيين والشباب. من المهم في هذه الحالة التواصل مع الشباب بلغة يفهمونها ومن خلال أشخاص يشعرون بالتقارب معهم.

تثير الأعداد المتزايدة من المقاتلين الأوروبيين في داعش التساؤلات حول كيفية تصرف المؤسسات الأمنية حال عودتهم لبلادهم وإذا كان السماح لهم بالعودة لن يهدد البلاد التي عادوا إليها. بدون دعم الخبراء والأكاديميين وبدون التعاون مع الحكومات الأوروبية لن يتم حل هذه الأزمة. بينما يعاني الشباب الأوروبيون من التمييز والعنصرية والبطالة تستغل الجماعات المتطرفة نفس هذه المشكلات لتجنيدهم ويكسبون بالفعل أعضاء جدد. لذا إذا تحلى الاتحاد الأوروبي عن هؤلاء الشباب وتركهم ليحلون مشاكلهم بأنفسهم ستملاً الجماعات المتطرفة هذا الفراغ بمنتهى السهولة. على الحكومات الأوروبية أيضا التعاون مع منظمات المجتمع المدني والمؤسسات والأكاديميين للعمل على حل مشكلة اتجاه الشباب للفكر المتطرف. وبما أن مشكلة التحول للتطرف عابرة للحدود يجب أن يكون التعاون على مستوى دولي وعبر الثقافات خاصة حيث أن المنضمون لداعش يأتون من خلفيات ثقافية وقومية ولغوية وعرقية مختلفة فهم ألمان وفرنسيون وأكراد وأمريكيون بيض ونيجيريون وشيشانيون. على أقل تقدير يجب على الدول التي يأتي منها المنضمون لداعش التعاون لمواجهة ظاهرة التطرف.

يوجد بعض العقبات التي يجب تخطيها من أجل تحقيق ذلك. على سبيل المثال، يجب تخليص الشباب المتطرف في أوروبا من هذا الفكر وهذا يعتمد على ثلاثة عوامل. أولا، على الحكومات الأوروبية أن تبدي استعدادا حقيقيا للعمل على إدماج الشباب في المجتمع الأوروبي وهذا يتطلب وضع العديد من السياسات النابعة من رغبة حقيقية في إدماج الشباب وليس إعادتهم للدول التي جاءوا منها. ثانيا، يجب توفير تفسير معتدل للإسلام يتم توصيله للشباب من خلال المؤسسات القانونية بحيث يستطيع



هؤلاء الشباب تلقى المعرفة الدينية المرضية لهم. ثالثاً، يجب قطع الصلة بين الشباب والجماعات المتطرفة وهذا يتطلب تعاون من العائلات ومنظمات المجتمع المدني والحكومات الأوروبية والإسلامية. في الوقت الحالي تتمثل الصعاب الأساسية في العزلة الاجتماعي ونقص المعرفة والتواصل مع الجماعات المتطرفة.



# لماذا ينضم الشباب الأوروبيون للجماعات الإسلامية المتطرفة: الأسباب والمفاهيم الخاطئة

حازم فؤاد

## 1. مقدمة

وفقا لتقرير حديث صدر عن مجموعة صوفان يقدر عدد المنضمين من غرب أوروبا للجماعات المتمردة في سوريا والعراق بحوالي 5000<sup>50</sup> وهو أكبر من عدد نظرائهم من أمريكا الشمالية وجنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادي (حوالي 2200) مما يثير التساؤل حول دوافع هؤلاء الشباب. تناقش هذه الورقة أولا الأسباب التي تجعل التفسيرات السائدة لهذه الظاهرة غير دقيقة حيث أنها تتعامل معها من جانب واحد ثم تحلل العوامل المختلفة التي قد تؤدي لانضمام الشباب لجماعات العنف والتي في الوقت ذاته قد تجعل الفكر الإسلامي المتطرف جذابا لعدد كبير منهم. تقدم الورقة في النهاية مجموعة من التوصيات التي من شأنها الحد من هذه الظاهرة.

## 2. المفاهيم الخاطئة السائدة

عقب العديد من الهجمات الإرهابية مثل تلك وقعت في باريس في نوفمبر/تشرين ثان 2015 أصبح ضروريا أكثر من أي وقت مضى التعرف على الأسباب التي تدفع الشباب للتحويل لمتطرفين يمارسون أعمال العنف. يتم استخدام العديد من الأساطير الشائعة فيما يتعلق بالراديكالية الإسلامية على رأسها عدم القدرة على الاندماج والانعزال في مجتمعات موازية وانتشار الأفكار المتطرفة على شبكة الإنترنت والتمييز ضد المسلمين والسياسات الخارجية الغربية في العالم الإسلامي. ستوضح هذه الورقة عدم قدرة هذه الأسباب على تفسير الخلفيات المختلفة للشباب الذين غادروا أوروبا للانضمام للقتال في سوريا والعراق.

---

50 Barret, Richard et al. (2015). 'Foreign Fighters. An Updated Assessment of the Flow of Foreign Fighters into Syria and Iraq'. The Soufan Group. December 2015. <http://is.gd/5bcWO9> p. 5.

تقول الأسطورة الأولى أن الحياة داخل مجتمعات مغلقة توفر بيئة خصبة لانتشار التطرف<sup>51</sup> ومن المفترض أن هذا ينطبق بشكل خاص على المسلمين، ويرى داعمو هذه الفرضية أن الإسلام هو العائق الذي يحول دون اندماج هؤلاء الشباب في المجتمعات الغربية. لكن يمكن دحض هذه الرؤية من خلال الإشارة لأن الغالبية الساحقة من مسلمي أوروبا لا يدعمون التطرف الإسلامي ولا يرون تعارض بين أن يكون المرء أوروبياً ومسلماً في ذات الوقت.<sup>52</sup> كما أن بالنظر لحياتهم قبل الانضمام للقتال نجد أن معظم هؤلاء الشباب كانوا مندمجين بشكل كامل في المجتمع وكثيرون منهم تفوقوا في المدرسة والتحقوا بالجامعة وانضموا لنوادي رياضية وكان لهم أصدقاء من غير المسلمين. بالإضافة إلى ذلك فإن فرضية الانغلاق لا تنجح في تفسير وجود العديد من معتنقي الإسلام بين هؤلاء الشباب (حوالي 20%) وهم بطبيعة الحال لم يعيشوا في مجتمعات موازية ولم يعانون من عدم الاندماج.<sup>53</sup>

أما فرضية أن انتشار الفكر الجهادي عبر شبكة الإنترنت هو ما يدفع الشباب للانضمام للجماعات المتطرفة فهي تثبت الشيء وعكسه. من جانب ترى الجماعات اليمينية أن لا فرق بين الإسلام والفكر الجهادي وبالتالي فإن الدين نفسه هو السبب

---

51 Reinike, Joachim (2015). 'Radikalisierung in Parallelgesellschaften...'. Focus Online. 15. 11. 2015. <http://is.gd/C3y9dp>.

52 تقدر الوكالة الفيدرالية لحماية الدستور بألمانيا عدد السلفيين المتطرفين في البلاد بـ8000 منهم 1100 يدعمون الجانب الجهادي لهذه الإيديولوجية بينما يقدر عدد المسلمين المقيمين في ألمانيا بأربع ملايين دون إضافة اللاجئين المتدفقين في الفترة الأخيرة مما يعني أن نسبة السلفيين المتطرفين لا تزيد عن 2%.  
N. A. (2015). 'Verfassungsschutz: 1100 islamistische Gefährder in Deutschland.' Die Presse. 2015. <http://is.gd/Nbynld>. For the concept of 'hybrid identities' see Mersch, Britta (2012). "Young Moslems wish to play their part in shaping Germany". An Interview with Naika Foroutan'. Goethe Institut. 2012. <http://is.gd/OJ4lHn>.

53 المقصود بمعتنقي الإسلام هنا الأوروبيون من غير ذوي الأصول الإسلامية والذين اتبعوا قبل إسلامهم دين آخر أو لم يتبعوا أي دين على الإطلاق. جدير بالذكر أن معظم المسلمين المنضمين للجماعات المتطرفة لم يعرف عنهم أداء الشعائر الإسلامية أو اتباع مبادئ الإسلام لذا يمكن اعتبارهم معتنقين جدد للإسلام المتطرف.

في اعتناق الفكر المتطرف<sup>54</sup>. على الجانب الآخر تعبر المؤسسات الإسلامية عن استيائها من لجوء الشباب لشبكة الإنترنت بدلا من الذهاب إلى المساجد المحلية مما يؤدي لاعتناقهم النوع الخاطئ من الإسلام<sup>55</sup>. هذه الرؤية الأخيرة ليست عارية تماما من الصحة حيث يسود الفكر الراديكالي المواقع الدينية التي يلجأ لها الشباب دون القدرة على التفرقة ما بين التعاليم الإسلامية والفكر المتطرف. لكن الدراسة التي قامت بها المحابرات الألمانية عن المقاتلين الألمان أوضحت أن الاندماج في المشهد المتطرف والعلاقات الاجتماعية سواء مع العائلة أو الأصدقاء أو في المدرسة تلعب دورا أكبر من الإنترنت والتي تأتي في المركز الثالث<sup>56</sup>. اعتاد كثيرون من الشباب الذين انضموا للجماعات الجهادية على الذهاب بانتظام للمسجد المحلي لكن حين لم يجدوا ما يبحثون عنه هناك اتجهوا للإسلام الأكثر راديكالية.

كما ساد الاعتقاد أن التمييز ضد المسلمين والسياسات الخارجية للدول الأوروبية من أهم أسباب انضمام الشباب للجماعات المتطرفة<sup>57</sup> لكن تظل التساؤلات مطروحة حول ما إذا ان هذا صحيحا. أثبتت العديد من الدراسات وجود تمييز ضد المسلمين في أوروبا بالفعل مما يتضح في العديد من المجالات مثل التعليم وسوق العمل والإسكان والتحرش سواء لفظي أو بدني<sup>58</sup> كما حدث ارتفاع ملحوظ

---

54 على الرغم من وجود جماعات إسلامية عنيفة أخرى مثل حماس وحزب سوف يتم استخدام مصطلحات "الإسلام الداعم للعنف" و"الفكر الجهادي" بالتبادل من أجل تبسيط الأمور.

55 Bewarder, Manuel et al (2013). 'Verbrecher, Mörder, die den Islam kidnappen'. Die Welt. 19. 09. 2014. <http://is.gd/ygOrYb>.

56 لا تدعم كل التيارات السلفية العنف لكن تقريبا جميع المقاتلين الأجانب الذين انضموا للجماعات الجهادية كانوا مندمجين في المشهد السلفي كما سيتضح من الحاشية رقم 59

57 Schroerer, Clemens (2014). 'Zwischen friedlichem Islam und Salafismus: „Es geht uns alle an – warum Jugendliche zu Dschihadisten werden können“'. Nordstadt Blogger. 25. 11. 2014. <http://nordstadtblogger.de/19953>.

58 European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia (2006). 'Muslims in the European Union. Discrimination and Islamophobia'. EUMC. 2006. <http://is.gd/taV2St>. For the German context see Peucker, Mario (2010). 'Diskriminierung aufgrund der islamischen Religionszugehörigkeit im Kontext Arbeitsleben – Erkenntnisse,

في العداة العام للإسلام أو الإسلاموفوبيا وكذلك التمييز ضد الأجانب بشكل عام.<sup>59</sup> لكن لو كانت هذه الفرضية صحيحة لوصل عدد المقاتلين الألمان في سوريا والعراق لـ75 ألف وليس 750<sup>60</sup> كما أن التعامل مع التمييز يختلف من شخص لآخر ولا يتصرف جميع ضحايا التمييز بنفس الطريقة ويتحتم دائما أخذ مسألة معتنقي الإسلام الجدد التي تمت الإشارة إليها سابقا في الاعتبار دائما. تقول ميلينا أولمان، الباحثة في التطرف بجامعة هومبولت ببرلين، إن "معتنقي الإسلام لا يدفعهم الإحباط بل الفضول".<sup>61</sup>

كما أن افتراض أن الحركات الإسلامية لا تنشأ بدون العداة للإسلام خاطئ لأن التاريخ أثبت أن الحركات الإسلامية نشأت تحت ظروف مختلفة تماما على مدار القرن العشرين. لهذا فمن المحتمل أن العداة للإسلام زاد من حدة التطرف لكنه لم يكن السبب في نشأته خاصة وأن الراديكالية في الإسلام بنيت على أيديولوجية هي في أصلها متطرفة وليست كرد فعل لعوامل خارجية. هذا أيضا ينطبق على الدور الذي تلعبه السياسة الخارجية الأوروبية فعلى الرغم من أن المعايير المزدوجة للحكومات الأوروبية تساهم بلا شك في الترويج للعديد من الجماعات المتطرفة مثل القاعدة وداعش إلا أنه من الخطأ الاعتقاد أن تغيير السياسات الخارجية للدول الأوروبية كفيل بحل المشكلة. أولا، تعتمد أيديولوجية هذه الجماعة على إقصاء وإعلان الحرب على كل من لا يتبنون أفكارها بغض النظر عن سلوكهم مما يعني أن هذه الجماعات

---

Fragen und Handlungsempfehlungen. Erkenntnisse der sozialwissenschaftlichen Forschung und Handlungsempfehlungen'. Antidiskriminierungsstelle des Bundes. 2010. <http://is.gd/4pT8XC>  
59 Vopel, Stephan (2015). 'Religionsmonitor. Verstehen was verbindet. Sonderauswertung Islam 2015. Die wichtigsten Ergebnisse im Überblick.' Bertelsmann Stiftung. 2015. <http://is.gd/BEb42f>

60 للاطلاع على قراءة نقدية للتفسير الاجتماعي والاقتصادي رجاء مراجعة:

Williams, Jennifer (2015). 'Sorry, Europeans joining ISIS probably can't be explained in one chart'. VOX. 02. 12. 2015. <http://is.gd/fs608t>

61 Alvi, Anna; Hübsch, Alia. 'Dr. Milena Uhlmann: „Die Menschen sind nicht frustriert, sondern neugierig“'. Milieu. 01. 09. 2015. <http://is.gd/njy45I>.

ستجد دائما سبب أو آخر لتبرير أفعالها. ثانيا، على الرغم من أن عدد كبير ممن يقيمون في الغرب سواء مسلمين أو غير مسلمين ينتقدون السياسات الخارجية للدول المقيمين بها فهم في الوقت ذاته لا يدعمون الجماعات المتطرفة. ربما يكون بعض المقاتلون الأوروبيون مسيسين بالفعل لكن كثيرون منهم لا يعرفون شيئا عن الطبيعة المعقدة للسياسات الخارجية والعلاقات الدولية.

هذا لا يعني أن كل هذه العوامل لا تلعب دورا على الإطلاق ولكنها لا تكفي لتفسير ظاهرة التطرف بين شباب أوروبا ولا يمكن تعميمها على جميع الحالات. لهذا يجب تحليل الجوانب المتعددة للظاهرة من أجل فهم أسبابها.

### 3. الأسباب المختلفة للتطرف

بشكل عام يمكن التفرقة بين ثلاثة مستويات من تبني الفكر المتطرف: الجزئي والمتوسط والكلبي.<sup>62</sup> يجب أن يبدأ تحليل الحالات المختلفة لاعتناق الفكر المتطرف من المستوى الجزئي مما يعني البحث عن التجارب الشخصية والظروف الحياتية التي أدت للشعور بخيبة الأمل وفقدان الهدف وبالتالي البحث عن هوية جديدة من أجل بداية جديدة.<sup>63</sup> تختلف الأسباب التي تندرج تحت هذا المستوى وقد تتضمن فقدان صديق أو قريب أو الانتماء لأسرة مفككة أو الصراعات الاجتماعية أو فشل الطموحات الشخصية. يخلق الإحباط الناتج عن ذلك مجال إدراكي مفتوح يجعل بعض الأفراد أكثر عرضة للتأثر بالإيديولوجيات المتطرفة والتي قد يتعرفون عليها من خلال الإنترنت أو التواصل المباشر. هذه المجال الإدراكي ذو أهمية قصوى حيث أن كثيرون يتعرضون للفكر المتطرف لكن لا يؤدي هذا لتبنيهم هذا الفكر.

62 كما يمكن أيضا تقسيم مستويات تبني الفكر المتطرف للفرد والمجتمعي والدول:

Biene, Janusz et al. (2015). 'Nicht nur eine Frage der Sicherheit. Salafismus in Deutschland als gesamtgesellschaftliche Herausforderung'. HSFK Standpunkt. January 2015. <http://is.gd/SU9Zxp>

63 يتضح هذا تحديدا لدى السجناء حيث يأتي تحولهم للفكر المتطرف كمحاولة للهروب من ماضيهم والبدء من جديد.

ترداد هذه الحالة من الإحباط سوءاً مع التطورات على المستوى المتوسط وهنا يلعب التمييز ضد المسلمين دوراً هاماً لأنه يقلل من فرص الأفراد المصابين بالإحباط في الحصول على المساعدة من داخل المجتمع. في هذه المرحلة لا يشعر الشباب بالاغتراب عن عائلاتهم فقط بل أيضاً عن المجتمع ككل. في هذه اللحظة يبدأ الشباب عادة في تكوين نوع من المجتمع الموازي الذي يجدون فيه من يشاركهم اغترابهم.

ثم يأتي دور التطورات على المستوى الكلي والتي يمكن استخدامها لرؤية الصورة الكاملة. في هذه المرحلة يتحول الإحباط الشخصي إلى أحد مظاهر الحرب الدولية ضد الإسلام وتصبح حالات التمييز ضد المسلمين هي الدليل القاطع على وجود هذه الحرب في الواقع. كما يساهم في الاعتقاد بوجود هذه الحرب التغطيات الإعلامية المنحازة التي تركز على علاقة الإسلام بالعنف والإرهاب وتعضد من خطاب "نحن وهم".

إلى جانب العوامل الطارئة المذكورة أعلاه والتي تنفر الشباب من محيطهم يوجد أيضاً عوامل جاذبة تجذب هؤلاء الشباب في الجماعات المتطرفة. أحد أهم مزايا المشهد السلفي والتي تجعله أكثر جاذبية من التيارات اليمينية واليسارية هو شموليته فالتيارات السلفية ترحب بكل من يريد الانضمام إليها بغض النظر عن اللون أو الجنسية أو العرق أو الوضع الاجتماعي طالما سيمثل الأعضاء لأوامر قادتهم ويلتزمون بالقواعد الصارمة التي يقررها دعائهم. كما أن التيارات السلفية تقدم حلول دينية لمختلف المشاكل مما يسهل الأمر على الشباب غير القادرين على التعامل مع الطبيعة المعقدة للعالم الخارجي.

معظم القواعد التي يتم فرضها في التيارات السلفية تسري على الرجال والنساء على حد سواء مما يزيد من جاذبية هذه التيارات بالنسبة لعدد كبير من الفتيات أو الشابات. تشير العديد من الدراسات الحديثة أن أسباب انضمام النساء للجماعات المتطرفة متنوعة مثل التصورات الحاملة عن الحياة في "الخلافة" والزواج من "مجاهد" أو



الرغبة في مساعدة المحتاجين أو الميل العام للعنف.<sup>64</sup> بالإضافة إلى ذلك فإن التيارات السلفية وخاصة تلك التي تدعم العنف تروج لروح التضامن بين الأعضاء والشعور بالسمو الأخلاقي عن غير الأعضاء ولا يوجد تنظيم طبقي داخل معظم هذه التيارات مما يسهل على الشباب أن يتحولوا لمثل أعلى أو نموذج ل"المسلم الصالح". قام تشارلي ونتر، الباحث في مؤسسة كيليام بلندن، بتحليل المحتوى الإعلامي لداعش وتوصل إلى أن معظم الفيديوهات والمواد الصوتية والبيانات المكتوبة ليست عن العنف بقدر ما هي عن كون المنطقة الواقعة تحت سيطرة داعش مركز العالم حيث تسود العدالة ويعيش الجميع في إخاء ومحبة وسلام.<sup>65</sup>

كما أن فهم الفكر السلفي وتداعياته العنيفة في أوروبا على أنه ظاهرة شبابية يحدث صدى أكثر قوة ويتم استخدام الانتماء للجماعات المتطرفة لاستفزاز الأجيال الأكبر فإعلان الشباب عن دعمهم لأسامة بن لادن أو ارتدائهم لسترة تحمل شعار داعش يتسبب في صدمة هائلة للآباء أو المدرسين. لهذا فمن الصعب التفرقة بين استخدام التطرف للاستفزاز فقط وبين الاعتناق الفعلي للفكر المتطرف خاصة بالنسبة للعاملين في مجالات التعليم وشؤون الشباب.

#### 4. ما الذي يمكن عمله؟

إذا فهمنا المستويات المختلفة لعملية تحول الشباب في غرب أوروبا للفكر المتطرف وانضمامهم للجماعات الجهادية سيتضح لنا أننا نتناول المتعدد الجوانب هو فقط الذي يمكن من خلاله الوصول لنتائج مرضية. لتحقيق هذا ينبغي التعامل مع مجموعة مختلفة من الفاعلين عند تناول كل مستوى من مستويات تحول الشباب للفكر المتطرف. يوجد بالفعل العديد من منظمات المجتمع المدني التي تعمل في هذا المجال<sup>66</sup> لكن كل ما تحتاجه المزيد من التمويل للتمكن من التعامل مع الطلب المتزايد

64 Saltman, Erine Marie; Smith, Melanie (2015). 'Till Martyrdom Do Us Part. Gender and the ISIS Phenomenon'. Institute for Strategic Dialogue. 2015. <http://is.gd/TNWqj6>

65 Winter, Charlie (2015). 'Fishing and Ultraviolence'. BBC News. 06. 10. 2015. <http://is.gd/rPSkUj>

66 على سبيل المثال: Hayat Germany: <http://hayat-deutschland.de/english/>

والحالات المختلفة. يتطلب المستوى المتوسط تحول في التغطيات الإعلامية بحيث تتبنى خطاب أكثر إيجابية فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين في أوروبا.<sup>67</sup> كما أن إطلاق مبادرات للحوار بين الثقافات وتغيير الأنماط السائدة من شأنه التقليل من الشعور بالعداء تجاه المسلمين في أوروبا. يبدو المستوي الكلي أكثر تعقيدا حيث أنه ليس من الواقعي توقع أن تغير الحكومات الغربية سياساتها الخارجية من أجل إرضاء الأقليات المسلمة لكن على الأقل يمكن لتلك الحكومات أن تتعامل بأكبر قدر من الشفافية وأن تهتم بتفسير القرارات غير المحببة التي تتخذها. من المهم أيضا مواجهة الزيادة المطردة في معدلات العداء للمسلمين من خلال التأكيد على كونهم مواطنين مساوين لنظرائهم الأوروبيين وليسوا عقبة أو تهديد ويمكن تنفيذ هذا كخطوة أولى في اتجاه حل مشكلة تبني الشباب للفكر المتطرف.

---

67 N. A. (2011). 'Muslims in the European Mediascape'. Institute for Strategic Dialogue. 2011. <http://is.gd/ffNvNA>

**الباب الثاني:**  
**الشباب من الدول العربية**  
**وحركات العنف الراديكالية**



## لماذا ينضم شباب الدول العربية المستقرة للجماعات الراديكالية المسلحة؟

ياسين بزاز

مدخل:

إن الجواب على هذا السؤال المحير والمستفز، في آن واحد؛ يحتم علينا الوقوف أولاً على مفهوم "الاستقرار" معناه ومبناه، وقبل ذلك على استحضر السياقات الكبرى، التي يلعب فيها التاريخ والجغرافيا أدواراً مهمة في تحديد المسارات والغايات والمصائر... هل هذه الدول العربية "المستقرة" المحدودة على الأصابع (المغرب وتونس مثلاً...) فعلاً تنعم ببحبوحة الاستقرار والأمن والطمأنينة؛ وإذا كانت كذلك وهذا ما يبدو مقارنة مع دول الاحتقان والانفجار؛ لماذا إذن هذه الهجرة المعكوسة الشبابية الجماعية المكثفة من هذه الدول المستقرة نحو موسم داعش ودولة "الخلافة الإسلامية" (نستعير هنا عنوان رواية الكاتب السوداني الكبير الطيب صالح: موسم الهجرة إلى الشمال)، ويعتبر شباب هذه الدول وخاصة من ذوي الأصول المغاربية من المقاتلين الداعشيين الميدانيين، الأكثر مبادرة وحماسة وتضحية ويعهد لهم بتنفيذ العمليات الانتحارية والهجمات أو قطع الرؤوس... الخ.

إننا نرى أن منهجاً واحداً أو مقارنة وحيدة الجانب في التحليل والتشخيص غير كافية بل غير مجدية، حيث لا بد أن يتضافر السوسيولوجي والتاريخي والنفسي في سبيكة واحدة لرصد هذه الظاهرة التي تخترق الشباب، وما لهذه الفئة من حيوية وملكات إبداعية خلاقة في أي بناء مجتمعي، باعتبارها الحاضن لكل القيم الإيجابية والدافعة بكل المبادرات الناهضة، والحاملة للأفق المنشود للديمقراطية وحقوق الإنسان؛ فهي مقابل ذلك هي الفئة الأكثر هشاشة وعرضة للتحويلات الاجتماعية والمتغيرات تبعا للسياسات العمومية المعلنة أو غير المعلنة.

## السياقات التاريخية الكبرى:

لا بد من عمل تأصيلي تاريخي و سسيولوجي قادر في ذات الآن ربط الظاهر اليوم بظهور الدول والإمبراطوريات في العالم الإسلامي، منذ النبي محمد كمؤسس لدولة المدينة في شبه الجزيرة العربية ومختلف الدول التي ستظهر في المنطقة والتي يعطينا بن خلدون نبذة أساسية عن بعضها (خاصة في شمال أفريقيا) مشددا في مقدمته على الدور الأساسي الذي تلعبه كل من "العصبية" والعنف في التأسيس، لسقوط الدول وظهور أخرى. ولعل مسألة اللجوء للإسلام كدين توحيد ارتبط بهذا التاريخ الطويل من الصراع السياسي.

والتوظيف السياسي للدين الإسلامي ظاهرة معروفة في تاريخنا كتب عنها الكثير؛ فالدين الإسلامي كسلاح إيديولوجي قاتل وحاسم في المعارك السياسية استعمله كل الفرقاء والطبقات السياسية، سواء للاحتفاظ بالسلطة وإضفاء الشرعية على الحكم أو للمعارضة والسعي لامتلاك السلطة... وما تعاقب الدول وسقوطها وإحلال أخرى محلها مثلا في المغرب من المرينيين والمرابطين والسعديين... إلا براهين كبرى لهذا التوظيف، ويجمع كل المحللين على أن المحاولات التي قام بها فقهاء كبار مجتهدين وعلماء متنورين عرفتهم الساحة الثقافية والدينية للإصلاح داخل المنظومة الإسلامية على غرار الديانات الأخرى وخاصة المسيحية تم التصدي لها وإجهاضها بدموية منقطعة النظر من قبل الطبقة السياسية الحاكمة... فرص تاريخية ضائعة للإصلاح الديني تكالب عليها المحلي وحتى الأجنبي ونخص بالذكر ما يسمى بحلم عصر النهضة في مصر، والذي بدده اجتياح نابليون بونابرت.

تاريخيا حظي المغرب الكبير (ما يسمى بالمغرب الإسلامي أو الغرب الإسلامي أو شمال أفريقيا) بمكانة مهمة ضمن خريطة متحولة وغير مستقرة، نظرا لموقعه الجغرافي المتميز (القرب من أوروبا)، بحيث منحه هذا المجال المتوسطي قابلية أكبر للانفتاح؛ وبالتالي بديهي أن يكون أثر الجغرافيا على الاقتصاد والسياسة والاجتماع دالا وينتج أطماعا توسعية.

فهذا التاريخ سيمكثنا من فهم أولي للسؤال "لماذا اللجوء للإسلام وليس لغيره من الإيديولوجيات أو الخطابات؟ ولماذا عودة الإسلام أو استمرار خطاب مرتبط به بعد حوالي 15 قرن من ظهوره، هذا السؤال لا بد أن يعرج بنا إلى سقوط دولة الخلافة رسمياً مع أتاتورك 1924 ونهاية الإمبراطورية العثمانية، وهو الأمر الذي ساهم في انبثاق خطاب إسلامي مدافع عن الخروج من الاستعمار عبر إعادة إحياء الإسلام والخلافة رغم أن الخلافة لم تكن يوماً مؤسسة شبيهة بمؤسسة الكنيسة، إلا أن زمن الخلافة كان يعني نقيض زمن الاستعمار الأجنبي. لذلك يمكن الرجوع أولاً لتاريخ الحركات الوطنية بالدول العربية والتي كانت تجمع بين الإسلام والصراع السياسي المرتبط بأفكار الحدائث السياسية المتشعبة بقيم الأنوار من جهة وقيم الماركسية اللينينية من جهة أخرى. فنذكر من بين هذه الحركات من ارتبط اسمها بسلفيين مثل علال الفاسي في المغرب وحسن البنا بمصر. وثانياً ينبغي الرجوع إلى تاريخ الحركة الإسلامية أي الطفرة التي عرفتها فكراً وحركياً مجموعة من الحركات الإسلامية: الإخوان المسلمين بمصر سنوات الستينيات في صراعهم مع الناصرية واغتيال أبرز قياداتهم وخاصة سيد قطب سنة 1966، انتصار الثورة الإيرانية ووصول أحد منظري الإسلام السياسي "الخميني" للحكم بإحدى أكبر الدول الإسلامية، ومن جهة أخرى ظهور حركات إسلام سياسي دولية لها منطلقات فكرية قائمة بذاتها (المودودي مثلاً).

### شباب في قلب العاصفة:

انتقالاً من مرحلة الاستتباع التاريخي إلى أنساق إلحاقه ذات طبيعة إيديولوجية، من خلال اعتبار فئة الشباب في منطقة شمال أفريقيا خزاناً لبؤر التوتر خصوصاً (تونس، المغرب) وبالتالي انطلقت حمى محاولة استقطابها وإلحاقها بهذه المناطق، ليست المرة الأولى التي تظهر فيها جماعات تحمل مطالب سياسية معينة أو تنطلق من مرجعية معينة وتلجأ للعنف من أجل تحقيقها، وذلك عبر التاريخ القصير الذي نعيشه، منذ ظهور الدول، القومية أو الدول الوطنية الحديثة.

ففي أوروبا وأمريكا مثلاً يمكن ذكر مجموعات عديدة من الحركات الراديكالية عرفها القرن الماضي كـ(أكسيون ديريكت، بريكاد روس أو الألوية الحمراء، إيتا

الباسكية، إيرا أو الجيش الجمهوري الإيرلندي، باند أبادير بألمانيا الغربية، بلاك بانثير بالولايات المتحدة، إلخ...). ناهيك عن مختلف الحركات القومية والتحررية.

أما بالنسبة للدول التي تعرف نوعا من الاستقرار السياسي والأمني رغم أن الاستقرار هنا يعرف مجموعة من الاهتزازات، فمنذ أفول الدول الوطنية التي استطاعت بعد الاستقلال ضمان حد أدنى من العدالة في الولوج للموارد والرساميل الاجتماعية، واستطاعت من جهة تأسيس قوميات وطنية (العراق، سوريا، المغرب، الجزائر، مصر، تونس، إلخ) وذلك بطبيعة الحال على حساب أقليات مختلفة تم في أحيان عديدة تصفية قادتها وفي أحيان أخرى ضمها للقومية السائدة (قبائل، إثنيات، أقليات دينية في أغلب الدول الوطنية). لكن هذه الدول استطاعت على الأقل ولوج ما سمته حكوماتها "مسلسل التنمية" أو "الجهاد الأكبر" (حسب كل دولة) برأسمالية الدولة وليس عبر رأسمالية السوق. أي أن الدولة القوية كانت هي المتحكم الرئيسي في الثروات وبالتالي في توزيعها. ورغم اغتناء العائلات الحاكمة إلا أن المجتمعات كانت تعرف نوعا من التوزيع الذي يمنع انفجار الفوارق. فكانت المخصصة (مخصصة المدارس، الجامعات، الفضاءات العمومية من قنوات وجرائد، السكن، الصحة، إلخ) مخصصة محدودة وبالتالي فئات عريضة كانت تستطيع الولوج على قدم المساواة (أو عدم الولوج على قدم المساواة) لهذه الخدمات. أما اليوم فقد تغيرت بطريقة راديكالية هذه الصورة بعد دخول السوق ومخصصة مختلف مناحي الحياة مما يجعل الصراع محتدم بين أطراف عديدة داخل المجتمع، الأمر الذي يهدد من جهة استقرار المجتمع وبقاء الدولة في صورتها التقليدية. وبالتالي فمن ينخرط اليوم في تنظيمات تظهر متعارضة مع قيم الدولة الوطنية ومتعارضة مع الصورة التي تنشرها وسائل الاعلام متركزة في يد أقليات سائدة تحاول أن توهم بأن هناك وحدة داخل المجتمع تقول إن هناك مصطلح "تمغريت" في المغرب مثلا، وأن المغرب بعيد عن العنف، إلخ.

### الخاتمة:

من ينخرط إذن في جماعات العنف الراديكالي قد تكون له أسباب اجتماعية وثقافية يمكن فهمها سسيولوجيا؛ فأغلب الشباب الملتحقين من هذه الدول لهم ماض



متعرج وملتبس خصوصا بعض البروفائيات التي تم الاشتغال عليها شمال المغرب خصوصا بالمنطق التي أصبحت تعرف بكونها مورد لتصدير الشباب إلى العراق والسوريا، ثم أن داعش تقدم إلى جانب وعد امتلاك اللجنة إغراءات دنيوية كثيرة في مقابل الوضع الذي يعيشه شباب الأحياء الهامشية بمناطق شمال المغرب من تهميش اجتماعي وغياب العدالة الاجتماعية.

يمكن فهم أن الأمر يتعلق بمصالح متعارضة فتويا: فمجموعات كبيرة تلتحق بالدولة الإسلامية تنتمي لفئات لم تعد لها علاقة وطيدة بالدولة الوطنية بل لا تجمعها أية مصلحة مع دولة وطنية لا تستطيع حمايتها والوقوف أمام هجوم كاسح للخوارج ولفئات خاصة وثقافة هذه الفئات، خصوصا الجيل الثاني والثالث من أبناء المهاجرين المغاربة بأوروبا.



## لماذا لم تستطع الديمقراطية أن تمنع التطرف في تونس؟

جورج فهمي

تبني العديد من الباحثين مقولة إن السلطوية هي المحرك الرئيسي للتطرف والعنف، وإن مواجهة العنف تكون ببناء نظام ديمقراطي قادر على استيعاب كل الأفكار والتنظيمات السياسية، إلا إن التطورات التي شهدتها المنطقة العربية في أعقاب ثورات الربيع العربي تشير إلى نتيجة مغايرة. فتونس والتي تعد الدولة العربية الوحيدة التي ما زالت تحافظ على مسارها السياسي الديمقراطي منذ الإطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي في يناير/كانون ثان 2011، هي أيضا الدولة التي ترسل أكبر عدد من المجاهدين إلى سوريا والعراق. فقد أعلن مكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة في يوليو/تموز 2015 أن أكثر من 5500 تونسي يقاتلون ضمن الجماعات الجهادية في سورية والعراق وليبيا واليمن ومالي،<sup>68</sup> كما أعلن رئيس الوزراء التونسي أنه تم منع 15 ألفا من التونسيين من السفر للانضمام إلى الجماعات الجهادية. إضافة إلى ذلك شهدت تونس خلال مرحلتها الانتقالية نمو في نشاط وخطاب تيار السلفية الجهادية من خلال حركة أنصار الشريعة التي تأسست في أبريل/نيسان 2011 وعملت بحرية حتى أعلنتها الحكومة تنظيم إرهابي في أغسطس/آب 2013. فلماذا إذن لم تستطع الديمقراطية التونسية أن تمنع موجة التطرف والعنف؟ يسعى هذا المقال إلى الإجابة على هذا السؤال من خلال تحليل ما طرأ على المجالين السياسي والديني من تغيير بعد يناير/كانون ثان 2011، وكيف أثرت القواعد الحاكمة لهذين المجالين على نمو ظاهرة التطرف.

---

68 United Nations Office of the High Commissioner for Human Rights, “Un Groupe d’experts de l’ONU appelle à des mesures urgentes pour arrêter le flux de combattants étrangers de Tunisie [A group of UN experts calls for urgent measures to stem the flow of foreign fighters from Tunisia],” news release, July 10, 2015.

## السلفية الجهادية في تونس

شهدت نهاية القرن الماضي انتشار لأدبيات الفكر السلفي الجهادي في أواسط الشباب التونسي في ظل الانفتاح النسبي لوسائل الاتصال بعد عقود من التضييق على الأفكار والأنشطة الدينية. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001 وما تلاها من حرب أمريكية على ما أسمته الإرهاب لتدفع الكثير من الشباب التونسي للذهاب للجهاد ضد ما اعتبروه حرب على الإسلام في العراق وفي أفغانستان واليمن والصومال أيضا. لم يقتصر العنف على الخارج بل امتد إلى داخل تونس أيضا في عام 2002، حيث هاجم سلفيون جهاديون كنيسة يهوديا في جزيرة جربة، ورد نظام بن علي بحملة اعتقالات واسعة طالت حوالي ألفي شخص في إطار قانون لمكافحة للإرهاب في عام 2003.

في أعقاب الإطاحة بين علي في يناير/كانون ثان 2011، رأى تيار واسع داخل الحركة السلفية الجهادية إن المناخ السياسي قد تغير ولم تعد هناك حاجة لاستخدام العنف، فاختاروا العمل في مجال الدعوة. فتم تأسيس حركة أنصار الشريعة في أبريل/نيسان 2011 على يد أحد القيادات السلفية الجهادية سيف الله بن حسين، المعروف باسم أبو عياض. أكد أبو عياض في أكثر من مناسبة رفضه لاستخدام العنف داخل تونس، مؤكدا إن تونس "أرض دعوة وليست أرض جهاد".<sup>69</sup> علمت حركة أنصار الشريعة من خلال أنشطتها الاجتماعية والدينية إلى بناء حاضنة شعبية للفكر السلفي الجهادي داخل تونس. كما عملت من خلال ظهور رموزها في وسائل الاعلام على تغيير الصورة السلبية عن السلفية الجهادية واتعبت استراتيجية "اسمعوا منا ولا تسمعوا عنا".

حققت حركة أنصار الشريعة شعبية كبيرة في صفوف الشباب الإسلامي، من خلال عملها الذي يتضمن المطالبة بالتغيير السياسي والنشاط الدعوي والاجتماعي. وبحسب بلال الشواشي، وهو شخصية بارزة في الحركة السلفية الجهادية، إن أنصار

69 "الزعيم الروحي للسلفية الجهادية في تونس أبو عياض التونسي في حوار للشروق"، الشروق أونلاين، 8 مارس/آذار 2012، <http://is.gd/vTMhXk>

الشريعة رائدة في جذب الشباب الإسلاميين مقارنة مع الحركات والأحزاب الإسلامية الأخرى<sup>70</sup>. ويعود هذا الأمر إلى أن الحركة لا تنخرط في العمل السياسي الحزبي الذي يرتبط عادة بالمساومة مع القوى العلمانية كما فعلت النهضة فيما يتعلق بالنص على الشريعة الإسلامية في الدستور، إضافة إلى خطاب التغيير الاجتماعي الراديكالي الذي تبناه الحركة، ويجد صدى لدى الشباب الإسلامي الثوري الراغب في تغيير مجتمعه جذريا. إلا إن خطابها الداعي إلى السلمية لم يمنع أعضاء الحركة من المشاركة في الاحتجاجات العنيفة التي شهدتها تونس خلال المرحلة الانتقالية، مثل الهجمات على سينما "أفريك آرت" بسبب عرضها الفيلم المثير للجدل "لا ربي لا سيدي" في 26 يونية/حزيران 2011، وعلى مكاتب قناة "نسمة" التلفزيونية الخاصة بسبب بث الفيلم الفرنسي-الإيراني "برسيوليس" في 9 أكتوبر/تشرين أول 2011، وعلى السفارة الأمريكية للاحتجاج على فيلم أمريكي مسيء للنبي محمد في 14 سبتمبر/أيلول 2012. ذهب البعض الآخر في أنصار الشريعة إلى أبعد من ذلك، حيث حملوا السلاح إما خارج تونس من خلال الانضمام إلى الجماعات الجهادية في سوريا والعراق أو داخل تونس من خلال استهداف قوات الأمن والشخصيات السياسية العلمانية. وأدى ذلك إلى سلسلة من الهجمات ضد الشرطة التونسية واغتيال اثنين من الشخصيات السياسية المعارضة، شكري بلعيد ومحمد البراهمي، في فبراير/شباط ويوليو/تموز 2013، على التوالي. عرضت الاغتيالات العملية السياسية إلى الخطر حيث اتهمت القوى السياسية العلمانية أنصار الشريعة بالوقوف وراء الاغتيالات، كما اتهمت حزب النهضة الإسلامي الحاكم بالتستر عليها. في ظل الضغوط المتزايدة على حركة النهضة، صنفت حكومة علي العريض، الأمين العام لحركة النهضة، أنصار الشريعة كجماعة إرهابية في أغسطس/آب 2013، لتختفي أنشطة الحركة العلنية في ظل سعي العديد من أعضاءها السفر إلى ليبيا وسوريا.

---

<sup>70</sup> "بين البشر بن حسن وبلال الشواشي في برنامج التاسعة مساء"، شريط فيديو على يوتيوب، 19:05، نشرته "جمعية الصحفيين بالقروان"، 6 نوفمبر/تشرين ثان 2012. <http://is.gd/XrpV00>

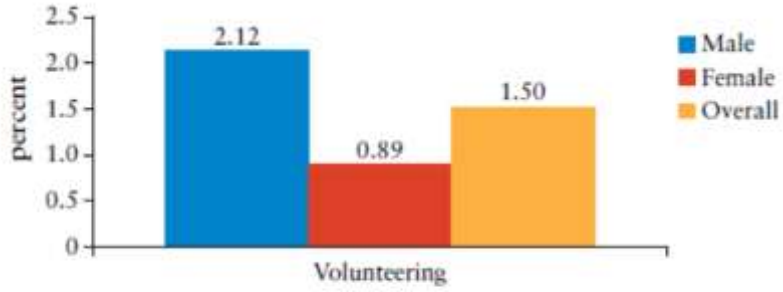
## الربيع العربي والمجالين السياسي والديني: ما الذي تغير؟

كيف انتشرت اذن السلفية الجهادية جنبا إلى جنب مع عملية التحول الديمقراطي التي كان من المتوقع أن تجعل هذه الأفكار المتطرفة أقل شعبية، حيث تم إطلاق مسار سياسي يسمح لجميع القوى والتيارات السياسية بالعمل، كما هو الحال مع حزب النهضة الإسلامي، الذي لم يسمح له فقط بالعمل، بل فاز أيضا في أول انتخابات عقدت بعد الإطاحة بين علي في أكتوبر/تشرين أول 2011، كما أنه حل ثانيا في الانتخابات البرلمانية الأخيرة بعد حزب نداء تونس. كذلك الأمر بالنسبة للتيار السلفي والذي أسس عدد من الأحزاب وشارك في الانتخابات وإن كان أداءه السياسي ظل ضعيفا. تكمن إجابة هذا السؤال في إن القواعد التي حكمت المجالين السياسي والديني خلال المرحلة الانتقالية همشت من فئة الشباب داخل المجال السياسي وتركت فراغا داخل المجال الديني مما سمح للأفكار الجهادية بالانتشار وتجنيد أعضاء جدد.

### الشباب والمجال السياسي

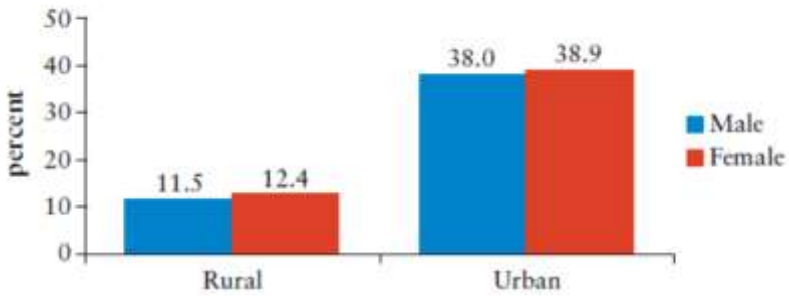
على الرغم من إن الشباب لعبوا دورا رئيسيا في إسقاط نظام بن علي، لم تعطهم العملية السياسية مساحة للتأثير في عملية اتخاذ القرار. لم يستبعد الشباب فقط من مواقع القيادة داخل مؤسسات الدولة فحسب، ولكن أيضا داخل الأحزاب السياسية. فعلى الرغم من انفتاح المجال السياسي وإنشاء أحزاب سياسية متنوعة، فقد فشلت تلك الأخيرة في الفوز بثقة الشباب التونسي. وفقا لاستطلاع رأي أجراه المرصد الوطني للشباب في أبريل/نيسان 2013، فنسبة انخراط الشباب في الأحزاب السياسية لم تتجاوز 2.7%. كما فشل المجتمع المدني هو الآخر في اجتذاب الشباب لأنشطته في اعقاب الثورة. فبلغت نسبة الشباب النشط مع منظمات المجتمع المدني في المناطق الريفية 3% فقط وفقا لدراسة للبنك الدولي،<sup>71</sup> بينما لم تتجاوز 1.5% في المناطق الحضرية كما هو مبين في الشكل أدناه.

71 Tunisia: Breaking the Barriers to Youth Inclusion: <http://is.gd/Yy3z0s>



Source: World Bank 2012e.  
Note: Figure refers to all youth.

وعندما سئل الشباب التونسي عن قدرتهم على التأثير على السلطات المحلية، فإن 11.5% فقط من الشباب و12.4% من الشبابات في المناطق الريفية في تونس يقولون إنهم يشعرون أن السياسيين المحليين يتفاعلون معهم ويستمعون إلى مخاوفهم، وترتفع هذه النسبة في المناطق الحضرية 38% من الشباب و38.9% من الشبابات كما هو مبين في الشكل أدناه.



Source: World Bank 2012d; 2012e.  
Note: Figure refers to all youth.

## الفراغ داخل المجال الديني

سعى نظام بن علي إلى إحكام سيطرته على المجال الديني، ففرض سيطرته على جميع المساجد من خلال اجهزته الأمنية والخطاب الدعوي من خلال وزارة الشؤون الدينية. كما فرض النظام قيود صارمة ضد أي محاولة لاختراق المجال الديني، سواء من قبل جماعة النهضة أو الحركات السلفية. فعلى العكس من نظام حسني مبارك والذي سمح لجماعة الإخوان المسلمين وتيار السلفية العلمية بقدر من حرية الحركة والنشاط في مقابل عدم انتقادهم للنظام السياسي، لم يسمح نظام بن علي بأي عمل منظم ديني خارج إطار مؤسسات الدولة. إضافة إلى ذلك لم تعرف تونس مؤسسة دينية تعليمية كالأزهر الشريف، حيث قام الحبيب بورقيبة بتهميش جامعة الزيتونة بعد إعلان الجمهورية التونسية، فقام بإلغاء التعليم الزيتوني بمراحله المختلفة، وقصره على كلية الشريعة وأصول الدين التابعة لجامعة تونس. فلما قامت الثورة وانهار نظام بن علي، فقدت المؤسسات الدينية الرسمية شرعيتها في مرحلة ما بعد بن علي بسبب دعمها للنظام القديم، كما هو الحال مع الأئمة الرسميين التابعين لوزارة الشؤون الدينية، فبدأ المجال الديني خاويًا من أي فعل ديني منظم. إضافة إلى ذلك، فإن حركة النهضة الإسلامية التي عادت بقوة إلى الساحة التونسية عقب 2011 لم تلتفت بشكل جدي إلى المجال الديني، ووجهت جل مجهودها إلى المجال السياسي لتضمن أن تكون شريكا فاعلا في صياغة شكل نظام ما بعد بن علي. في ظل غياب شرعية المؤسسات الدينية الرسمية، وابتعاد النهضة عن المجال الديني، ظهر فراغا دينيا، مما سهل على التيارات السلفية الجهادية العمل بحرية لنشر افكارها وتجنيد أعضاء من دون أي منافسة تذكر من فاعلين دينيين آخرين باستثناء السلفية العلمية والتي سعت هي الأخرى إلى تعزيز تواجدتها داخل المجال الديني.

شهد المجال الديني خلال المرحلة الانتقالية حالة من الفوضى، فتم منع الدعاة الذين أشادوا بن علي من دخول المساجد، وفقدت وزارة الشؤون الدينية السيطرة على حوالي خمس مساجد تونس التي يصل عددها إلى خمسة آلاف مسجد. من جانبها سعت حركة النهضة في مرحلة أولى من إدارتها للبلاد إلى استعادة سيطرة الدولة على المجال الديني لكن من دون الاصطدام بحركة أنصار الشريعة، ظنا من



بعض قيادتها من إن الحركة قد تعدل من مواقفها المتشددة مع الوقت كما جرى مع حركة النهضة نفسها. إلا ان تصاعد التوتر بين السياسي بين النهضة والقوى العلمانية، إضافة إلى أعمال العنف التي قام بها بعض أنصار التيار السلفي الجهادي دفع حكومة علي العريض إلى اعلان أنصار الشرعية تنظيم إرهابي في أغسطس/آب 2013. بعد الانتخابات التشريعية والرئاسية التي جرت في نهاية 2014، وفوز الباجي قايد السبسي بالرئاسة وحزب نداء تونس بأعلى عدد من الأصوات، سعت الحكومة الجديدة بقيادة الحبيب الصيد إلى وضع المجال الديني مرة أخرى تحت رقابة الدولة الصارمة، كما كان عليه الحال في عهد بن علي. فبعد الهجوم الإرهابي الذي وقع في سوسة في يونيو/حزيران 2015، أعلن رئيس الوزراء الحبيب الصيد أن الحكومة ستغلق 80 مسجدا لا تخضع إلى سيطرة الدولة. كما أعفت الوزارة الداعية السلفي الشهير بشير بن حسن من منصبه وعينت إماما آخر مكانه. لا بل إن هذه التدابير تجاوزت المشايخ السلفيين لتشمل شخصيات دينية مقربة من حركة النهضة، مثل وزير الشؤون الدينية السابق نور الدين خادمي نفسه، الذي منع من الخطابة. وقد أعربت بعض الشخصيات الدينية، ومن ضمنها القيادي في حركة النهضة الحبيب اللوز، عن خشيتها من ألا تتمكن هذه التدابير من وقف التطرف العنيف، وقد تعززه بدل ذلك.<sup>72</sup>

### كيف يمكن لتونس أن تواجه موجة التطرف الحالية؟

لم يعد يكفي أن تحافظ تونس على مسارها السياسي الديمقراطي لتواجه موجة التطرف الحالية، بل صار من الضروري عليها أيضا إجراء تغييرات في القواعد التي تحكم المجالين السياسي والديني للحد من شعبية تلك الأفكار.

على المستوى السياسي، فهناك حاجة إلى إدماج الشباب داخل مؤسسات الدولة خاصة على المستوى المحلي ليكونوا فاعلين وقادرين على التأثير في محيطهم. وعلى مستوى الأحزاب السياسية، فعلى الأحزاب السياسية تقديم فرص للشباب

---

72 جورج فهمي وحمزة مؤدب، سوق الجهاد: التطرف في تونس، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، أكتوبر/تشرين أول 2015

ليتلوا مناصب قيادية ويكونوا جزء من عملية صنع القرار داخل هذه تلك الأحزاب. فجزء كبير من الشباب الذين انضموا للأحزاب السياسية بعد الثورة التونسية اكتشفوا سريعا إن ليس لهم أي دور في إدارة تلك الأحزاب، بل يتم استخدامهم فقط كأداة للتسويق أو للتعبئة الشعبية من دون تأثير حقيقي على عملية صنع القرار. بسخرية أقرب إلى الحقيقة، يبدو أن التنظيمات السلفية الجهادية هو التيار الوحيد على الساحة التونسية الذي يعمل على تمكين الشباب، بوضعه في أماكن قيادية وبتمكينه من المشاركة في صنع القرار.

أما فيما يتعلق بالمجال الديني، فما بين فوضى المجال الديني التي شهدتها تونس في أعقاب الإطاحة بنظام بن علي وبين السعي الحثيث للنظام الحالي من أجل السماح للمؤسسات الدينية الرسمية باحتكار المجال الديني، تحتاج تونس إلى إيجاد طريق وسط يسمح بتعزيز السوق التنافسية للأفكار داخل المجال الديني، بحيث يمكن لأي طرف ديني فاعل لا يمارس العنف السياسي أو يدعو إليه أو يتبنى خطاب كراهية، أن يعمل بحرية داخل المجال الديني. فعلى النظام السياسي أن يوازن بين السيطرة المحكمة والفوضى. أما إذا ما منح النظام الحالي للمؤسسات الدينية الرسمية السلطة المطلقة لاحتكار المجال الديني، فإنها بذلك تضر بشرعية تلك المؤسسات والتي ستبدو كمجرد بوق للنظام السياسي، كما تسمح بظهور سوق موازية للأفكار الدينية حيث لا تملك الدولة السيطرة ولا تكون المؤسسات الدينية الرسمية حتى لاعبا فيها.

## اتجاه الشباب للمتطرف في دول الربيع العربي: تونس مثالا

آنا فليشر

أدى نجاح ثورات الربيع العربي في إسقاط بعض الأنظمة المستبدة في الشرق الأوسط إلى عقد آمال عريضة على التحول الديمقراطي في المنطقة لكن لم تتحقق هذه الآمال بل حدث الأسوأ حيث نتج عن الفراغ التالي لسقوط الحكام الشموليين العديد من الاضطرابات التي خلقت بيئة أقل استقرارا غابت فيها الديمقراطية. على الرغم من حدوث هذا التطور في العديد من دول المنطقة إلا أنه يمكن اعتبار دولة بعينها ظاهرة منفردة ألا وهي تونس. تعتبر تونس حالة منفردة ومحيرة لأنها سارت في اتجاهين مضادين في نفس الوقت، الأول هو التحول الديمقراطي، والثاني هو تبني الفكر المتطرف. تونس هي الوحيدة من دول الربيع العربي التي تسير بخطى حثيثة في طريق الديمقراطية لكن في الوقت ذاته ينضم الآلاف من الشباب التونسيين للدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) ليس فقط ليحاربوا في الخارج ولكن أيضا لتنفيذ عمليات إرهابية في الداخل. تجعل هذه التناقضات تونس الدولة الأكثر تعقيدا بين دول الربيع العربي وهذا تحديدا ما ستناقشه هذه الورقة.

ستبدأ هذه الورقة بمناقشة جذور الفكر السلفي في تونس وتوضيح الفروق بين الفئات المختلفة التي تندرج تحته ثم تتعرض لصعود الحركة السلفية في تونس بعد الثورة وتأثير ذلك على تبني الشباب التونسي للفكر المتطرف. سنتناول الورقة بعد ذلك للتشريعات التي تهدف لمحاربة الإرهاب وأخيرا سيتم تقديم بعض التوصيات للتعامل مع مشكلة الاتجاه للفكر المتطرف.

### جذور الفكر المتطرف

ظهرت "السلفية" كمصطلح سياسي حديثا في تونس. قبل ثورة يناير/كانون ثان 2011 التي أسقطت نظام زين العابدين بن علي، لم يكن للسلفيين أي دور في الساحة السياسية وكادوا يكونوا غير مرئيين. في تسعينيات القرن الماضي وبداية الألفية الثانية، تم سجن الإسلاميين سواء الوسطيين منهم أو الجهاديين أو اضطروا للاتجاه

للأنشطة السرية أو تم طردهم خارج البلاد. كان النظام ينظر للإسلاميين على أنهم أعداء يحاولون النيل من السلطة القائمة شأنهم شأن اليساريين والنقابات التي ترفض التبعية والمدونين المعارضين. بما أن الإسلاميون أرادوا الانخراط في العمل السياسي أيضا وإن كان من خلال نموذج تغلب عليه الصبغة الدينية كان يجب على النظام قمعهم.<sup>73</sup> لم يكن رد فعل النظام التونسي للإسلاميين نتيجة فقط لكونهم فصيل معارض للسلطة لكن أيضا لتأثيرهم المحتمل على الثقافة التونسية. تبني الحبيب بورقيبة، الرئيس التونسي قبل بن علي وأحد أهم الشخصيات المؤثرة في تونس، نموذج الحداثة الغربي وخاصة الفرنسي وسار بن علي على نفس النهج من بعده. لذلك كانت المظاهر الدينية ترتبط بالرجعية وكان قمعها ضروريا للحفاظ على الثقافة المحببة لدى النظام.<sup>74</sup>

رغم عدم وجود أرقام رسمية معلنة إلا أن عدد السلفيين الجهاديين في تونس يقدر بحوالي ٥٠ ألف وقد نشر هذا الرقم في 2011<sup>75</sup>. يبلغ عدد سكان تونس حوالي 11 مليون لذا لا يزال هذا الرقم أقل من 1% من إجمالي عدد السكان. يمكن تقسيم السلفيين في تونس لفتتين: النصيون والجهاديون. النصيون هم فئة من السنة تدعو للالتزام الحرفي بالنصوص ويتسمون عامة بالسلمية وبالتقرب للنظام الحاكم. أما الجهاديون فهم يدعمون المقاومة المسلحة ضد الجيوش غير المسلمة وكذلك القوى السياسية التي يرون أنها تقهر المسلمين. هناك ثلاثة أنواع من الأنشطة الجهادية: الأول يعمل على المستوى الداخلي ويستهدف الأنظمة الحاكمة التي يرى الجهاديون أنها لا تلتزم بتعاليم الإسلام والثاني هم الوجدويون الذين يجارون لاستعادة أرض محتملة

---

73 Monica Marks, Who are Tunisia's Salafis?, SEPTEMBER 28, 2012, Foreign Policy, <http://goo.gl/ZVKh1x>

74 Merone, Fabio/Cavatorta, Francesco (2013): The Rise of Salafism and the Future of Democratization, in: Gana, Nouri: The Making of the Tunisian Revolution. Edinburgh.

75 Fahmi, Georges/Meddeb, Hamza (2015): Market for Jihad: Radicalization in Tunisia. Carnegie Middle East Center. <http://is.gd/RI9pwf>

والثالث يعمل على المستوى الدولي ويحارب الغرب بصفة عامة.<sup>76</sup> بعد قيام الثورة وسقوط النظام تغيرت اتجاهات السلفيين بنوعيهما. بدأ السلفيون النصيون في الاتجاه للسياسة من خلال إنشاء مؤسسات ومحاولة تحقيق نفوذ سياسي بطرق سلمية. أما السلفيون الجهاديون فقد تبنوا رؤية مختلفة فبينما استمروا في قمع المقاومة المسلحة رأوا أن تونس أرض للدعوة وليس الجهاد ولذلك رفضوا استخدام العنف ضد الدولة التونسية في ذلك القوت حتى وإن كانوا يدعمون المقاتلين المتطرفين في سوريا وجماعة أنصار الدين في مالي.<sup>77</sup>

لكن يبدو أن هذا الموقف قد تغير كما اتضح من عدة أحداث. سيبحث الجزء التالي المستوى الجديد من العنف الذي اتخذ الصراخ السلفي في الأراضي التونسية لكن ظلت الدعوة تلعب دورا هاما في تحول الشباب للتطرف.

### سقوط بن علي: عصر جديد للسلفية

بعد سقوط بن علي أصبح التونسيون قادرين لأول مرة على مناقشة العديد من الأمور دون الخوف من الاضطهاد. أدت هذه المناقشات لصراع بين القيم الغربية التي تبنتها الأنظمة السابقة والقيم العربية والإسلامية التي تشكل تاريخ وهوية التونسيين.<sup>78</sup> احتلت العلاقة بين الدين والسياسة جزءا كبيرا من هذه النقاشات ولوحظ في نفس الوقت زيادة المظاهر الدينية خاصة فيما يتعلق بالملابس والرموز الإسلامية. لا يزال هذا الصراع الإيديولوجي والسياسي محتدما خاصة في السجلات التي تتناول مستقبل البلاد.

بعد سقوط بن علي أصبحت الأحزاب الإسلامية قادرة على العمل بحرية وفاز حزب النهضة الإسلامي في أول انتخابات حرة في تونس في أكتوبر/تشرين أول

---

76 International Crisis Group: Tunisia: Violence and the Salafi Challenge, Middle East/North Africa Report N°137: <http://is.gd/nSuMTh>.

77 المصدر السابق

78 Merone, Fabio/Cavatorta, Francesco (2013): The Rise of Salafism and the Future of Democratization, in: Gana, Nouri: The Making of the Tunisian Revolution. Edinburgh

2011 وهو حاليا ثاني أقوى حزب في البرلمان. ما يبدو هو أن الإسلاميين وافقوا على تقاسم السلطة والوصول لحلول وسط مع الفصائل العلمانية التي تحكم حاليا. لكن بعد سقوط بن علي انتشرت السلفية الجهادية في تونس بشكل سريع. يمكن تفسير هذا بالرجوع للبنية التي حكمت الفضاء الديني والسياسي لمدة عقدين أثناء حكم بن علي. كان لنفس هذه البنية أثر في فترة ما بعد الثورة. بعد سقوط نظام بن علي تم التركيز بشكل أساسي على القضايا السياسية والدستورية مما أدى للتغاضي عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي خلفها النظام وبالتالي لم تتحقق مطالب الطبقات الدنيا والوسطى وشعر المتممون لهاتين الطبقتين بالتهميش<sup>79</sup>. أدى الشعور بالإهمال الناتج عن هذا إلى تزايد غضب الشباب مما جعلهم أكثر عرضة للاتجاه للفكر المتطرف.

بالإضافة إلى ذلك، أدت سياسة بن علي في تهميش التعليم الديني وفرض قيود أمنية صارمة على المساجد إلى وجود فراغ ديني سمح للفاعلين المتطرفين باحتلال الساحة مما سهل عليهم اجتذاب الشباب المهتمش للجماعات الراديكالية.<sup>80</sup> يقدر عدد الشباب التونسيين المنضمين لداعش في العراق وسوريا وليبيا بحوالي 3 آلاف<sup>81</sup> بينما وفقا لتقديرات أخرى صادرة من المفوضية العليا لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة يصل العدد لـ 5500 ويتضمن دول أخرى مثل اليمن ومالي.<sup>82</sup> في جميع الأحوال ما يثير التعجب هو أن تونس تحتل المرتبة الأولى في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة وتزداد وطأة هذا عند الأخذ في الاعتبار أن إجمالي عدد السكان قليل نسبيا.

---

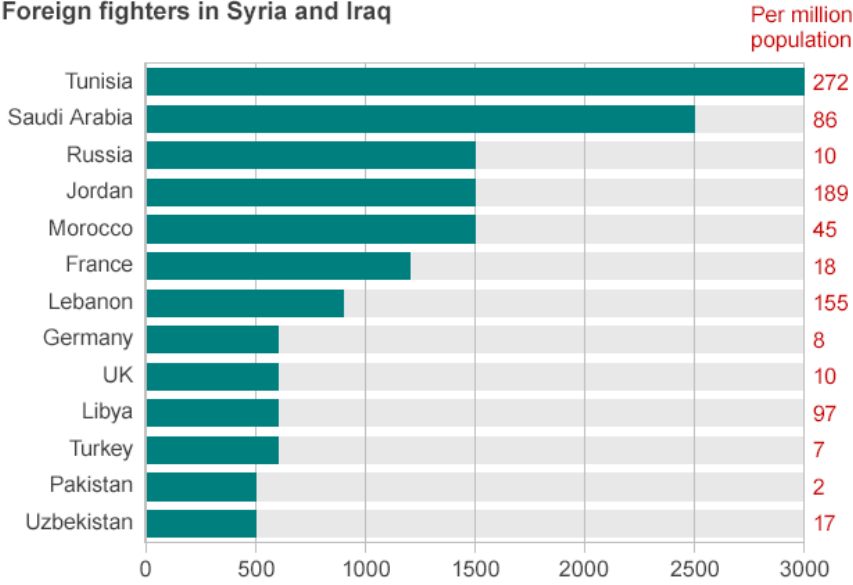
79 Fahma, Georges/Meddeb, Hamza (2015): Market for Jihad: Radicalization in Tunisia. Carnegie Middle East Center: <http://is.gd/RI9pwf>

80 المرجع السابق

81 Langendorf, Manuel (2015): Tunisia grapples with radicalization of youth, Fair Observer: <http://is.gd/aPnSmb>

82 المرجع السابق

## Foreign fighters in Syria and Iraq



Note: Upper estimates used. Countries with fewer than 500 fighters not included  
Source: ICSR, CIA World Factbook

المقاتلون الأجانب في سوريا والعراق (لا تشمل هذه التقديرات الدول التي يأتي منها أقل من 500 مقاتل)<sup>83</sup>

يشعر الكثيرون من السلفيين الشباب أن حزب النهضة لا يمثلهم وأنهم لا زالوا مهمشين على المستوى السياسي بالإضافة للمستوى الاجتماعي. من هنا يصبح حلم العودة للشكل النقي للإسلام جاذب لهؤلاء الشباب. كما تتضمن الجماعات المتطرفة العديد من الدعاة ذوي الشخصيات الجذابة مثل أبو عياض الذي يتمتع بشعبية كبيرة بين شباب السلفيين بصفة عامة وخاصة الجهاديين منهم. أبو عياض هو أحد المؤسسين الرئيسيين للجماعة التونسية المقاتلة التي نشطت في الصراع ضد الولايات المتحدة في أفغانستان. ظهر أبو عياض كأسطورة بين الشباب الذين رأوا فيه رمزا

<sup>83</sup> BBC News (2015) <http://is.gd/3J0sv5>

للمقاومة العربية ضد الأنظمة الفاسدة داخل تونس وخارجها.<sup>84</sup> يستخدم الكثير من هؤلاء الشباب مواقع التواصل الاجتماعي للبقاء على اتصال بالجماعات الراديكالية على سبيل المثال صفحات جماعة أنصار الشريعة على فيسبوك.<sup>85</sup> وهنا يكمن السبب وراء إنجذاب الشباب لهذه الجماعات ليس فقط لأنهم يشعرون بالقوة على المستوى الشخصي وحسب ولكن أيضا الشعور بالقوة على المستوى العربي والإسلامي حيث أن الشعور بالقهر الذي تمارسه كيانات خارج سيطرة الشباب يجعلهم يخلقون أبطالا مضادة ويدفعهم للانضمام لمجموعات تحارب هذه الكيانات كي يقضون على هذا الشعور.

### الحرب على الإرهاب في الداخل

على عكس التناول السابق من قبل السلفيين الجهاديين والذي ركز على أن تونس أرض للدعوة فقط امتد الصراع لتونس نفسها حيث تم تنفيذ العديد من العمليات المسلحة التي استهدفت البرلمان والسائحين وتسببت في صدمة بالغة في جميع أرجاء البلاد. في 18 مارس/آذار 2015 استهدف هجوم مسلح متحف باردو ونتج عنه 24 قتيلا من بينهم 20 سائحا واعترفت داعش بمسؤوليتها.<sup>86</sup> اتخذ العنف شكل آخر بعد أن كانت الأهداف التي تتم مهاجمتها عسكرية بشكل أساسي أما قتل المدنيين فقد أوضح أن الجماعات الجهادية على استعداد لنقل الصراع للأراضي التونسية.<sup>87</sup>

في محاولة لمقاومة هذا التصعيد أصدر البرلمان في 25 يوليو/تموز 2015 قانون جديد لمحاربة الإرهاب وافق عليه الغالبية العظمى من النواب حيث امتنع عشرة نواب

---

84 Marks, Monica (2012): Who are Tunisia's Salafis? Foreign Policy: <http://is.gd/4w0dFX>.

85 للمزيد أنظر: <http://goo.gl/9H3rLP>

86 Darke, Diana (2015): Tunisia: 'lessons were not learnt from Bardo museum attack', The Guardian: <http://is.gd/kEfywU>.

87 Merone, Fabio (2015): Explaining the jihadi threat in Tunisia, Open Democracy: <http://is.gd/lvpSTL>.



فقط عن التصويت ولم يصوت أحد ضد القانون.<sup>88</sup> بعد صدور القانون بيوم واحد أطلق مسلح الرصاص على 38 شخصا في شاطئ سياحي بمدينة سوسة وأرداهم قتلى واعترفت داعش بمسؤوليتها. يوضح هذا التسلسل في الأحداث أن تونس تحتاج لمناقشة مشكلة الإرهاب بشكل شامل ليس فقط لحماية الضحايا المحتملين لكن أيضا لحماية التحول الديمقراطي والتقدم الاقتصادي.

على الرغم من ذلك، تعرض القانون الجديد لكثير من الانتقادات. حذرت منظمات حقوق الإنسان، بما فيها منظمة العفو الدولية وهيومان رايتس واتش، أن القانون لا يحتوي على الضمانات اللازمة لحماية المواطنين من الانتهاكات ويعطي قوات الأمن صلاحيات واسعة خاصة فيما يتعلق بالمراقبة. كما اعترضت المنظمتان في نفس البيان على تمديد الحبس الانفرادي للمشتبه بهم في عمليات إرهابية لـ 15 يوم بدلا من 6 والسماح للمحاكم بجعل الجلسات سرية وإخفاء هوية الشهود عن المتهمين.<sup>89</sup>

حل هذا القانون محل قانون قديم تم تمريره عام 2003 تحت حكم بن علي وقد انتقد السياسة والنشطاء القانون القديم الذي رأوا أن النظام يستخدمه لقمع المعارضين خاصة ذوي الخلفيات الإسلامية. على الجانب الآخر، وصف رئيس البرلمان التونسي محمد الناصر القانون بأنه إنجاز كبير ودافع عنه قائلا إنه ذو أهمية قصوى للحرب على الإرهاب.<sup>90</sup> لهذا يتحتم في المستقبل تحقيق التوازن بين الإجراءات الأمنية والحقوق الأساسية لجميع الفصائل الدينية والاجتماعية والسياسية.

### توصيات

من أجل التغلب على مشكلة التطرف في تونس، يجب على الدولة العمل على تحقيق مطالب الشباب وتوفير مناخ ديني أكثر تنوعا<sup>91</sup> وخلق نماذج يحتذى بها من

---

88 Samti, Farah (2015): Tunisia's New Anti-Terrorism Law Worries Activists, Foreign Policy: <http://is.gd/uKDOI>.

89 المرجع السابق

90 المرجع السابق

91 Fahma, Georges/Meddeb, Hamza (2015): Market for Jihad: Radicalization in Tunisia. Carnegie Middle East Center: <http://is.gd/RI9pwf>.

بين السلفيين. لتناول المطالب الاجتماعية والاقتصادية، يجب على الدولة تنفيذ عدد من السياسات التي لن تبدو في ظاهرها على أنها تستهدف معالجة أزمة تطرف لكنها تعالج الأسباب التي قد تؤدي لانجذاب الشباب للجماعات المتطرفة التي تستهدف بدورها المهمشين والمحبطين. لذلك يجب في البداية حل المشكلات التي ينتج عنها إحساس الشباب بالتهميش والإحباط.

بالإضافة إلى ذلك فإن تضمين السلفيين في المشهد السياسي من شأنه الحد من ظاهرة انضمام الشباب للجماعات المتطرفة حيث سيتاح لهم وسائل سلمية للتعبير فإذا أراد الشباب السلفيون العمل في السياسة الرسمية أو في المجتمع المدني يجب على الدولة أن تسمح لهم بذلك طالما يحترمون القانون ولن يتم اتهامهم بالإرهاب دون وجه حق. يشكل هذا تحديا كبيرا للدولة في تونس حيث أنها الآن بصدد تفعيل قانون الإرهاب الجديد.

يرتبط هذا أيضا بتحجيم سيطرة الدولة على المشهد الديني عن طريق إعطاء صوت لكل الفاعلين السلميين المنتمين للتيارات الدينية وتشجيع رجال الدين التابعين للدولة على منافسة نظرائهم السلفيين كي يصبح المناخ الديني متنوعا بدلا من اللجوء لغلق المساجد وبالتالي إجبار السلفيين على التحول للأنشطة السرية. كما يجب أن يقوم حزب النهضة بإعادة تقييم موقفه بحيث يحدث فصل بين الحزب السياسي والحركة الإسلامية التي نشأ منها فلا تتدخل الحركة الإسلامية في سياسات الحزب السياسي ولا يستغل الحزب الحركة من أجل تحقيق مكاسب سياسية. سيحتاج هذا الأمر لوقت وبنبغي على الفصائل السياسية الأخرى مراقبة تنفيذ هذا التحول.

أخيرا وليس آخرا، يجب أن يتم التنسيق بين الفاعلين الدينيين والعلمانيين من أجل وضع وتنفيذ سياسات من شأنها القضاء على ظاهرة تحول الشباب للتطرف ومساعدة الشباب المنضمين للحركات المتطرفة على الاندماج في المجتمع مرة أخرى. يلعب خلق نماذج يحتذى به دورا جوهريا في هذا الشأن حيث يحتاج الشباب لقدوة تشجعهم على نبذ العنف.

## لماذا ينضم الشباب من دول الربيع العربي للجماعات الراديكالية المسلحة؟

رابحة سيف علام

عرف التاريخ العربي المحاصر خبرة الجماعات الراديكالية المسلحة في ثوبها الجهادي الإسلامي منذ الستينيات، عبر مجموعات متفرقة اتخذت العنف وسيلة للتغيير المجتمعي وفق فهم متشدد للدين. إذ استندت هذه المجموعات التي نشأت بالأساس في مصر ثم امتدت إلى دول عربية وإسلامية أخرى، إلى أفكار منظرين إسلاميين طرحوا مسألة حاكمية الله وجاهلية المجتمع ومن ثم أصلوا لفكرة الخروج على الحاكم في التاريخ المعاصر. وربما كان من أبرز منظري العنف في ثوبه الجهادي الإسلامي سيد قطب ومحمد عبد السلام فرج، حيث كيفوا العنف ضمن ظروف الدولة الوطنية الحديثة عقب الاستقلال. فارتبط العنف الجهادي بفرضية تغيير الحكومات بالقوة (الانقلاب) وفرض رؤية إسلامية محددة على المجتمع. وقد ساهمت الثورة الإسلامية في إيران في إعطاء النموذج لإمكانية تكرار التجربة في البلدان العربية، وخاصة في مصر. حيث كان اغتيال السادات الخطوة الأولى ضمن خطة أكبر للسيطرة على حكم البلاد تزامنا مع إشاعة الفوضى وطرد القوات الحكومية من مراكز المدن. ومن ثم كان خطاب العنف الجهادي موجها في تلك الفترة إلى ضرورة قتال العدو القريب، أي الحكومات لإزاحتها بالقوة. ولكن مع فشل انقلاب الإسلاميين في مصر مطلع الثمانينيات، وعمق تجربة قتال الروس في أفغانستان قبلها بسنوات، تحولت بؤرة الخطاب الجهادي إلى قتال العدو البعيد. وقد أسهم في ذلك اعتقال قسم كبير من الجهاديين المصريين وخروج القسم الآخر إلى الساحات الدولية للجهاد، مما عمق تجربة قتال العدو البعيد منذ منتصف الثمانينيات حتى برز تنظيم القاعدة بقوة منذ 1998 وتأكيد وجوده بأحداث سبتمبر/أيلول 2001 وغزو أفغانستان والعراق في 2001 و2003.

وفي مقابل ذلك، حل الربيع العربي لي طرح رؤية مغايرة للتغيير عبر مجموعة من الفعاليات الجماهيرية السلمية وأعاد قيمة الشعب إلى معادلة الحكم، بعد أن ظلت لفترة طويلة محصورة بين حكومات سلطوية متحصنة بالقوة العسكرية وجماعات جهادية عنيفة ومعارضة سياسية هزيلة. ومن هذا المنطلق يمكن القول إن المتغير في هذه المعادلة هو الربيع العربي مع ما يستحضره من دور سلمي للشعوب فيما يبقى الثابت هو الجماعات الجهادية العنيفة رغم ما شهدته من تحولات على بنيتها ووجهتها ومدى انتشارها. وبصفة عامة يبدو الفارق واضحاً بين ما يطرحه الربيع العربي من قيم كالعدالة والكرامة وحقوق الإنسان وما يتخذه من وسائل سلمية وبين ما تطرحه الجماعات الراديكالية المسلحة من قيم مغايرة ووسائل عنيفة. وهنا يتضح السؤال: كيف التقى الضدان وكيف تصاعد نشاط الجماعات الراديكالية المسلحة في البلدان التي شهدت الربيع العربي؟ في هذا المقال نحاول أن نطرح بعض الأسباب البنيوية المرتبطة بطبيعة الدول/الأنظمة العربية الحاكمة، وأخرى مرتبطة بطبيعة التنظيمات الراديكالية المسلحة وثالثة مرتبطة بموجة الربيع العربي.

### طبيعة الدول/الأنظمة العربية الحاكمة

- العنف المفرط الذي اعتمدته الدولة لقمع أو تحجيم موجة الربيع العربي أدى بصورة كبيرة إلى صرف النشاط السلميين أو ملاحظتهم أو تصفيتهم بما أخلى الساحة للتنظيمات الجهادية العنيفة، وحصر التنافس في معادلة صفرية بين الدولة العنيفة والجماعات العنيفة. ومن ثم انصرفت الجموع الغفيرة من الساحات لتخلى المجال للاشتباكات العنيفة في الأزقة الجانبية بين طرفي العنف سواء الدولة أو الجهاديين.

- فيما تسبب انسداد أفق التغيير عبر الوسائل السلمية أو تعثره، في صرف الشباب الذين شحذوا قواهم وتحمسوا للتغيير بالتحول من السلمية إلى العنف سواء بهدف إحداث التغيير فعلياً أو مجرد الثأر ممن أفسلوا ولادة التغيير المنشود.

- عدم التعافي من عقود طويلة من سلطوية الدولة سواء السلطوية القديمة أو المستجدة في وجه الربيع العربي مما خلق دائرة مفرغة من القمع والتطرف أو من عنف

الدولة والعنف المضاد من الجماعات الجهادية. (Hinds 2014, p. 11) وهنا لا بد من الإشارة إلى حالات كثيرة قد تصل إلى حد الظاهرة العامة للتحويل إلى الفكر المتطرف داخل السجون، من خلال القمع والتعذيب داخل أماكن الاحتجاز، فضلا عن التلمذ على يد الجهاديين المحتجزين أصلا بالسجون.

- ضعف الثقة في هياكل الدولة خاصة الأمنية والدينية جعل الاستجابة المجتمعية لتصاعد التجنيد الجهادي بين الشباب معطلة أو عاجزة. إذ من غير المتوقع اللجوء لهذه الأجهزة بشكل فعال لمكافحة التطرف أو إجهاض عمليات التجنيد في ظل استخدام هذه الأجهزة لسياسات قمعية تطال المعارضين المعتدلين، فما بالنا بالمتشددين ذوي التوجه الجهادي. وفي نفس الوقت يبقى المجتمع المدني مكبلا عن الفعل المنفرد لمكافحة التطرف بسبب إفشال التحويل الديمقراطي والقيود المفروضة على نشاطه ضمن رفض السلطة الحاكمة لتوسيع دوائر صنع القرار واستمرار الهيمنة عليها واحتكارها.

- الدولة العنيفة التي تقاوم التغيير السلمي في الدول العربية هي دولة ضعيفة بالأساس غير ممثلة لكافة مكوناتها وبالتالي لا تملك غير سوء استخدام العنف الشرعي وتوظيفه في مقاومة موجات التغيير عبر القمع الممنهج. لأنها لا تملك إنفاذ سياساتها إلا بالقوة ولا تملك الدخول في مساومات أو حوار مع مختلف الفاعلين بالدولة والمجتمع

- ضعف الدولة ذاك شكل فجوة سمحت بتسرب وانتشار وامتداد جماعات العنف الراديكالي مستفيدة من تناقضات الدولة والمجتمع. ومن ذلك مثلا ضعف قدرات الأجهزة الأمنية في بلدان الربيع العربي عن ضبط الحدود وتطوير شيوخ تجارة السلاح (Hinds 2014, pp. 11-13) الأمر الذي ينطبق على كل من مصر وتونس وليبيا وصولا لليمن وسوريا.

- تمثل ضعف الدولة ذاك في صورة منه في جمود هياكل الدولة وعدم قدرتها على استيعاب الشباب الطامح إلى التغيير. وفي المقابل كان الولوج إلى الجماعات

الراديكالية المسلحة سهلا مرحبا به، استنادا على طول فترة الصراع بين الدولة/الأنظمة والشباب خلال الثورات.

- السماح بعودة المقاتلين من ساحات الجهاد العالمي إلى بلدانهم - دول الربيع العربي-، أو إطلاق سراح جهاديين من السجون في إطار إجراءات النظم الحاكمة للتصالح مع المجتمع والالتزام بالقانون، - (Malka 2015, p10& p99- Hinds 2014, p. 12) أو في إطار خطة ممنهجة لإغراق الساحة بالمتشددين رغبة في وأد الحراك السلمي الديمقراطي. تكرر هذا الأمر بشكل ملحوظ في مصر وتونس عقب إزاحة مبارك وبن علي، حيث تم إطلاق العديد من الجهاديين الذين قضوا مدد عقوبتهم أو من الذين كانوا قيد الاحتجاز بموجب قوانين الطوارئ الاستثنائية. أما في سوريا فقد تم الإفراج عن مجموعة تقدر بالمئات من الجهاديين السوريين الذين قاتلوا من قبل إبان الغزو الأمريكي للعراق، ثم اعتقلهم نظام الأسد لاحقا ضمن صفقة مع الأمريكيين قبيل التأزم في العلاقات الثنائية عقب اغتيال رفيق الحريري في 2005. واللافت أن إطلاق سراح الجهاديين ضمن عفو رئاسي قد تم التسويق له من جانب النظام السوري باعتباره استجابة من النظام لمطالب الإصلاح السياسي، فيما أنه كان خطة لتدبير تمدد متعمد للجهاديين على حساب الحراك السلمي للثورة السورية.

وفي هذا الإطار، تبدو تجربة سوريا هي الأوضح، حيث كان الحراك السوري سلميا ومدنيا صرفا طوال العام 2011، باعتراف النظام السوري نفسه. ولكن بسبب إمعان النظام في قمع التظاهرات وحصار القرى الثائرة وارتكاب المجازر الطائفية، انصرف الأهالي إلى التسلح من أجل حماية أنفسهم من الحملات الأمنية التي تتعرض لها قراهم وأحيائهم<sup>92</sup>. من جهة ثانية، في مصر مثلا حيث كان التغيير أكثر سلاسة في بداية الثورة، خفت نشاط الجماعات الجهادية للغاية، بل اقتصر على تفجير خط تصدير الغاز إلى إسرائيل ربما لأكثر من 15 مرة خلال عامي 2011-2012. فيما كانت أغلب القضايا الداخلية محل شد وجذب للحراك المدني السلمي

92 شهادات لاجئين سوريين تمت مقابلتهم بين سبتمبر/أيلول ونوفمبر/تشرين ثان 2015 في كل من لبنان والأردن ومصر ضمن مشروع تابع لمنظمة المرأة العربية

والجدل السياسي. غير أنه مع انسداد أفق التغيير السلمي عبر الوسائل الديمقراطية، وجنوح مؤسسات الدولة إلى ممارسة سياسة قمعية بحق المعارضين للمسار السياسي، بدأت عمليات العنف المنسوبة إلى الجماعات المتطرفة في التصاعد. يضاف إلى ذلك، عمليات العنف والتخريب التي تقع بحق المنشآت العامة ورجال الشرطة والقوات المسلحة دون أن تكون بالضرورة ذات مرجعية دينية متشددة. وفي هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى أن مجموعات عنيفة كالعقاب الثوري والمقاومة الشعبية تقوم بعمليات عنيفة سواء تخريب منشآت أو استهداف رجال الشرطة وهي على أرضية غير دينية وتستهدف الثأر لتعثر المسار الثوري وأرواح الشهداء دون أن تكون ذات أبعاد إيديولوجية إسلامية متشددة.

### طبيعة وتطورات الجماعات الراديكالية المسلحة

- فشل التحول الديمقراطي السلمي عبر الربيع العربي أضاف الكثير إلى حجج الجماعات الراديكالية المسلحة عن عدم إمكانية التغيير السلمي في دول أصبحت هياكلها غير قابلة للإصلاح، ومن ثم دقت ساعة العمل على هدمها بالقوة وإعادة بنائها على أسس شرعية متشددة. ومن ثم انتعشت عمليات التجنيد الجهادي بين شباب دول الربيع العربي عقب تعثر التغيير السلمي، وبدء مرحلة تغيير هياكل الدولة بالقوة ثم إرساء دولة جديدة -داعش- للانصراف إلى استهداف المجتمع بالبطش وتغييره بالقوة هو الآخر.

- وجود جرح غائر في جسد الأمة الإسلامية -سوريا- أضاف الكثير إلى تواتر التجنيد الجهادي بين الشباب وقدم دعاية إضافية لصوابة الطرح الجهادي في ظل عجز المجتمع الدولي أو النظام الإقليمي العربي عن حماية المدنيين. فضلا عن تماهي النظام السوري في بطشه وقمعه على أرضية مذهبية وطائفية عززت من الاستثمار الطائفي للقضية السورية من جانب الجماعات الجهادية (Shields 2012, p. 100- Malka 2015, p. 16). يشير المراقبون للقضية السورية إلى تعثر الجماعات الراديكالية في التكيف مع البيئة المحلية في بداية الأزمة. حيث كانت المجتمعات المحلية غير مرحة بالفكر المتشدد لجهة النصرة تحديدا، ولكن لاحقا عندما

أثبتت النصرة كفاءة في الدفاع عن الأهالي وصد الحملات العسكرية للنظام، اكتسبت شعبية وتم قبولها محليا.

- تطور الجهادية من القاعدة إلى داعش، أي من مجرد تنظيم جهادي يسدد ضربات انتقامية لأنظمة الحكم إلى دولة تسعى للتمدد وفرض سيطرتها على مساحات واسعة من مناطق همشتها الدول السلطوية فورثتها داعش دون عناء كبير. استغلال تناقضات الدولة الفاشلة لإعلان الخلافة والتحرك على الأرض وتنفيذ سياسات على الشعوب والأهالي المقيمة في إطار هذه المناطق المهمشة منح داعش الكثير من الموارد وازداد الكثير إلى قدرتها على التحنيد وتنفيذ نموذج الهجرة إلى دولة الخلافة سواء للانخراط في القتال أو لشغل وظائف مدنية في مجتمع الخلافة الوليد. فلم يعد المجندون ضمن داعش هم المقاتلون فقط، بل أيضا أصحاب المهن المختلفة أو متوسطي التعليم أو المراهقين الذين تركوا التعليم من اجل الانطلاق إلى مغامرات دولة الخلافة المرعومة.

وفي هذا الاطار، يمكن قراءة ميلاد داعش باعتبارها تطورا مترتبا على الربيع العربي، أو بمعنى أدق وكأنها نجاح لثورة الشباب بين الجهاديين وتمكنهم من خلع نظامهم الحاكم سابقا -القاعدة- وتنصيب نظام آخر- دولة الخلافة المرعومة. ومن ثم نجحت داعش في التمدد مستفيدة من فائض الشباب الذين لفظتهم مجتمعاتهم سواء عبر إفشال الثورات وتعميق سياسات القمع الممنهج أو تعطيل دمج الشباب في هياكل الدولة وتعطيل مبادراتهم المجتمعية. ولكن أيضا يمكن قراءة التنافس بين داعش والقاعدة باعتباره تعثرا لثورة الجهاديين الجدد إزاء الأنظمة السابقة للجهاديين وأبطالهم القديمة.

### طبيعة الحراك السلمي للربيع العربي

- ضعف الثقافة الديمقراطية العربية فيما يتعلق بقبول تداول الحكم، ومن ثم الاستدراج إلى حتمية التغيير اللحظي عبر استخدام الوسائل السلمية ابتداء وإن تعذر، التحول إذن إلى العنف.

- كفر قطاع كبير من شباب الإسلاميين بالتغيير عبر الديمقراطية باعتبارها سلم يستخدم للصعود مرة واحدة دون تداول. أو باعتبار نتائجها واجهة هشة لما يجري



ترتيبه في كواليس النخبة السياسية ومن ثم يمكن الإطاحة بهذه النتائج إذا ما أتت على غير ما تشتهي النخب الحاكمة فعليا من وراء الستار.

- جاذبية فكرة عقاب الدولة/النظام لدى الشباب الذي حاول الانخراط في التغيير سلميا وفشل فتحول إذن إلى العنف بسلاسة. وهنا لا بد من الإشارة إلى ضبابية التفرقة بين الدولة وبين النظام في إدراك الشباب، بسبب مصادرة الأنظمة لمؤسسات الدولة وتجييرها لحسابها في صراعها مع قوى التغيير السلمي على وجه الخصوص.

- عدم وضع ضوابط صارمة وقواعد واضحة لإدارة عملية التحول الديمقراطي بحيث تم تخطي كل القواعد المتعارف عليها للتنافس النزيه ضمن حالة سيولة بررت العنف في إطار التنافس السياسي. ومن ثم استخدام خطاب طائفي خاضع للاستقطاب برر العنف اللفظي ثم عزز من العنف الفعلي.

وهنا لا بد من الإشارة إلى الدور الخطير التي لعبته النخب السياسية في دول الربيع العربي في تعزيز الاستقطاب السياسي على أرضية تنافس إسلامي/علماني بشكل قد يصل إلى حد الحشد الطائفي أو الإقصائي. الأمر الذي عزز فيما بعد سهولة الانزلاق من العنف اللفظي إلى العنف الفعلي (Hinds 2014, p. 9) وهنا برزت التظاهرات الشعبية للتيارات الإسلامية كاستعراض للقوة والترهيب إزاء منافسيهم السياسيين من العلمانيين أساسا ضمن خطابات استقطابية حادة اشتركت فيها التيارات الإسلامية المعتدلة والمتشددة على حد سواء. تكرر هذا الأمر بدرجات متفاوتة في كل من مصر وتونس، حيث مارست التيارات الأكثر اعتدالا، كالأخوان المسلمين والنهضة، تلاعبا خطيرا عبر التلويح باستخدام فزاعة الإسلاميين المتطرفين. فبدلا من القيام بدور ترشيد الخطاب السياسي ذي التوجه الإسلامي، عمدوا إلى الاستفادة من الوضع القائم وربما تعميقه بهدف تقديم أنفسهم باعتبارهم الخيار الأفضل إذا ما قورنوا بالأكثر تشددا. فمن جهة أزهبوا العلمانيين بفزاعة المتطرفين، ومن جهة حاولوا استمالة أصوات المتشددين بخطاب طائفي حاد، بما أحدث شقوقا عميقا في الصف الوطني خاصة بمصر، وبدرجة أقل في تونس.

## قائمة المراجع:

- Jon B. Alterman ed. (2015), "Religious Radicalism after Arab Uprisings", Center for Strategic and International Studies, 2015
- Jon B. Alterman & Willian MacCants (2015), "Egypt: the Search for Stability", in Jon B. Alterman ed. (2015), "Religious Radicalism after Arab Uprisings", Center for Strategic and International Studies
- Heidi Breen 2013, "Violent Islamism in Egypt from 1997 to 2012", Norwegian Defense Research Establishment FFI, June 2013
- Róisín Hinds (2014), "Conflict analysis of Tunisia", GSDRC, International Development Department, College of Social Sciences University of Birmingham, January 2014
- Danielle Angel, "The Arab Spring & Terrorism", Fall 2011
- Farahad Khosrokhavar (2012), Radicalisation and the Arab Spring, in Debate- Radicalization Research, 21-4-2012, <http://is.gd/Z86RTj>
- Haim Malka (2015), "Jihadi-Salafi Rebellion and the Crisis of Authority", in Jon B. Alterman ed. (2015), "Religious Radicalism after Arab Uprisings", Center for Strategic and International Studies
- Nathan E. Shields (2012), "Unrest in the Middle East: Potential Implications for International Terrorism and Counterterrorism Policy", in *Global Security Studies, Spring 2012, Volume 3, Issue 2*

## الشباب العربي والحركات الراديكالية ملاحظات حول الحضارة والسلوك والعنف

علي المعموري

مدخل:

بالرغم من العدد الكبير من الدراسات التي جعلت محورها الأساس الإجابة على السؤال المركزي بهذا الشأن، وهو (لماذا ينظم الشباب من دول الربيع العربي إلى الجماعات الراديكالية المسلحة؟)، إلا إن الكثير من الإجابات تظل موضع اختلاف كبير، بل قد تتناقض بقدر اختلاف وجهة النظر التي تقف خلفها، ما يضيف إشكالية أخرى لا تقل تعقيدا عن ذات السؤال وموضوعه.

ويقدر محاولة هذه الورقة أن تلم بأهم التوجهات التي تفسر هذه المشكلة على سعتها، لكن في ذات الوقت ستحاول ان تقدم رؤية بمنظور أضيق نطاقا، بالاستناد إلى مجمل تلك التفسيرات بطبيعة الحال، وبإسقاط محدد على الحالة العراقية، إذ من المهم أن نلاحظ انه وبالرغم من وجود عوامل مشتركة يمكن تطبيقها على دول الربيع العربي وشبابها بالمجمل، لكن هناك عوامل مختلفة قد يكون بعضها أعمق غورا تتعلق بكل مجتمع على حدة، لهذا ستشير الورقة إلى النموذج العراقي في سبيل تفحص فرضيتها.

كما ومن الضروري ملاحظة سعة الموضوع، واستحالة حصر الأسباب في ورقة مختصرة، مما قد لا يجعلها بمعرض عن الخلل، والنقص ولكن ذلك لن يكون مانعا من أن تكون مفيدة في مواضع أخرى.

وللإجابة عن هذا السؤال، تفترض الورقة إن ما يذهب له بعض الباحثون من أسباب دينية واجتماعية وثقافية تشكل دوافعا لانضمام الشباب إلى الحركات الراديكالية المسلحة في دول الربيع العربي قد لا يتضمن الإشارة إلى موضوع مشترك ويتميز بخصوصية مكانية في كل دولة بذات الوقت، يتعلق بعنوان أوسع ضمن ما

يمكن أن يعد نكوصا حضاريا خلخل كل متطلبات الحضارة، ابتداءً من العقائد وآليات فهمها، وانتهاءً بالدولة، أهم منجزات الحضارة.

إذ إن الحضارة، بما تعنيه من تركيب معقد، متعدد الأبعاد، يضم قيما وعناصر تاريخية، وسميوتقافية، وسياسية، واقتصادية، تختلف باختلاف تجارب الشعوب في إقليم الحضارة نفسها، وطريقة تفسير مجتمعتها، ونخبه للتجارب التي مرت بها أمهم، والقيم المستخلصة من ذلك، وطريقة تأويل النصوص المقدسة بالنسبة للحضارات التي يشكل المقدس ركنا أساسيا في عناصرها القيمية، والحقيقة، أن الإيديولوجيا في النهاية وليدة المجتمع، وابنة صيرورته وتجاربه، وهو ما تدور صميم فرضية الورقة حوله.

### أولا: في التمييز بين الحركات الراديكالية ومنابعها الفكرية.

إن المتفحص للحركات الراديكالية المسلحة الناشطة في البلدان العربية سيلاحظ إن هناك اختلافات عديدة بين هذه الحركات، بعض الاختلافات تنظيمي، والآخر إيديولوجي جذري، وبملاحظة أن الراديكالية عموما تدور حول التصلب في المعتقدات الفكرية، وتجلياتها السياسية بالتالي، ضمن محاولة قلب الأوضاع الراهنة من الأسس، وإبدالها بقواعد جديدة، أو في موضوع الورقة العودة إلى الأسس القديمة التي تجد التنظيمات الراديكالية أنها ضاعت<sup>(93)</sup>، على هذا الأساس يمكن القول انه هناك اختلافات تنظيمية مثل الخلافات بين داعش والقاعدة وفروعها، واختلافات جذرية مثل الاختلافات بين الحركات التي تستمد أديباتها من التراث الفقهي السني، وبيت تلك التي تستمدها من التراث الفقهي الشيعي.

بل إن تفحص الحالة العراقية بهذا الشأن سوف يبين إن الاختلاف الجذري لا يكمن بمجرد التاريخ الفقهي، بل يتعلق بمؤثرات سياسية وثقافية واجتماعية مرتبطة بطبيعة الصيرورة التاريخية للدولة والمجتمع في العراق، وإن العامل الديني ويقدر ما يؤسس للمنظومة الإيديولوجية المسيرة لهذه التنظيمات، إلا إنه من جانب آخر ليس الدافع الأساس بقدر ما هو المبرر للسلوك.

---

(93) ينظر للتفصيل: International Encyclopedia of the Social Sciences, William A. Darity Jr. editor in chief (New york: Macmillan reference, 2008) vol7, p48

## ثانيا: في توجهات الباحثين

يمكن القول إن هناك مجموعة رئيسة من وجهات النظر التي يقدمها الباحثون في هذا السياق، وهي قد تتوافق، وقد تتناقض بقدر اختلاف مشارهم الفكرية نفسها.

### المجموعة الأولى: المحفزات الإيديولوجية-الدينية

يكاد هذا السبب أن يكون متفق عليه بين أغلب الدراسات، وإن لم يعد من يعارضه، فمن الواضح إن هناك في الميراث الفكري لبعض المدارس الإسلامية، القديمة منها والحديثة، مما يتعكز على نصوص دينية قديمة، وينطلق ضمن تجارب السلطنات الإسلامية في التاريخ، تدور تركز على الجهاد وتفصيلاته، وإن هذه التفسيرات المتطرفة، وأصولها التاريخية تشكل حافزا أساس لهذه الحركات، خصوصا تراث الشيخ عبد الحليم بن تيمية الحراني (توفي 1328م) وتفسيرات محمد بن عبد الوهاب التي قامت عليها المملكة العربية السعودية، وعملت على انتشارها في العالم الإسلامي<sup>(94)</sup>، وهو ما ينطبق بطريقة أخرى على تفسيرات متشددة حديثة تطورت إليها المدرسة الفكرية عند الشيعة الإمامية والتي تتناغم مع فكرة الحاكمية التي جاءت في أدبيات حركات الإسلام السياسي لدى السنة والشيعة حيث وجدت طريقها بالنهاية إلى أن تظهر بشكل أو بآخر في أدبيات ولاية الفقيه.<sup>(95)</sup>

والحقيقة إن افتراض وجود تراث ديني عنيف لوحده يشكل دافعا للعنف المنظم عبر جماعات دينية راديكالية لا يفسر لماذا لم يظهر هذا العنف الديني بهذه الطريقة خلال القرن الماضي حتى منتصف الستينيات تقريبا، رغم وجود ما يبرر -دينيا- انبثاقه ذلك الوقت، والواقع إن الأمر يرتبط بدرجة كبيرة بالتراجع الحضاري، بضعف بنية التعليم، وتنامي السخط الاجتماعي، والسخط السياسي من الحكومات المحلية والنظم الغربية، وسنجد هناك من الباحثين من يؤكد على هذا، فضلا عن كتاب

(94) للاستزادة حول الجهاد وتوظيفه، ينظر هذا الملف البحثي المفيد: الجهاد، الشهادة، الشهيد... ملف بحثي، أشرف عليه د. بسام الجمل، (بدون مكان نشر، مؤمنون بلا حدود، 2015).

(95) ينظر للاستزادة: على المعموري، الدين والدولة في العراق: بين أطروحات الإسلام السياسي والنظريات البديلة، على موقع فكر أونلاين، <http://is.gd/Du1aoz>

يبدون منسجمين مع الإيديولوجيات الراديكالية وتحليلاتهم تبدو أقرب للتبرير منها للتفسير. (96)

وهذه المحفزات الإيديولوجية، لا يمكن ان تفهم إلا بملاحظة تفاعلها مع العوامل السياسية.

### المجموعة الثانية: العوامل السياسية

بالرغم من أن الكثير من الباحثين يؤكدون إن العوامل السياسية تتعلق بدرجة كبيرة بضعف المشاركة السياسية، والديكتاتورية، وانعدام الحريات العامة، إلا إنه من المهم الإشارة إلى أمر قد يكون هو الإطار الذي يضم ما سبق، وهو فشل الدولة الوطنية في أن تكون دولة بالفعل، سنلاحظ إن هناك من الدول في المنطقة من لا يزال يعاني من أزمة الهوية الوطنية، والاندماج الاجتماعي، الذي قاد بدوره -في ظل فشل تنموي على كل المستويات- إلى القطيعة بين الدولة ومواطنيها، وحين ضعفت الدولة، انفجرت الهويات الفرعية، التي كانت بالغالب هويات دينية/مذهبية، أنتجت بالنهاية كيانات مسلحة تقاتل الدولة، وتقاتل فيما بينها، ويقف خلف كل منها أطراف دوليون وداعمون إقليميون<sup>(97)</sup>، وهذا ما يتعلق بآخر ما ذكرناه في النقطة السابقة.

### المجموعة الثالثة: العوامل الاقتصادية

تضع دراسات متعددة للعامل الاقتصادي دورا مهما في انضمام الشباب إلى هذه الحركات، فالبطالة، وضعف السوق عن استيعاب الاعداد المتزايدة من الشباب

---

(96) على سبيل المثال هناك من حمل الحضارة الغربية ودولها المسؤولية التامة عن انبثاق هذه التنظيمات، عبر طريقة تعاملها مع قضايا المنطقة ومشاكلها السياسية، ينظر: بكر العطار، "5 أسباب تدفع الشباب إلى الانضمام إلى داعش واخوانها، على موقع (الأمة) <http://is.gd/3ecXdV>

وإن لم يعدم من يؤيد هذا التوجه من الباحثين المستقلين، ولكن عبر محاول فهم أثر تلك السياسات الغربية وليس اتخاذ موقف منها، بملاحظة الموقف الغربي من الصراع العربي الاسرائيلي والسياسات غير المتوازنة في هذا الجانب، ينظر مثلا: مها يحيى، الجاذبية القاتلة: خمسة أسباب لانضمام الشباب إلى داعش، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، <http://is.gd/QxVv24>

(97) علي المعموري: التنظيمات المنطرفة في العراق: القيم والعنف المنظم في العراق، مداخل للتأثير الاقليمي، من أوراق المؤتمر الإقليمي الخامس (الشرق الأوسط في ظل متغيرات السياسة الدولية)، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية في الجيش اللبناني.

والخريجين والايدي العاملة حين يتفاعل مع العوامل السابقة سوف يقود الشباب بطريقة أو بأخرى إلى الانضمام إلى هذه التنظيمات، سواء عبر المغريات المادية نفسها، أو في محاولة للقضاء على ظاهرة الفقر الناتجة عن الفشل التنموي للدولة.

### ثالثا: كيف تتفاعل هذه العوامل؟

إن ملاحظة ما سبق ذكره من أسباب بمعزل عن فهم كيفية تفاعلها، أو دون تشخيص البيئة الحاضنة لهذا التفاعل سوف يجعل تلك العوامل تبدو وكأنها تعمل بطريقة منفردة وقد لا توضح بالفعل كيف يمكن أن تكون دافعا للشباب لحمل السلاح إيديولوجيا.

كما ينبغي ملاحظة إن هذه الدوافع لا تعمل بطريقة متشابهة، أو بنسب متساوية في كل بلد عربي، لأن لكل بلد عربي من الخصوصية المتعلقة بإقليمه، تاريخيا، وجيوسياسيا، ما يجعل بوتقة الانصهار وعوامله مختلفة في كل بلد.

ولنا أن نتساءل، كيف تتفاعل تلك العوامل؟ ووفق أي معادلة تنتج ذلك العنف؟

وهنا يجب أن نسوق النقاط التالية:

1. إن فهم النصوص الدينية، فرديا على مستوى رجال الدين، وصولا إلى الفهم الجمعي لها غير متشابه في المجتمعات الإسلامية، لأمر مهم، وهو أن الإسلام وبقدر ما أخضع الحضارات القديمة لتعاليمه أبان توسع الدولة الإسلامية، فإن تلك الحضارات لم تنحسر قيما وإن انتهت سياسيا، وسنجد ان قيم تلك الحضارات تسربت رويدا إلى عملية فهم الأمم للنصوص الإسلامية، وطبعت تلك التفسيرات بطابعها، كما أن عملية فهم النصوص بذاتها تعلقت بمزاج الحاكم وقدرته على إلزام الفقهاء بتطويع النص المقدس للضرورة الدنيوية، وسنلاحظ أن ذات النصوص التي استند لها الفقهاء في ممارسة الفلسفة، لا بل الدفع باتجاهها في العصر العباسي، هي ذات النصوص الدينية التي تم تحريم الفلسفة على أساسها، وبتحريم الفلسفة يتم الاستناد إلى النص، وتقديسه، والذي قد لا يكون صحيحا بالضرورة، إن هذا يوضح ان

التطرف الديني لا يقف عند حد النص، قدر ما يتعلق بصيرورة تاريخية تفسر ذلك النص بتجربتها الخاصة. (98)

فضلا عن ذلك، فإن الخلافات المذهبية وصراعاتها التاريخية المصطبغة بالسياسة أكثر من اصطبغها بالدين ذاته تجعل من أسباب ظهور التنظيمات مختلفة، وان اتفقت بالممارسة والسلوك آخر الأمر، فالفصائل المسلحة الشيعية في العراق، التي بدأت بالنمو ابتداء من (2003) لم تستفحل وتعدو بديلا عن الدولة وجيشها إلا بعد احتلال داعش للموصل في أغسطس/آب 2014 وانحيار أغلب فرق الجيش العراقي، وهو أمر يختلف عن نشأة داعش وريثة القاعدة والتنظيمات السلفية السنية العنيفة وأسباب استفحالها في العراق.

2. عدا ذلك، فإن الحاضنة الأساسية للتطرف تبدو في الكثير من البلدان العربية ملائمة للتجمعات السكانية الفقيرة، الأمر الذي يوضح كيف ينشأ التفاعل بين النصوص الدينية والعوامل الاقتصادية باتجاه العنف، وهذه التجمعات الفقيرة ترتبط بالفشل التنموي بطرق مختلفة، فهي تشير إلى ظاهرة تريف المدن، التي ترتبط بفشل التنمية في الريف، ثم العجز عن تمدن هؤلاء النازحين من الأرياف، عبر فشل التعليم في إدارة عملية تنشئة سليمة لأبناء هؤلاء، وانخراطهم في سوق العمل الشاق مبكرا، وفي ظل الأزمات النفسية المترتبة على ذلك، فإن دور الدعاة الدينيين المتطرفين سيكون أول ملجأ يذهب إليه هؤلاء الشباب. (99)

3. أما الدولة، ونظامها السياسي، فتبدو ادوارها مزدوجة، تؤثر بطرق عدة، فتبني السلطة السياسية لمذهب معين، وفرض شروطه، وتفسيراته على المختلف سيولد ردود فعل معاكسة تدفع إيديولوجيا إلى العنف، فضلا عن

---

(98) ينظر للتفصيل: ابراهيم غرايبة، التطرف الديني ليس سوى جزء يسير من حالة دينية راسخة وعميقة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، <http://is.gd/oDCIFO>  
(99) د. كريم محمد حمزة، مشكلة الفقر وانعكاساتها الاجتماعية في العراق (بغداد: بيت الحكمة، 2011)، ص 26 و 74 و 77، وانظر د. مهدي الحافظ، التنمية البشرية أفكار ومعالجات جديدة (بغداد: بيت الحكمة، 2012)، ص 30.



ذلك، فإن السلطة السياسية حتى لو اتخذت صبغة غير دينية، فإن فشلها في بناء منظومة قوانين تضمن حقوق المواطنين، وتعزز العدالة الاجتماعية والمشاركة السياسية فإن تراكم ذلك سوف يقود إلى الاضطرابات، وضعف سلطان الدولة، ثم بزوغ قوى محلية تقوم مقامها، ومادام الدين يشكل ركنا أساسيا في القيم الاجتماعية، فإن تلك التنظيمات ستكون متعلقة به بطريقة أو بأخرى، وسيتعزز السخط من الدولة فضلا عن السلطة السياسية ويتمظهر في صدام مسلح ضمن تنظيمات عقائدية.<sup>(100)</sup>

إن فشل الدولة في إدارة الصراع الاجتماعي، وإيجاد تسويات للمطالب المتناقضة لن يكون بديله إلا ظهور الحركات المسلحة، وانضمام الشباب لها بدوافع قد لا يكون الدين ركنها الأساس بقدر ما تكون المطالب السياسية والدوافع الطائفية المؤسسة سياسيا هي محفزها الأساس، وهو ما تجلّى بطريقة أو بأخرى بتطور الاحتجاجات السنوية في العراق إلى سقوط المحافظات السنوية بأيدي تنظيم داعش، وبزوغ نجم الفصائل الشيعية المسلحة تجاهها.<sup>(101)</sup>

فضلا عن ذلك، فإن انعدام فرص العمل، وضعف القدرة على توفير وظائف جديدة للأعداد التي تدخل سوق العمل سنويا قاد الشباب باتجاهين محددين للعمل، أما الانخراط في القوى الأمنية الحكومية التي بدأت تتضخم على حساب المؤسسات الأخرى، أو الاتجاه نحو التنظيمات الراديكالية، التي أصبح لبعضها في بغداد استقلالية تامة عن الدولة، وتفرض ضرائبها على المواطنين في مناطق نفوذها، وهو عين ما كانت القاعدة تمارسه في الموصل تجاه المواطنين، في ظل فشل أو تواطؤ الأجهزة الأمنية في الدولة مع هذه التنظيمات.

#### رابعا: مقارنة عبر المنظر العراقي

ان ما سبق ذكره من أسباب، وكيفية تفاعلها أغفل بطرحه المحمل الخصوصية المتعلقة بكل إقليم أو دولة بذاتها، ان من المهم حقا ملاحظة الصيرورة التاريخية وذاكرة

(100) مها يحيى، الجاذبية القاتلة: خمسة أسباب لانضمام الشباب إلى داعش... مصدر سبق ذكره.

(101) ينظر هنا للتفصيل: على العموري، "داعش والموصل" خلفية الأحداث، القاهرة، منتدى البدائل العربي 2014.

المكان وأثرها في تكوين المجتمع، وخلق محفزاته ودوافعه، وفي سبيل تقديم ملاحظة مبدئية عن الخصوصية العراقية، وتحليلها طبقيا، لا بد من التطرق إلى نقطتين أساسيتين، هما:

## 1. عنف المكان

ان المتتبع للتاريخ العراقي سيلاحظ أن هذه الأرض كانت على الدوام مسرحا للاضطرابات والحروب، كنتيجة طبيعية لتنوع ثرواتها، القديمة والحديثة، الأمر الذي استمر منذ بداية الحضارة على هذه الأرض، مرورا بدخول المسلمين للعراق وتركز حروب ما اصطلاح على تسميته تاريخيا بالفتنة على الاراضي العراقية، وصولا إلى العصر الحديث والحروب المدمرة والاضطرابات التي شهدها العراق والانقلابات العسكرية الدموية، والصدامات المسلحة حتى اليوم، وهو ما ترك بطبيعة الحال أثره على طبيعة الفرد العراقي واستسهاله للحلول العنيفة الدموية.

ان الصراعات السياسية تلك، ومدخلاتها المذهبية/الدينية ظهرت كعنف هوياتي مرتكز على فشل الدولة في بناء هوية جامعة ثم ضعفها التام الذي قاد إلى ظهور التنظيمات البديلة عن الدولة، التي لم تتح أمام الشباب العراقي إلا أن ينضم لها لحفظ نفسه، أو استدامة معيشتة.<sup>(102)</sup>

كما إن عواقب الصدامات المسلحة وما تركه قتلاها خلفهم من أيتام بلا معيل مهد لإنتاج جيل عنيف من بينهم، وأخذت المشكلة بالتنامي بعد (2003)، وارتفاع عدد الضحايا، الذي صارت أسرهم -أيتاما وأرامل- هدفا مضمونا للعصابات الإجرامية، والمنظمات الإرهابية، ووقودا جاهزا لإشعال الحرائق في العراق، حيث جاء في تقرير صادر عن وزارة حقوق الإنسان العراقية إنه: "من بين (669) حدث أودعوا دور (ملاحظة الاحداث) في دائرة اصلاح الاحداث العراقية فإن (239) هم ممن اتهموا بقضايا الإرهاب فيما كان عدد (153) اتهموا عن جرائم قتل و(101) عن

(102) ينظر للتفصيل: باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق، (دمشق، بدون ناشر، 2014، ط2).

جرائم سرقة و(50) عن جرائم التسليب (12) عن جرائم الخطف فيما سجل (87) عن جرائم مختلفة اخرى".<sup>(103)</sup>

وهو ما تعزز بالفشل التنموي، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

## 2. العوامل الطبقيّة

إن تفاعل ما سبق من مدخلات سلبية سواء كانت دينية أو اقتصادية أو سياسية كان ينصهر في عملية فرز طبقي للمجتمع العراقي، طبقية سببت ظهور مدن هامشية، ومجموعات تقف أدنى هرم المجتمع العراقي، طبقات تمتد أفقيا في ظل فرز عمودي ديني/طائفي وعرقي، كنتيجة مباشرة لسلوكيات النخبة الحاكمة التي عززت بطرق متعددة انقسام المجتمع العراقي إلى طبقات.

والغريب إن هذه الطبقات التي تتشابه ظروفها أفقيا، مارست ذات طائفيتها مع موازيها الطبقي الطائفي، فالمسحوقين الشيعة هم جنود التنظيمات الراديكالية الشيعية التي تحارب التنظيمات الراديكالية السنية، التي يشكل المسحوقين السنة جنودها الأساس.

كما إن سلوك السلطة السياسية لم يكن لوحده من عزز تلك الطبقيّة وعمقها، إذ أنّها ترتبط بما سبق الإشارة له من ظاهرة تريف المدن، فموجات الهجرة الكبيرة إلى المدن قوبلت من أهل المدن بتحقيق بالغ، وظهرت ألفاظ عنصرية باختلاف المدن العراقية موجهة للمهاجرين، محدثة هوة نفسية عميقة بين الوافدين وقدامى السكان.

ان المتتبع للشأن العراقي سوف يعرف أن أقوى التنظيمات المسلحة الشيعية هي من هامش بغداد المدني، من مدينة الثورة التي تغير اسمها إلى مدينة الصدر، وأغلب قيادي هذه التنظيمات وعسكريها من هذه المدينة، كما أن من يسيطر على مدينة

---

(103) أثر الإرهاب على حقوق الإنسان في العراق لعام 2008، (بغداد: وزارة حقوق الإنسان العراقية، 2009)، ص30.

الموصل، ويعامل أهلها أسوأ المعاملة من اعضاء تنظيم داعش هم ذات ابناء القرى الذي ظلوا لوقت طويل محط احتقار عوائل الموصل القديمة.<sup>(104)</sup>

#### خاتمة:

إن تفحص الحال التي صارت لها المجتمعات العربية سوف يجعلنا ندرك مباشرة إننا أمام نكوص حضاري، بكل ما يعني نكوص وتراجع الحضارة من معاني، فالقيم المشكلة للحضارة بما تمثله من قواعد عامة للسلوك والتفكير قد تشظت، وانزاحت لصالح قيم متشددة متعصبة، وغياب للعقل والعقلانية، وتحول المؤسسات التعليمية إلى مكائن للتلقين الجاف، بما يقود إلى توقف نمو العقل النقدي لدى المتخرج منها.<sup>(105)</sup>

كما إن الدولة، منجز الحضارة الأبرز، وتحليلها في نظام سياسي، قد اهترأت تماما، ولم يعد لها سلطان، ولم تعد المحتكر الوحيد للإكراه الشرعي، ولم يعد لديها من القيم الجمعية ما يعزز مكانتها في النفوس، فيكاد الباحث ان يجد ان جيل الشباب بضياعهم هذا قد بدئوا بالاتصال بالحالة الطبيعية الأولى، وصدق عليهم ما ذكره هوبز عن نزوع الإنسان فطريا إلى حماية نفسه ولو أضر بالآخرين، وكيف تكون الحماية في زمن القطعان دون قطع؟

في لقاءه بصحيفة اللوموند، ذكر يورغن هابرماس ما يلي: (الإرهاب الداعشي لا علاقة له بالإسلام كدين، كان بإمكانه أن يستخدم أي معجم ديني أو إيديولوجي لتبرير عنفه).

وهو بهذا يلخص مجمل ما ذهبت له الورقة.

---

(104) من أفضل الدراسات حول الطبيعة الطبقية وأثرها الاجتماعي السياسي في العراق دراسة: حنا بطاطو، العراق (3 اجزاء)، (الكويت، دار القبس، 2003)، وللاطلاع على نسخة عن تأثيراتها في الوقت المعاصر يمكن الاطلاع على: على المعموري، الأعظمية: مقارنة طبقية، موقع فكر اونلاين، <http://is.gd/HyRxaI>  
(105) ينظر للاستزادة: ابراهيم عوض، رأي حول أسباب الشباب في الانضمام إلى "داعش"، على موقع (cnn) العربي، <http://is.gd/Y840HA>

**الباب الثالث:**  
**الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية**  
**لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية**



## أسباب اجتماعية واقتصادية لتحول الشباب من البدائل المدنية إلى جماعات العنف المسلح

أيمن عبد المعطي

تداولت بعض المواقع الإلكترونية خبرا مفاده، أن من بين منفذي الهجوم على نادي القضاة بمدينة العريش المصرية في 24 نوفمبر/تشرين ثان 2015، الذي أودي بحياة قاضيين و4 من عناصر الشرطة وإصابة 10 آخرين، شخص يدعى "عمرو" والملقب من قبل تنظيم "داعش" بـ"أبي وضاح المصري"، يعمل أبوه ضابطا بالقوات المسلحة، وعرف عنه من مقربين بأنه كان من مؤيدي د. محمد البرادعي ومن معارضي الإسلاميين بشدة في السابق.<sup>106</sup>

هذه الرواية، وبصرف النظر عن مدى صحتها، تشير إلى أنه ثمة تحولات هامة طرأت على تفكير الشباب واختياراتهم السياسية ومن ثم انتقاهم من حالة الفعل الثوري إلى اليأس الثوري. فاختيار العنف الفردي المسلح طلبا للشهادة ودخول اللجنة ليس تجليا للدين بوصفه مكونا أساسيا في تركيب الشخصية في منطقتنا العربية، بل أكثر منه تعبيرا عن "الكفر" بإمكانية التغيير عبر الفعل الجماعي، واللجوء إلى الحلول الفردية الأسرع بغض النظر عن نتائجها ومآلاتها بمعناها اللحظي والتاريخي، ناتج عن حالة من الاغتراب وانعدام التحقق والشعور بالفشل والهزيمة انتابت بعض من شباب الثورات بسبب تراجع مشروع الثورة وحراكها الجماهيري.

### أولا: النشأة

في عام 1928 وفي خضم أزمة كبرى ألمت بالاقتصاد العالمي، نشأت جماعة الإخوان المسلمين، في ظل تراجع الحركة الليبرالية وفشلها في حل المسألة الوطنية وجلاء الاحتلال البريطاني لمصر، وذلك بعدما قضت عبر حكومات لمثلها حزب

106مفاجأة بشأن منفذ هجوم فندق العريش، مفكرة الإسلام، 26 نوفمبر/تشرين ثان 2015، <http://is.gd/QZDV3C>

الوفد، على أول تجربة لحركة شيوعية - بصرف النظر عن عيوبها - كانت قد بدأت للتو في النضال لربط القضية الوطنية بالطبقية. لم تكن الأفكار التي تأسست عليها الجماعة تسير على نهج حركات الإصلاح الديني السابقة ذات النزعة الراديكالية لحل مشكلات الوطن والمواطنين، بل نضحت بالرجعية والتحالف مع أذناؤها، وسرعان ما تحول قسم من الحركة في أتون الصراع الوطني والاجتماعي في الأربعينيات إلى النضال المسلح باغتيال وزير الداخلية أحمد ماهر في 24 فبراير/شباط 1945 ومن بعده عدد من الشخصيات السياسية مثل رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي والقاضي أحمد الخازندار، علاوة على القيام ببعض التفجيرات، لينضم الإرهاب الفردي لأفكار نخبوية أخرى كبديل عن الجماهير في التغيير.

استمرت الجماعة في التحرك وكسب مؤيدين، تماما كما فعلت فصائل الحركتين الليبرالية والشيوعية، وبالرغم من أن أربعينيات القرن العشرين شهدت صعودا ملحوظا للحركتين الإسلامية والشيوعية والتنافس فيما بينهما على الجمهور وسط الشرائح الاجتماعية الحضرية بالأساس، إلا أن السلطة في مصر آلت في النهاية لتنظيم صغير من الضباط المصريين في الجيش لا جماهيرية له. هذه المفارقة التي أتمت تماما، حتى هزيمة نظامها الأول في نهاية الستينيات، على أي فرص للتغيير أو الفعل السياسي بسبب القمع الذي لاقته تلك الحركات وتأميم المجال السياسي، لم يكن تكرارها مرة أخرى مجرد صدفة بعد ستين عاما بعودة السلطة مرة أخرى إلى أحضان المؤسسة العسكرية بعد ابتعادها قليلا عنها لمدة عام واحد، بل نتيجة لاستراتيجيات تلك الحركات مجتمعة بما فيها اليسار الذي تحلى هو الآخر عن مركزية دور الجماهير وحركتها وتنظيماتها القاعدية في التغيير الجذري، هذا لو نحينا الرطان الأجوف عن أهمية الناس والدفاع عن قضاياهم جانبا.

من المؤكد أنه لا يمكن فصل السياسة بمعناها الإيديولوجي عن معنيها الاجتماعي والاقتصادي، وبالطبع لا يمكن التعامل مع الدين كمحلقة منفرد في الفضاء دون ربطه بمصالح اجتماعية وسياسية على أرض الصراع في الواقع. هكذا يمكننا فهم ظهور الإخوان المسلمين ومن بعدهم جماعات الإسلام الراديكالي كتعبير عن مصالح اجتماعية وليس كخلاف فقهي حول معنى الدين وعلاقته بالحكم. ظهر



الإخوان بوصفهم تعبيرا عن أزمة قطاعات محافظة من شرائح الطبقة الوسطى في المجتمع وبالذات في أقسامها الريفية، لا يمكنها بحكم المصالح والثقافة السائدة الانتماء لأفكار ليبرالية أو يسارية. هكذا وجدت الجماعات الإسلامية أيضا ضالتها في فقراء ومعدمي الريف وبالذات صعيد مصر والمحيطين والمتعطلين من سكان عشوائيات المدن ومناطقها الفقيرة وحتى من الطبقة الوسطى التي تدهورت شرائح منها بفعل تراجع سياسات التشغيل وتدهور الاقتصاد المحلي. لقد تغذت تلك الحركات، التي لا تملك سوى الشعارات العامة الجوفاء والهيمنة الروحية المستمدة من قدسية الدين، والتي تخفي مصالح لا يمكن كتابتها في برامج سياسية لشدة بعدها عن مصالح من تجتذبهم، تغذت على ضحايا تدهور المجتمع وأهتار قيم وأشكال اجتماعية بسبب الأزمات وسياسات الإفكار التي خلفتها الطبقات الحاكمة بنهمها للربح ورجعيتها الشديدة، في ظل انعدام القدرة على طرح بدائل سياسية أخرى مغايرة.

### ثانيا: ظهور واسع للإسلام المسلح

قضى معظم قيادات وكوادر الإخوان سنوات طوال في سجون نظام عبد الناصر، وبالرغم من المحرقة المؤقتة للخليج في السبعينيات ما بعد الإفراج عنهم، إلا أن بذور الجهاد المسلح قد أُلقيت وبدأت تنضج ثمارها، ولا غرابة في أن أحدا ممن أسسوا لهذا المنحى هو المفكر والأديب سيد قطب الذي تبنى أفكار الجماعة وانضم لها ليدفع حياته ثمنا لذلك بإعدامه على يد نظام عبد الناصر. صحيح أن الأمور سارت بطريقة مختلفة فيما بعد في تأسيس الجماعات الجديدة فجاءت من خارج عباءة الإخوان بنسبة كبيرة جدا، إلا أن اعتماد الحل الفردي للنضال لم يكن إلا تنويعا أخرى على معزوفة احتقار الجماهير وحركتها، تماما كما فعلت في أوقات تنظيمات وحركات يسارية مسلحة في بلدان عربية وأخرى في النصف الجنوبي من العالم.

كانت البداية الجديدة للموجة الثانية في 18 أبريل/نيسان 1974 عندما اقتحم 100 من أعضاء "منظمة التحرير الإسلامي" مقر الكلية الفنية العسكرية بالقاهرة، واستولوا على أسلحة وسيارات بقيادة صالح سريه، وكان أملهم قتل الرئيس السادات وغيره من كبار المسؤولين، خلال تواجدهم بمبنى الاتحاد العربي الاشتراكي المجاور.

وتوالى العمليات التي وصلت إلى حد النيل من السادات نفسه وسط بطانته العسكرية وفي يوم ذكرى احتفاله بـ"انتصاره" العسكري على إسرائيل. وبالرغم من أن النظام استطاع السيطرة بنسبة كبيرة في الثمانينيات على العمليات المسلحة إلا أنها انفجرت في وجهه وقوة في عقد التسعينيات بفضل التمادي في سياسات الإفقار والتهميش وانضمام شباب جدد لتلك الحركات التي عادت للانتعاش بعد عودة أجيال منها حاربوا في أفغانستان أو كانوا في منافي اختيارية بسبب التضيق عليهم. ومن ثم بدأت موجة جديدة بمحاولة جماعة الجهاد الإسلامي اغتيال وزير الداخلية عبد الحليم موسى، لكنهم اغتالوا رئيس مجلس الشعب المصري رفعت المحجوب في 12 أكتوبر/تشرين أول 1990، لاختلاط المواقب في نفس الوقت، حتى تم تقويضها بعد مذبحه نفذتها الجماعة الإسلامية والتي قتل فيها 58 شخصا معظمهم سياح سويسريين وألمان بالدير البحري بالأقصر في 17 نوفمبر/تشرين ثان 1997.

لعبت بالتأكيد الأزمة الاقتصادية في السبعينيات وانحيار الحلم الناصري في التنمية المستقلة والاستقلال الوطني دورا هاما في الدفع بنسبة من الشباب لاختيار الحلول الأسرع كنوع من نفاذ الصبر تجاه الحلول طويلة الأجل، خصوصا أن التنظيمات اليسارية وقتذاك اتسمت بالخبوية واللامهنية، علاوة على طبيعتها الحلقية والسرية بسبب العزلة التي فرضتها على نفسها بجانب الحصار الأمني المشدد عليها. تعاملت الدولة مع الأزمة برعونة شديدة وهجوم على مكتسبات الفقراء فبدأت بسياسة الانفتاح الاقتصادي وإغراق الأسواق بفتح باب الاستيراد على مصراعيه، ومن ثم انخفضت معدلات النمو في الناتج المحلي الإجمالي من 6% كمتوسط عام في الستينيات إلى 3% في السبعينيات.<sup>107</sup> علاوة على انهيار الصناعة المحلية أمام الوافد الأجنبي، وارتفاع البطالة بين صفوف الشباب من 2.5% عام 1960 إلى 7.7% في التعداد السكاني لعام 1976 ثم إلى 14.7% في 1986، وانخفض في 1996 إلى 8.8، وفي 2002 ارتفع ثانية حتى وصل إلى 9.1%. وأصبح نظام مبارك الذي استمر ثلاثة أضعاف مدة سابقه أكثر دموية وتخريبا للاقتصاد المحلي وتهميشا للفقراء،

---

107 البنك الدولي: مصر - التقرير الاقتصادي <http://is.gd/FwJccQ>

علاوة على انتشار مريع للفساد والمحسوبية للدرجة التي باتت الدولة عبارة عن عصابة مسلحة تقود الجماهير بقوة القمع.

لم تنته الحركة بالقبض على بعض كوادرها وتصفية البعض الآخر، حتى بعد إعلان المراجعات ووقف العنف في 2002 تمهيدا لخروج المعتقلين على دفعات، بل بدأت حروبا جديدة لاحت في الأفق خصوصا بعد الاحتلال الأمريكي للعراقي في 2003، وانضمام شباب من دول مختلفة لتنظيمات الثوار التي سرعان ما تحول معظمها لتبني الاقتتال الطائفي وانتهاج بعضها لطرق تنظيم القاعدة في إدارة الصراع والحرب.

لم تكن مصر وحدها هي من أنجبت سياسات حكامها جماعات العنف المسلح، بل شاركتها الجزائر بنسبة أكبر حيث أدى إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية هناك عام 1990 والتي فازت بها باكتساح الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى فاصل دموي كبير أودى بحياة الآلاف، وذلك بعد حركة اجتماعية احتجاجية واسعة قوبلت بالقمع الشديد في أكتوبر/تشرين أول 1988. هكذا شهدت دول أخرى كالأردن - بنسب أقل بكثير - عمليات مشابهة بسبب طرق وأساليب الحكم القمعية.

### ثالثا: "داعش"... الجهاد بنكهة هزيمة الثورة

عبر المجتمع العراقي عن حالة من التفسخ بعد سقوط نظام صدام حسين واحتلال البلاد في 9 أبريل/نيسان 2003، وخلال ثمان سنوات شهد المجتمع حروبا بدأت بمقاومة المحتل وصولا لاقتتالات طائفية بمباركة المحتل نفسه، وفي ظل غياب رؤية واضحة ذات طابع جماهيري تقضي على الاحتلال والطائفية وتطرح حلولاً لمشاكل المواطنين، ظهرت مجموعات أدانت بالولاء لتنظيم القاعدة العالمي واتبعت طريقا آخر لإدارة الصراع بعيدة تمام البعد عن مصالح ومستقبل حياة الناس بالمعنى المباشر والاستراتيجي.

في 9 أبريل/نيسان 2011، أي بعد بداية ما عرف بالربيع العربي، أعلن أبو بكر البغدادي زعيم الدولة الإسلامية في العراق (ورثة جماعة "التوحيد والجهاد" التي أسسها أبو مصعب الزرقاوي في 2003) ضم الشام إلى مشروعه في الخلافة

الإسلامية ومن ثم تأسيس "داعش"، وفي 11 يولية/حزيران 2014 سقطت الموصل ثاني أكبر مدن العراق في يد التنظيم. وفي مصر تحديدا في 5 أغسطس/آب 2012 قامت مجموعة من المسلحين بمهاجمة قاعدة عسكرية مصرية فقتلت 16 جنديا وقاموا بالاستيلاء على مدرعتين. ومن وقتها توالى الأحداث للدرجة التي باتت سيناء مسرحا لعمليات دموية يومية برودة فعل أكثر وحشية تنفذها القوات المسلحة والشرطة ضد المواطنين بوصفهم مسؤولين عن إيواء "الإرهابيين"، علاوة على تفجيرات كبرى طالت أبنية عسكرية وشرطة في محافظات أخرى، بالإضافة إلى اغتيال عدد من القيادات الأمنية والنائب العام شخصيا، معلنا تنظيم "ولاية سيناء" أو ما كان يعرف بـ"جماعة أنصار بيت المقدس" مسؤوليته عن معظم تلك الأحداث وهو الذي يدين بالولاء لداعش.

وفي الحرب السورية، وبشكل أكثر اتساعا من نظيرتها العراقية، توجد جماعات مسلحة تقاتل بعضها قوات النظام ويقاتل بعضها البعض كتعبير عن مدى التفسخ الذي أصاب الثورة السورية التي دفعت في اتجاه تسليحها بسبب وحشية قوات الأسد في التعامل معها، أيضا عن انعدام الرؤية فيما ستؤول إليه هذه الصراعات والحروب فيما بعد، خصوصا أن الشعب السوري الذي قام بثورته يعاني الآن الأمرين من قتل وتهجير وإفقار غير مسبوقين.

يقدر عدد المقاتلين الأجانب في داعش وحدها بسوريا بـ12 ألف انضموا له على مدار ثلاثة أعوام—وهو عدد أكبر من الذين التحقوا بالقاعدة في أفغانستان على مدار 10 أعوام—25% منهم من تونس وحدها (وهي الدولة الوحيدة في بلدان الربيع العربي، باستثناء تجربة الثورة البحرينية غير المكتملة، التي لم تشهد صراعات مسلحة تذكر)، وأتى هؤلاء المقاتلون مما يقرب من 81 دولة حول العالم، ويقدر عدد الأجانب من دول غربية بـ3000 مقاتل.<sup>108</sup>

108 أماني بهجت، من أين يأتي مقاتلو داعش، وكيف يسافر كل منهم من دولته لداعش؟، ساسة بوست، 11 أبريل/نيسان 2015، <http://is.gd/HZOQEX>

تظهر مشكلة الإفقار وانعدام العدالة في توزيع الثروة في العالم كمؤشر واضح على الترددي واختيار حلولاً فردية ناتجة عن سياسات تسبب فيها جنون نمط الإنتاج الرأسمالي والتفاوت الطبقي الرهيب الذي خلفه بالمجتمعات. فبالرغم من ارتفاع الناتج الإجمالي العالمي من ثلاثة آلاف بليون دولار عام 1960 إلى 92.889 بليون دولار عام 2012، إلا أن عدد الفقراء زاد من 400 مليون عام 1970 إلى ضعف هذا العدد عام 1980، وتجاوز عام 2000 الـ 1.2 مليار فقير في الدول النامية وحدها، ويشير تقرير التنمية البشرية لعام 2014 إلى أن الفقر لا يزال مشكلة كبيرة على الصعيد العالمي، حيث يستأثر أثرياء العالم، أي 1%، بحوالي نصف ثروته، وتعادل ثروة 85 شخصاً منهم ما يملكه نصف سكان العالم الأشد فقراً.

وأشار التقرير ذاته لعام 2006 إلى اتساع الفجوة بين الـ 10 في المئة الأفقر والـ 10 في المئة الأغنى، حيث ارتفعت من 2.3 إلى 31.5 في تونس، ومن 2.7 إلى 30.6 في الأردن، ومن 2.8 إلى 26.8 في الجزائر، ومن 3.7 إلى 29.5 في مصر، ومن 2.6 إلى 30.9 في المغرب، ومن 3 إلى 25.8 في اليمن.<sup>109</sup>

أما عن البطالة فيصل عدد العاطلين عن العمل في العالم العربي إلى 22 مليون عاطل من إجمالي قوى عاملة يبلغ نحو 120 مليون عامل، يضاف إليهم ما لا يقل عن 3 ملايين عامل سنوياً.<sup>110</sup>

وقد دلت دراسة أجراها مركز دراسات الوحدة العربية أن إخفاق خطط التنمية الاقتصادية في البلدان العربية على مدار العقود الثلاثة الماضية، وخاصة بعد الوفرة النفطية التي شهدتها فترة مطلع السبعينيات، ووقوع أغلب الدول العربية في مأزق المديونية الخارجية التي وصلت سنة 1995 إلى نحو 220 مليار دولار، وفي المقابل هروب رؤوس الأموال العربية إلى الخارج والتي تقدرها بعض المصادر بأكثر من 800 مليار دولار أمريكي، أدوا إلى تراجع حقوق أساسية كالتعليم والصحة، فهناك أكثر من 60 مليون أمي عربي و9 ملايين طفل لا يتلقون التعليم الابتدائي، وأكثر

---

109 كرم الحلو، في الفقر والتطرف الراهن في العالم العربي، الحياة، أول مارس/آذار 2015، <http://is.gd/739wE2>

110 البطالة في العالم العربي، اتحاد المصارف العربية، <http://is.gd/Or2Jjq>

من 10 ملايين لا يحصلون على طعام كاف. <sup>111</sup> ووفقا لتقرير التنمية البشرية العربي الصادر في 2009، فإن نحو 65 مليون مواطن عربي يعيشون في حالة فقر بما يوازي 39% من عدد السكان، مشيرا إلى أن 20.3% من المواطنين العرب كانوا يعيشون في عام 2005 في فقر مدقع بالمعايير الدولية، وبحسب بيانات منظمة العمل العربية، الصادرة في 2009، كان المعدل الإجمالي لنسبة البطالة في البلدان العربية 14.4% من القوى العاملة، مقارنة بـ 6.3% على الصعيد العالمي. <sup>112</sup>

هكذا كانت الصورة قبل اندلاع ثورات الربيع العربي، أو بالأحرى التي أدت لاندلاعها، ولكن الأوضاع ساءت أكثر بعدها، فالاستقرار أصبح بعيد المنال ومحاوله تلمس طرق للتنمية تعتمد على اقتصاد يفي باحتياجات الناس وبمشاركة سياسية في إدارة شئون البلاد مسألة باتت مستبعدة خصوصا في ظل الصراعات الدموية الحاصلة من جانب بين المتصارعين على السلطة، ومن جانب آخر في ظل سيطرة نفس الأنظمة—وإن تغيرت الوجوه—على مقدرات الأمور والسلطة.

فقد أظهر تقرير أن عائدات السياحة والإنتاج الصناعي انخفضت في تونس على ضوء انخفاض معدل التنمية الاقتصادية في السنوات الثلاث الماضية. وتعتمد البلاد حاليا على المنح والقروض، بشكل أساسي من صندوق النقد الدولي. وتضررت السياحة في مصر أيضا فقد انخفضت بنسبة 70%، وهرب الكثير من الاستثمارات الأجنبية وأصبحت البلاد تعتمد بشكل متزايد على المنح والمساعدات المقدمة من دول الخليج الغنية. وفي ليبيا، من المفترض ألا تكون الحالة أقل من شلل اقتصادي تام بسبب الفوضى التي تعيشها البلاد، ولكن استمرار استخراج النفط ووجود احتياطات مالية ينجحان في منع الانهيار الاقتصادي التام. أما اليمن، فتقدر الأضرار الاقتصادية التي أدت إليها الاضطرابات في البلاد منذ العام 2011 بنحو 10.5 مليار دولار، أي نحو ثلث الناتج المحلي. وقد زادت معدلات الفقر بشكل كبير. وفي سوريا فقد

---

111 الوافي الطيب، بملول لطيفة، البطالة في الوطن العربي... أسباب وتحديات، كنانة أون لاين، <http://is.gd/F4ghnN>

112 2009 نهاية عقد: ترحيل مشكلات الأمية والفقر والبطالة في العالم العربي إلى 2010، الشرق الأوسط، 28 ديسمبر/كانون أول 2009، <http://is.gd/ReXin8>

الاقتصاد في السنوات الثلاثة الأخيرة نحو نصف الناتج المحلي الإجمالي، والذي بلغ نطاقه السنوي نحو 60 مليار دولار قبل اندلاع الأزمة، واضطر نحو نصف عدد السكان إلى ترك منازلهم وتعاين البلاد من حالة صحية صعبة. ووفقاً لبيانات البنك الدولي، فقد وصل معدل الفقر في البلاد إلى نحو 75%، حيث إن أكثر من نصف عدد السكان يعيش في "فقر مدقع". وأدى التدهور الاقتصادي عموماً في بلدان "الربيع العربي" إلى اعتماد متزايد على الواردات وإلى ارتفاع في الأسعار بنسبة 25%<sup>113</sup> على الأقل.

### خاتمة:

يمكننا القول مما تقدم أن ظهور جماعات العنف المسلح ذات الرداء الديني في التاريخ الحديث للمنطقة العربية وجذبها لشباب يحتاج للتعبير عن رفضه الممزوج بالغضب للأوضاع المجتمعية التي تنضح بالفقر والقمع والتهميش، ما هو إلا تعبيراً عن حالة من الإفلاس والأزمة في آن واحد على مستوى الأنظمة الحاكمة والقوى السياسية المعارضة معاً. فالدول التي نالت استقلالها منذ مطلع الخمسينيات اتبعت نهجاً ديكتاتورياً في معظم الحالات اعتمد على الاستبداد والقمع ومصادرة المجال السياسي، علاوة على تكثيف لمعدلات الاستغلال لبناء اقتصاديات تنموية مستقلة في بعضها أو لتثبيط الأوضاع بسبب تبعيتها لأشكال استعمارية جديدة تحكمت في منتوجاتها النفطية وفي قدراتها العسكرية في البعض الآخر، ومن ثم كان وأد المعارضة وأي تحركات ذات طابع اجتماعي أو سياسي كان السمة البارزة لاستمرار حكم تلك الأنظمة. هذا من جانب أما عن الجانب الآخر فقد عبرت الخيارات الأخرى في القوى المدنية المطروحة بالنسبة للشباب الغاضبين عن ضعف شديد في قدراتها على جذبهم وحشدتهم في معركة تغيير ضد كل ما هو سلطوي، وذلك لأسباب مختلفة، منها:

113 تحليل اقتصادي: "ربيع العرب" يوضح نار الفقر والبطالة، الموقع الإخباري الألماني DW، 11 أكتوبر/تشرين أول 2014، <http://is.gd/QQuLrF>

- محدودية تأثير ونفوذ تلك القوى وضعف قدرتها في خلق ظهير جماهيري قوي، ومن ثم قدرتها على حشد وتعبئة الطاقة الشبابية التي جاءت من احتجاجات ما قبل الثورات أو التي شاركت بنسب أكبر في الثورات ومحطاتها فيما بعد.
- الأسقف الإصلاحية لتلك القوى والتي لا تطرح أي إمكانيات لتغيير جوهر السياسات المعادية للناس القائم عليها النظام والتي يحتاج القمع لتنفيذها، بل السعي فقط لتحسين الأوضاع في حدودها الشكلية.
- عدم امتلاك تلك القوى لبدائل واقعية سياسية واجتماعية لأنظمة الحكم الشمولي، قدرة على إقناع قطاعات جماهيرية بالانضمام إليها وتبنيها والعمل على تحقيقها.
- احتقار معظمها للفعل الجماهيري الجماعي العفوي والمنظم، وفي أفضل الأحوال الاكتفاء بالاستفادة منه بوصفه رصيد للتفاوض وزعزعة أسس النظام الحاكم دون تغيير في جوهر سياساته، أو كأصوات في الاقتراعات البرلمانية مثلما تعامل الليبراليون والإسلاميون الإصلاحيون والأصوليين منهم في انتخابات ما بعد الثورات.
- انجرار تلك القوى وراء استقطابات وهمية، مثل الاستقطاب العلماني-الديني، ما أدى في النهاية لخسارة جميع الأطراف لصالح النظام الحاكم والثورة المضادة.



## دعوة إلى قراءة سياسية:

### الشباب المتطرف بين "صليل الصوارم" والحقوق المسلوقة

جنى نخال

يتم التطرق حاليا في معظم الأبحاث والمقالات، إلى الظاهرة السلفية أو خطاب الإسلام السياسي المتطرف عامة كظاهرة دينية أولا، وكحدث فريد يجري خارج التاريخ والسياق الاجتماعي السياسي للعالم، ثانيا.

نحاول في هذا البحث القصير أن نظهر الأسباب الاقتصادية-الاجتماعية الأساسية التي تشد الشباب إلى الفكر المتطرف وممارسة تعاليمه، كما نسائل الأسباب والحجج المسلم بها كما وصبغ الشباب عامة بصبغة الضحية "المغرر بها".

بالنسبة للميثودولوجيا، فقد بدأنا بتنظيم مقابلات مع صحفيين مختصين بالعمل مع السلفيين الإسلاميين المتطرفين بين لبنان، سوريا، العراق واليمن، ومقابلات مع شيوخ معتدلين مقرين من السلفيين، ونقاشات مع طرابلسيين وطرابلسيات وشبان وشابات من الشمال. هذا بالإضافة إلى نقاشات كنا قد أجريناها في السنتين الفاتتتين ضمن عمل ميداني في قرية برجا الجنوبية المحاذية لصيدا، حيث ينتشر الفكر التكفيري بين الشباب.

ويجدر بنا ذكر أمرين أساسيين في سياق طريقة البحث واستنباط الخلاصات: معتمداً أسس البحث الإثنوجرافي لمدة سكننا في منطقة برجا، فقد كنا دائما ما نتلقى تحليلات الناس وتفسيراتهم وتخميناتهم دون الحصول على معلومات كمية علمية حول الحالة الاقتصادية الحقيقية للشباب المنضوين تحت راية السلفية، ولا نمتلك إحصاءات لتعدد الحوافز لديهم. وقد أدى ذلك إلى طرح الكثير من الأسئلة حول صوابية ما يأتيها من تخمينات، في ظل غياب الداتا الكمية.

ثانيا، أن كل الذين تكلمنا معهم ومعهم كانوا غير سلفيين، بمعنى أنهم وأنهم كانوا أصدقاء وأقرباء ومعارف من جهة أو باحثين وعلماء دين من جهة أخرى.

وذلك يعود لسبب أساس وهو انخيازنا وانتماؤنا المعروف لحزب يساري وهو مما يمكن أن يشكل عائقا أمام تقبلهم لمقابلتنا و/أو نوع المعلومات التي سيعطونها ناي، خاصة وأنهم في المناطق التي عملنا فيها بالذات هم على عداء واضح وصريح مع هذا الحزب وأعضائه.

## الأنماط

"الإسلام هو الحل"، تنتشر الملصقات الصغيرة على الجدران الوسخة المتهالكة التي تتجمع تحتها أكياس النفايات والخضار المتعفن مرسله روائح التحمير من أول الشارع السيء الإضاءة حتى آخره.

بينما تكمل المدينة أكل المساحات المتبقية منها، أو هدم القدم و"تطويره" بالمباني الزجاجية، يقبع أبناؤها في بيوت دون شمس أو هواء، يبحثون عن طريقة لتغيير إيقاع الأيام التي تتألى. "فيكي تشتري أثنى شب بـ200\$، بيحملك سلاح، ويعتبر اللي بدك ياه عدوه". ربما هذا ما يظهر عامة، كخطاب معمم للوضع الاقتصادي-الاجتماعي لـ"الشباب المغربي بهم" والمنساقين كالنعاج إلى مسلخ الإسلام السلفي. غالبا ما تتردد الحجج والأسباب ذاتها مبررة انجرار الشبان وراء خطاب سلفي متطرف تكفيري وممارسات تهدد المجتمع والدولة. بعيدا عن التعميم والتسطيح، نستطيع أن نرى عددا من الأنماط التي تتردد في أوساط قادة السلفيين أو المشايخ. نحاجج أولا أن الممارسة السياسية كانت ولا تزال، في المناطق وضمن المجتمعات التي تعتبر حاليا "بيئة حاضنة" للفكر السلفي والسلفيين، حالة عادية وأن ما يحدث اليوم من اتباع للفكر السلفي، ليس سوى مرحلة من مراحل دورية تمر بها هذه المناطق المهمشة اقتصاديا وسياسيا. وبالتالي، فعلينا أن نقرأ ما يحصل كحرك سياسي يرتدي شكلا دينيا. فإن ما يخلقه التهميش الاقتصادي السياسي، والاعتزاز الاجتماعي الناشئ ضمن بيئة لا تسمح للفرد بتشكيل أية رؤيا لمستقبل أفضل، يشرع فيما يشرع "نطرفا" سياسيا كان في كل حقبة تاريخية يركب موجة تبدو بالمقارنة مع الدولة وممارساتها، ثورية. ليس دفاعا عن التطرف السلفي، إنما كقراءة أعمق لبحث الأفراد والمجتمعات عن واقع أفضل.

## الأسباب

بدءاً من الأوضاع السياسية التاريخية العامة للمنطقة، إلى قمع الأنظمة العربية (والدعم المستمر لها من الغرب) وعلى رأسها المملكة العربية السعودية الداعمة الأساس للفكر السلفي التكفيري، إلى السياسات النيوليبرالية المفكرة للشعوب، إلى الإحباط الناشئ عن فشل أو سرقة الثورات العربية وما ينتج عنه كل ذلك من شعور عام بالغربة والاعتراب... قد تبدو هذه المسببات عادة إن كانت مفصولة عن بعضها، ضعيفة وغير مؤثرة، بينما تفعل فعلها عند تضافرها في نفس الزمان والمكان. ويرجع الدكتور هشام زغيّب في مقاله "الأساس التاريخي لخطاب التكفير" (جريدة "الرأي" الأردنية، الجمعة 6 فبراير/شباط 2015) إلى إخفاقات أربع حصلت على مستوى الوطن العربي وأدت إلى تبلور الفكر السلفي ودعمه: إخفاقات سياسية تتعلق بـ"تحديث الدولة السياسية وبناء دولة المؤسسات التي تنظم الإنتاج والحريات والواجبات"، اقتصادية تتعلق بعجز العالم العربي عن "تصنيع نفسه وتحديث الزراعة والإنتاج وحماية نفسه من السوق العالمية وقواها"، ثقافية بما يعنيه عدم قدرة العالم العربي على "تحديث ثقافته وعقلنتها"، بالإضافة إلى إخفاق يتعلق بأزمة تحديد الهوية العربية و"بنائها على أسس حديثة" مما أدى إلى اللجوء إلى الهويات "العشائرية ما قبل الحداثوية".

ربما يبدو هذا التعليل مجتراً ومملاً من ناحية تكراره عند كل "أزمة" تقع في المنطقة. إلا أن هناك المزيد مما يمكن أن نقوله عن الحالة السلفية بالذات.

يعلل الدكتور زغيّب تفشي الخطاب السلفي المتطرف بـ"اتباع الأقطار العربية السياسات النيوليبرالية، التي أدت إلى تفكيك نظم الإعالة ورفع منسوب الفقر والتهميش والامية والفساد والمديونية. وشكلت بؤر الفقر والتهميش والامية حواضن جاهزة للخطاب التكفيري والمنظمات التي تتبناه. وأضيف إلى ذلك كله تنامي أزمة الرأسمالية العالمية وأزمة الإمبريالية في منطقتنا، واندلاع الثورات الشعبية هنا وهناك في أرجاء الوطن العربي، الأمر الذي دفع الإمبريالية والرجعية النفطية إلى إشهار سلاح الفاشية الدينية حاملة الخطاب التكفيري في وجه كل من تسول له نفسه التمرد على النظام "الصهيو-إمبريالي النفطي السائد عربياً".

يربط بانكاج ميشرا Pankaj Mishra في مقاله "كيف يجب التفكير بالدولة الإسلامية" how to think about Islamic state (جريدة الغارديان 24 يوليو/تموز 2015) موقف الفرد، والمجتمع لاحقاً، بالأزمة الاقتصادية والحكومات القائمة غير الآبهة لمعاناة شعوبها، موضحاً أن هذه الوصفة لطالما شكلت "تربة خصبة لنشوء طوائف للاستبداد والعنف".<sup>114</sup>

يوافق الجميع إذا (وأولهم سكان المناطق والقرى في لبنان) على أن الصفة العامة للأوضاع الاجتماعية-الاقتصادية تتميز بالحرمان والبؤس وفقدان الثقة بالحكومات. وفيما يتزايد الحرمان ويتبعه الإحباط، تنشأ الحاجة للبحث عن الأسباب. وقد تتم الإشارة إلى أفراد أو مجتمع آخرين، يتم تحميلهم وزر الأزمة والظلم الحاصل. فيأتي الفكر المتطرف ليخلق "آخراً" من طائفة أخرى أو دين مختلف، يبدو لوهلة وكأنه يمتلك حقاً كل ما ينقص من حياته هو. يتكلم الشباب في منطقة صيدا عن خطاب يعلل الوضع الاقتصادي المزري: "السنة فقراء لأنه الشيعة عندهم مصاري. هني مسيطرين عالبلد وكل شي بإيدهم".

### الثورة الدورية والثوب الديني

بحسب الشاب العشريني من برجا (جنوب بيروت)، القرية السننية التي ألقى الإسلام السلفي بثقله على جزء كبير من أحيائها، فإن "أصحاب الذقون اليوم، من يسمون أنفسهم "إسلاميين" أو "نصرة" أو "داعش"، كانوا يوماً شيوعيين عندما كان الحزب الشيوعي مسيطراً على المنطقة، ثم انضموا إلى الحريري عندما أغدق المال عليهم، ثم تبعوا زمر الجماعة الإسلامية حينما أصبحت الجماعة قوية في القرية، وقد حلّقوا اليوم شواربهم ليصبحوا سلفيين".

يمكننا ربما أن نرسم هذا المشهد السياسي المتميز بنمط دوري cyclical (يمكننا أن نسميه chameleonesque أي يشابه الحراء في تغييره لألوانه ليتماهى مع السياق العام) يتحول من خلاله الشباب ويتبدلون في "تطرفهم" من قطب سياسي إلى آخر، عبر تغيير وجوههم: فعندما كان الحزب الشيوعي اللبناني قويا

---

114 المصطلح المستخدم بالمقال هو: "Cults of authoritarianism and violence".

في المنطقة، أطلق الشبان لحاهم الثورية حمراء مشعثة غير مشدبة. ثم جاء رجل الأعمال ورئيس الوزراء رفيق الحريري، عملاقاً سنياً مدعوماً من السعودية، جاء بماله ومشروعه الحدائثي لبلد يخدم السياحة ولسياحة تخدم الدين العام، فحلق الشباب اللحى. وعند مقتل الحريري واكتشاف ضعف ولده، قويت الجماعة الإسلامية، واجتاحت المناطق السننية بدعوة واضحة لإيجاد "زعيم سني قوي"، فنشأ معها خطاب "المظلومية" و"سيطرة الشيعة". أطلق الشباب حينها لحاهم مشدبة مهندمة معطرة. ثم أثبتت الجماعة ضعفها العسكري والمادي أمام قوة نقيضها الشيعي حزب الله. وهنا كانت الحركات السلفية قد قويت في سوريا، ووصل المد إلى لبنان، ف"فروا اللحى وأحفوا الشوارب".

تبدو التغييرات الحاصلة معبرة تماماً عن حاجات المجتمعات ذات الدخل المحدود، والممتدة بعيداً عن المركز، في مناطق وقرى مهمشة تاريخياً: منسيون من قبل دولة مركزية بامتياز، يلجأ شباب المناطق هذه إلى ركوب أية موجة اعتراض معاصرة، تستطيع التعبير عن الاستياء والإحباط والكبت. وبينما بدت هذه الثورة يوماً حمراء، سرعان ما ارتدت أشكالا أخرى أكثر تطابقاً مع النظام العالمي. وقد أضحت اليوم نيوليبرالية بامتياز، بوجه "ديني". ففيما يشرع الوضع الاقتصادي المتريدي حراكاً سياسياً محققاً، تؤدي البروباجاندا السلفية إلى حرف تركيز الجماهير. بدلاً عن نقد واقعي للعلاقة بين الدولة والمواطنين جميعاً، بين الدولة والمناطق المهمشة، بين الدولة والمستضعفين، نساء، أبناء قرى، غير-لبنانيين، الخ... يسعى الخطاب السلفي السائد وهو المهيمن في المناطق السننية المهمشة، إلى التركيز على وجود "الشيعة" وقوتهم، كالسبب الأساس للحرمان. فيتم خلق "الأخر" من داخل الشعب بدلاً من الدولة والبرجوازية المسيطرة عليها، آخر يكون في معظم الوقت على نفس القدر من الفقر والحرمان، ويتم بذلك التسويق لنظرية "مظلومية السنة وانتقاص كرامتهم". وتقوم هذه المغالطة النظرية بتذويب المهجوم المحتمل ضد دولة ظالمة قامعة ونظام اقتصادي نيوليبرالي يكون هو أساس استضعافهم واغترابهم وسلبهم لحقوقهم. بالنسبة لشباب يخضعون لـ"غسيل دماغ" مستمر عبر دروس دين وضغط الأصدقاء وخطب الجمعة في الجوامع، يبدو الخطاب السلفي أكثر واقعية وحقيقة. اليوم إذاً، يرتدي فعل المطالبة

الحقبة بحق أساسية وانتماء حقيقي إلى الدولة، رداء دينيا سلفيا تغير بتغير الموجة الإقليمية، جاعلا من أحد حلفائه عدوا له.

### غسيل الأدمغة والخطاب المستخدم

ويدور السؤال حول دور الأجهزة الأمنية في معظم الأحيان، في الإبقاء على المشايخ المحرضين خارج القضبان، بينما يتم القبض على الشباب وتعذيبهم لـ"إقناعهم بتغيير توجهاتهم". بحسب الحديث مع الصحافي المتخصص بملف السلفيين بين لبنان وسوريا والعراق واليمن، رضوان مرتضى، والشيخ المحامي مصطفى ملص (رئيس اللقاء التضامني الوطني)، فقد أدت هذه الممارسات في معظم الأحيان إلى "توبة" مؤقتة، يعود بعدها الشباب إلى ممارسة العمل السياسي بخطاب سلفي كما قد يؤثر هذا القمع إلى ردة فعل عكسية، فيتضامن معهم المقربون والصحاب وربما ينضمون إليهم. يصف الشيخ ملص مشاهداته في المحكمة للمعتقلين السلفيين بأنهم غالبا ما يكونون "ولاد" أي صغارا في العمر وغير ناضجين. "منظرهم يدمي القلب. ما عندن فكر ولا عقيدة، وعاملين غسيل دماغ".

تبدو هذه السردية أيضا عن "الشباب المغرر بهم" معممة عند الباحثين في موضوع السلفيين كما والمعارضين للفكر السلفي. هناك إحساس عام بالشفقة عليهم، ردا على تحريضهم من قبل المشايخ واستغلالهم من قبل الزعامات الدينية والسياسية كما وسهولة تحويلهم إلى مرتزقة بسبب أوضاعهم المعيشية. ربما يتم التعميم فيما يخص الوضع الاجتماعي للشباب كما ومستوى علمهم أو الأعمار التي يتم عندها تجييشهم، فيتم رسمهم كأفراد لا حول لهم ولا قوة أمام الضخ الإيديولوجي للفكر السلفي، وإغراء المال والسلاح.

وعلينا هنا أن ننظر إلى خطاب التيار السلفي وتمكنه من حمل هموم هؤلاء الشباب، وتأطيرها ضمن مفاهيم معروفة دينيا ولغة سهلة الفهم... وحيث تخاطب المشاعر والنزوات. يضيء بانكاج ميشرا Pankaj Mishra على مسألة أن "الدولة الإسلامية غالبا ما توصف بأنها قروسطية، لكنها حديثة جدا، وهي تعبير فظيع عن إحباط واسع الانتشار من نموذج غربي معولم، يعد بالحرية والازدهار، لكنه

يفشل بالإيفاء بالوعد<sup>115</sup>. ففي حين يلجأ الخطاب المواجه للخطاب السلفي إلى ازدراءه، والتقليل من أهميته ووصفه بالـ"رجعية"، إلا أن "رجعيته" هذه لا تعني بتاتا تقاعسه عن استعمال لغة العصر ومخاطبته للناس بسهولة ونجاح ووصوله إلى الفئات الأصعب للتجنيد. فهو أولاً باستعماله للدين، يكسر الخوف بينه وبين أغلب الفئات التي تؤمن للدين ولا تنظر إلى إمكانية تحريفه. وثانياً عبر استغلاله للواقع الاقتصادي فيتمكن من مخاطبة هموم الناس البسيطة اليومية. وثالثاً عبر استخدام أساليب الإقناع الحديثة من ميديا حديثة (social media) وإعلام. وأخيراً، يطبخ كل ما سبق في إطار حاقد للشيعية، بفارق بسيط بينه وبين الآخرين الأقل تطرفاً، وهو إمكانية التسلح والـ"جهاد"، فيقدم بذلك "مخرجاً" مبدئياً للإحباط والكبت والاحتقان.

ينخرط الشباب إذا في العمل السياسي والمسلح ويتبعون أسلوب حياة جديد ومختلف عما اعتادوه واعتادته مجتمعات منطقتنا. يتكلم البعض، وخاصة "التائبون"، عن صدمة ما بعد الانخراط في العمل "الجهادي" السلفي. ففيما "يقتنع" الشباب بالخطاب الكاره للشيعية، يجدون أنفسهم واقعين تحت حد السيف ذاته، ممنوعين من ممارسة الحياة كما كانوا يعرفونها. يسخر شباب برجا من السلفيين قائلين إنهم نفس الشباب العاطلين عن العمل الذين كانوا يقضون أوقاتهم في شرب البيرة في مقاهي البلدة، والتدخين ولعب "السبق" (المراهنة على سباق الخيل). وقد اضطروا للتخلي عن هذه الممارسات حين أصبحوا سلفيين، وأجبروا الصلاة وعيش حياة صعبة لم يعتادوا عليها. يحكى أن أحد مسؤولي "المهاجرين" في سوريا (وهنا لا داعي للتأكد من "صحة" هذه الحكاية، وإنما نقارها كرواية معاصرة محكية يتداولها الناس ويحاججون بها لإثبات صحة آرائهم)، أصيب بصدمة حين تمت ترجمة مطالب "الثورة" له فعرّف بأن السوريين كانوا ينادون بـ"الحرية". "نحن كمسلمين لا نريد الحرية، الإسلام دين الديكتاتورية والحكم المطلق". وقد أدى هذا التصادم إلى "توبة" العديد

---

115 "Islamic State is often called 'medieval' but is in fact very modern – a horrific expression of a widespread frustration with a globalised western model that promises freedom and prosperity to all, but fails to deliver. "

من الشباب، حيثما فشل المشروع السلفي "بالإيفاء بالوعد"، وتصادم الشباب الباحثون عن حل، مع واقع لم يكونوا يطلبونه.

بين الخطاب الأساسي وما يواجهه الشبان من التزامات وتوجيهات بعد الانخراط، بحر من التوقعات والمجهول. بين الـ2013 والـ2015 تبدو طرابلس مثالا لهذا الفارق الشاسع بين الكلام والممارسة. ربما نبالغ إن قلنا بأننا وجدنا فارقا، لكن المشايخ الذين قابلناهم يوافقوننا الرأي بأن التطرف الذي كان آخذا في التضخم منذ سنتين، مدعوما بالعلاقة التاريخية للمدينة والشمال عموما مع الدولة اللبنانية من جهة والسورية من جهة أخرى، والأزمة السورية والنازحين، قد بدأ يخفت.

مجددا، ربما يحكمنا الأمل في هذه القراءة. لكن الأکید والواضح أن الدين غير قادر على أن يكون محفزا أبديا.

لا يخفى على أحد أن الوضع الاقتصادي في العالم العربي قد يدفع بالأفراد والمجتمعات إلى الثورة، بكل أشكالها. لكننا نرى أن القراءة الأساسية لهذه "الثورة" بشكلها السلفي الحالي مأزومة ومبنية على مغالطة نظرية في قراءة الواقع، يتبعها تطبيق خاطئ لممارسات هي ديكتاتورية بحدورها، لا تزيل القمع والظلم عن المظلوم ولا تضع الظالم في موقع المسؤولية.

"بعكس منافسيها، تجيش "داعش" الاستياء وتوجهه نحو تمرد عسكري مسلح ضد الستاتوكو"، يرسم ميشرا فارقا أساسيا بين الحركة السلفية التكفيرية المسلحة وأي حركة "ثورية" ممكن أن تطرح: ف"داعش" تفرغ الإحباط الموجود (عن حق) كما تشكل جاذبا للشباب بفضل تقديمها للسلاح والتدريب مما يجعلها أقوى من أي بديل قد يطرح نفسه حاليا.

في الوقت الذي يتم فيه الكلام عن التطرف وغسيل الدماغ الحاصل، وجب قراءة الحراك السياسي الذي يمثله الخطاب السلفي المسلح كثورة اجتماعية محمقة على وضع اقتصادي سياسي وظفت دينيا وظلمت في طريقها، التابعين كما المعارضين لها.



## انضمام الشباب للجماعات المتطرفة

### رَبِي الحَلُولُ

تناقش هذه الورقة تجنيد الشباب للجماعات المتطرفة والوسائل المتاحة للتغلب على هذه الظاهرة والتي تتمحور في مجملها حول التعايش السلمي والتصالح وحل النزاعات بالطرق السلمية على الرغم من الصعوبات التي تواجه تلك الحلول.

تقدم رواية "ملك الذباب"<sup>116</sup> للكاتب البريطاني الحائز على جائزة نوبل في الآداب ويليام جولدنغ نموذجا توضيحيا لعملية تبني الفكر المتطرف. تكمن أهمية الرواية على مستوى العالم في إلقاء الضوء على كيفية فهم الحضارة وعملية التواصل من خلال مجموعة من الصبية ليسوا أشرارا بطبعهم لكنهم يصبحون كذلك من خلال قيامهم بعدة أعمال وحشية أثناء محاولتهم لإدارة شؤونهم حين يمرون بأزمة طاحنة وبالتالي يقعون في الفخاخ 2 و6 وفقا لفيليب زيمباردو والتي سيتم شرحها لاحقا. توضح الرواية سهولة نشوء الشر في العالم من خلال الأعمال الوحشية التي يرتكبها هؤلاء الصبية في غياب الرقابة. يندلع الصراع الدموي بين الصبية في سياق يبدو مثالي وحالم أي الجزيرة الاستوائية التي تتحطم عليها طائراتهم وحيث يتحولون من البراءة إلى الوحشية مما يدفع القارئ لطرح مجموعة من الأسئلة حول الطبيعة البشرية مثل: ما الذي يدفع الأخيار لارتكاب أفعال شريرة؟ كيف يمكن للعالم أن يفهم الحضارة ويناهض الخوف والحرافة من خلال استخدام الجدل المنطقي؟

تتم مناقشة أمور مماثلة في كتاب "إدارة التوحش" (2006) بقلم المنظر الجهادي أبو بكر ناجي. يعتبر هذا الكتاب الذي حقق نجاحا كبيرا على شبكة الإنترنت بعد ترجمته إلى الإنجليزية الوثيقة التعريفية للإسلام الراديكالي.<sup>117</sup> يتناول الكتاب أهمية دعم

---

116 تحكي رواية "ملك الذباب" (1954) قصة مجموعة من الصبيان الذي تتراوح أعمارهم بين ستة واثني عشرة عاما تتحطم طائراتهم فوق جزيرة مهجورة ويحاولون إنشاء نظام لإدارة حياتهم لكن تأتي النتائج كارثية.

117 قام بترجمة "إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة" ويليام ماكانتش ونشره معهد بروكينجز في مايو/آيار 2006

الاستياء والعنف على المستويين الوطني والديني من أجل خلق فرص دعائية طويلة المدى للجماعات الجهادية ويناقد دور استراتيجية الاستنزاف في إضعاف قدرة القوى العظمى على هزيمة الجهاديين المثابرين. يشير أبو بكر ناجي إلى ضرورة المغالاة في ممارسة العنف عن طريق على سبيل المثال تصفية الرهائن بشكل وحشي في حالة عدة الاستجابة لمطالب مختلفيهم من أجل بث الرعب في قلوب الأعداء ومؤيديهم.

يعرض الكتاب للفرق المنهجي بين الجهاد الإسلامي والعقائد الدينية الأخرى ويوضح أن الجهاد يتطلب بالضرورة التحلي بقدر كبير من القسوة والتي تتمثل في ممارسة الإرهاب والقيام بمذابح ويوضح أبو بكر ناجي في هذا السياق أنه يتحدث عن الجهاد وليس الإسلام وأنه يجب التفرقة بين الاثنين. الجهادي كما يقول أبو بكر لا يمكنه الانتقال من مرحلة لأخرى في الجهاد دون أن يبيّن المرحلة الأولى على قتل وردع العدو. على عكس التطور غير المخطط له مسبقاً في رواية "ملك الذباب" يدعو كتاب "إدارة التوحش" إلى التطور الواعي والمتعمد للوحشية.

تصدر "دابق" المجلة الشهرية للدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) التي يتم نشرها على شبكة الإنترنت بعدة لغات كما أنها تتخذ شكلاً معاصراً مما يجعلها أداة فعالة للدعاية وتجنيد المزيد من الأعضاء. تخاطب النسخة الإنجليزية على سبيل المثال الشباب من جميع الدول المتحدثة بالإنجليزية. يقول ديفيد دني: "ماذا تريد داعش؟ يبدو الفعل "تريد" غريباً في هذا السياق حيث لا يمكن تعريف ما تريده عقيدة بنيت على الموت من خلال أنواع الرغبات المعتادة فالموت ينهي كل ما يمكن أن يريده أحد. لكن مجلة "دابق" تخاطب أيضاً مظاهر محددة للحياة مما يعني أنه ليس من المتوقع أن يموت كل عضو في داعش. البقاء هو أحد أهداف المجلة حيث أن من يقرأها يدرك أن داعش ترغب في الحصول على الأرض والموارد الطبيعية وتهدف لإقامة دولة أو خلافة تسيطر على الشرق الأوسط. داعش تريد قتل المسيحيين واليهود والأزديين وكذلك المسلمين الذين لا يؤمنون بالإسلام الذي تدعو له. داعش تريد الانتقام من القوى الغربية التي تتدخل في الشرق الأوسط وتريد أن تدافع عن النبي محمد والأهم

من كل ذلك تريد السلطة أي تريد المستقبل.<sup>118</sup> يعتقد الكثيرون إن شبكة الإنترنت ساهمت في جذب المزيد من الشباب للجماعات المتطرفة حيث سهلت على هؤلاء الشباب التعرف على الإيديولوجيات المتطرفة من خلال متابعة شبكة عالمية للتطرف والتواصل مع أعضائها. ينتمي كل من "إدارة التوحش" و"دابق" لما يطلق عليه فيليب زيمباردو "شر الموقف" في كتابه "تأثير الشيطان: كيف يحول الإنسان للشر" وهو النوع الذي يستهدف الأفراد حسني النية أو المثاليين بشكل متعمد وممنهج وسيتم شرح هذا الجزء لاحقا.

### مشروع التطرف

هل يتمثل التطرف فقط في تحولات النفس البشرية في الأزمات كما حدث في رواية "ملك الذباب"؟ أم أنه نتاج قرار واعى لتبني العنف كما يتضح في حالة كل من "إدارة التوحش" و"دابق"؟ أم يجب النظر إليه من خلال السياق الأوسع للقمع والظلم على المستويين المجتمعي والتنظيمي؟ في هذا الشأن يفرق زيمباردو بين شر الصفات الشخصية وشر الموقف والشر الممنهج. في العام الماضي قام اثنين من "الذئاب المنفردة"<sup>119</sup> بهجومين: الأول هو مارتين رولو-كوتور الذي هاجم بسيارته عسكريين وقتل أحدهما ثم قتله الشرطة والثاني هو مايكل زيهاف-بيبو الذي قتل عسكري كندي أمام مبني البرلمان في أوتاوا ثم تم قتله لاحقا. أدى الحادث الثاني لقيام الحكومة الكندية المحافظة بإجراء رأيه الكثيرون متشددا وهو طرح قانون محاربة الإرهاب المعروف بـ C-51 في يونيو/حزيران 2015 والذي يمنح صلاحيات غير مسبقة للحكومة والشرطة وجهاز المخابرات في كندا ويهمش شرائح متعددة من الشباب. وفقا للمخابرات السرية الكندية، قام أكثر من 130 شابا كنديا بأعمال متطرفة خارج البلاد منهم حوالي 30 في سوريا. إلى جانب هذه الأحداث، أطلقت وسائل الإعلام

---

118 David Denby. "The Perfect Children of ISIS: Lessons from Dabiq." "The New Yorker. November 24, 2015. URL: <http://is.gd/b0O7S0>. Accessed December 20, 2015.

119 الذئب المنفرد هو من يقوم بأعمال عنف تدعم مجموعة أو إيديولوجية أو حركة ما دون تلقي أوامر أو دعم من أحد.

لقب "معقل الإرهاب" على مدينة كالجاري بمقاطعة ألبرتا بعد أن هرب خمسة شباب من نفس المسجد بوسط المدينة للانضمام لداعش.

يقول إمام المسجد الشيخ نافيد عزيز: "حين لا تجد للحياة هدفاً أو معنى لا يتبقى أمامك سوى الموت وهذا في اعتقادي ما دفع العديد من هؤلاء الشباب للذهاب للحرب. هذا يرجع للاضطرابات النفسية والاجتماعية التي تؤدي للانفجار بالموت والقتل وتمكين المهمشين". يضيف عزيز أن سبب أساسي في الغضب والإحباط اللذان يصبين شباب المسلمين هو السياسة الخارجية.<sup>120</sup> دميان كليرمونت اعتنق الإسلام في سنوات المراهقة بعد أن حاول الانتحار في سن السابعة عشرة ثم قتل وعمره 22 عاماً في حلب بسوريا في يناير/كانون ثان 2014. قال دميان لأهله أنه سيغادر كندا للدراسة في مصر لكنه اتجه لاسطنبول ثم عبر الحدود إلى سوريا مع جبهة النصرة قبل أن ينضم لداعش. أثارت حكاية دميان وما شابهها المخاوف في كندا فيما يتعلق بظاهرة جذب الشباب للجماعات المتطرفة. يقول الإمام عزيز إنه لم يكن يعرف دميان أو أي من مرتادي المسجد الذين انضموا لداعش بشكل شخصي لكنه يعتقد أنهم تأثروا بدعاة متطرفين على شبكة الإنترنت.

على الرغم من عدم القدرة على فهم الدوافع الكاملة للجوء لتلك الأنواع من العنف إلا أنه يمكن التصدي له بالعديد من الطرق. قام المحلل ديفيد كولمو بتطبيق نظرية فانون/مامداني<sup>121</sup> فيما يتعلق بتحول الضحايا لقتلة: "العنف يولد العنف وضحايا العنف يلجأون للعنف لاحقاً. لقد انتشر شكل العنف الذي نشأ أثناء

---

120 Dylan Robertson. "More freedom to discuss hot-button topics could stop radicalization at mosques, say Muslims". Calgary Herald. October 3, 2015. URL: <http://is.gd/xBAKbD>

121 فرانز فانون أحد أهم المفكرين الذين كتبوا حول حركات التحرير وكفاحها المسلح ومفهوم العنف وأبرز مؤلفاته هو كتاب "معذبو الأرض Wretched of the Earth"، محمود مامداني تبنى أطروحة فانون فيما طرحه في دراسته الصادرة عام 2001 عن جامعة برينستون بعنوان، "When Victims Become Killers: Colonialism, Nativism, and Genocide in Rwanda"

حرب التحرير في مجتمعا وأصبح جزء من لغتنا السياسية والاجتماعية"<sup>122</sup>. يقول سكوت أتران وهو باحث بارز في مجال التحول للتطرف العنيف: "إنها بداية العاصفة كما تقول داعش وهذا لا يثير الاندهاش حيث أن المشاهد الفوضوية التي سادت شوارع باريس عقب الهجمات ورد الفعل المخيف الذي أثارته تلك الهجمات هو تحديدا ما تمنته داعش. كلما زادت حدة رد الفعل تجاه المسلمين في أوروبا وكلما زاد التدخل العسكري الغربي في الشرق الأوسط كلما زادت سعادة داعش لأن هذا ما بنيت عليه استراتيجية التنظيم: البحث عن وخلق وإدارة الفوضى".

في ظل تلك الأحداث الفارقة يجد الأناس العاديون أنفسهم أمام مجموعة من الأسئلة التي لا يمكن تجاهلها: هل يلعب ضغط الأنداد دورا فاعلا في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة؟ ماذا على وجه التحديد الذي يدفع الشباب للاشتراك في تلك الأعمال الوحشية؟ هل هو تأثير المخدرات أم الضغوط الناجمة عن سوء الأحوال الاقتصادية؟ يقول مارك وار إن "المجموعات يمكنها خلق مناخ أخلاقي خاص بها تقوم من خلاله بتعريف السلوك المقبول في نظام اجتماعي منغلق على ذاته. " يصعب بالطبع تحديد نموذج واضح أو مجموعة من الأسباب لهذا السلوك لكن يمكن من خلال تلك الأحداث التعرف على حقائق هامة فيما يتعلق بالسلوك البشري. في حالة داعش يمكن تطبيق الفرضية التقليدية أن الأشرار يفسدون الأخيار من خلال تغيير النسق الأخلاقي لضحاياهم. تبني معظم هذه المجموعات أعمال العنف التي تقوم بها على التمسك بالمعتقدات الدينية والتي تبني بدورها على تفسير محدد للإسلام وهذا يؤدي للتساؤل عن مدى صحة هذا التفسير. يقول طاهر عباس على الجانب الآخر إن "الأعمال التي يقوم بها الإرهابيون الإسلاميون هي سياسية وليست دينية على الإطلاق"<sup>123</sup>.

---

122 David Kaulemu. "The Culture of Party Politics and the Concept of the State" in D. Harold-Barry, ed. Zimbabwe: The Past is the Future. Harare: Weaver Press, 2004.

123 Tahir Abbas, ed. Islamic Political Radicalism: A European Perspective. Edinburg: Edinburg University Press, 2007.

هل يؤدي تهميش الشباب العرب والمسلمين في كندا لتصعيد وضع هو في الأصل سيء مما يؤدي للأخبار للتحوّل للشر؟ في هذه الحالة يمكن تطبيق ما يسميه زيمباردو بـ "شر الموقف". لكن إذا كانت الحكومة الكندية تعتمد خلق مناخ معادي للعرب والمسلمين فهي وفقاً لزيمباردو تمارس "الشر الممنهج". هذا يقتضي المقارنة بين الشكل الفردي والمؤسسي للشر.

### مشروع الشيطان

يتساءل زيمباردو "ما الذي يؤدي للاتجاه للشر؟" ثم يواصل: "الفاصل بين الخير والشر ليس مسطو وأي منا يمكنه عبوره. أعتقد أن كلنا لدينا القدرة على الحب والشر، على أن نكون الأم تريزا أو نكون هتلر أو صدام حسين. الموقف هو ما يحدد هذا".<sup>124</sup> يدور كتاب زيمباردو "تأثير الشيطان" حول سلبيات السلوك الإنساني وكيف يمكن "لأي شخص يتم وضعه في مجموعة محددة من المواقف أن يصبح قادراً على ارتكاب الشر." وفقاً لزيمباردو، لا يحتاج هذا الشخص لدافع لكن كل ما يحتاج هو موقف يسهل له عبور ذلك الخط الفاصل بين الخير والشر".

من خلال تجربة سجن ستانفورد أوضح زيمباردو أن الظروف السائدة في السجون ليست في الأساس نتيجة للصفات الشخصية للعاملين والسجناء لكن يمكن إرجاعها للموقف السائد في هذه السجون. يرى زيمباردو أن ظروف السجون تشكل وفقاً للأدوار الاجتماعية المتوقع أن يلعبها الحراس والسجناء.<sup>125</sup> يمكن في هذه الحالة استخدام نظرية ليس روس الخاصة بـ "إرجاع الخطأ لمصدره"<sup>126</sup> حيث يفرق بين "التفاحة الفاسدة" المنفردة و"برميل التفاح الفاسد" الذي يدفع ذوي المبادئ

---

124 Philip Zimbardo. The Lucifer Effect: Understanding How Good People Turn Evil. New York: Random House, 2007.

125 لمزيد من المعلومات رجاء الاطلاع على موقع علم النفس الاجتماعي المتكامل:  
<http://is.gd/GU5LdY>

126 Lee Ross. "The Intuitive Psychologist and his shortcomings" in Leonard Berkowitz, ed. Advances in Experimental Social Psychology. Orlando, Fla: Academic Press, 173-220. 1977

الأخلاقية نحو الشر و"صانع البرميل الفاسد" الذي يمارس الشر بشكل متعمد ومنهج مثل النازية وداعش. في الحالة الثالثة يصبح الشر هو المعتاد والسلوك الأخلاقي منحرف. يقدم زيمباردو عشرة أنواع من "فخاخ الشر" التي يقع فيها الأحيار:

- طرح إيديولوجية يتم من خلالها استخدام كذبة كبيرة لتبرير أية وسيلة في سبيل تحقيق هدف يبدو مرغوب وحيوي.
  - إبرام نوع من التعاقد سواء شفهي أم مكتوب للتحويل لسلوك معين.
  - إسناد أدوار هامة للمشاركين يستطيعون من خلالها تطبيق القيم الإيجابية التي تبنوها سابقا.
  - فرض مجموعة من القواعد التي تبدو منطقية قبل تطبيقها ثم يتم استخدامها لاحقا لتبرير الطاعة العمياء.
  - تغيير ماهية الأفعال والفاعلين بحيث يتم استبدال الواقع بخطاب محب.
  - خلق فرص للتهرب من المسؤولية عن طريق ادعاء أنه سيتم إلقاء اللوم على آخرين أو على الأقل لن يلام الفاعل.
  - بدء الطريق إلى الشر التام من خلال خطوة بسيطة غير هامة.
  - جعل الخطوات تجاه الشر تدريجية بحيث لا تكاد تكون ملحوظة ولا يكون هناك فارق كبير بين فعل معين والفعل الذي سبقه مباشرة.
  - تغيير طبيعة السلطة المؤثرة من كونها عادلة وعاقلة في البداية لظالمة وضاغطة وأحيانا غير منطقية فيما بعد مما يؤدي لبعض الارتباك لكن لا يمنع استمرار الطاعة.
  - جعل عواقب الانسحاب وخيمة أو عرقلة عملية الانسحاب من خلال السماح ببعض أشكال التمرد اللفظي مع الإصرار على سلوك الطاعة.
- السؤال هو هل يمكن تصنيف الإجراءات الصارمة التي اتخذتها الحكومة الكندية على أنها فخاخ شر ممنهجة نصبت لشباب العرب والمسلمين؟ يقول زيمباردو إن "عوامل الموقف أكثر قوة مما نعتقد أو مما نعترف في تشكيل سلوكنا في العديد من السياقات". كما يحلل زيمباردو مسألة الخير والشر في سياق اجتماعي فهو يتساءل ما إذا كان الإنسان شرير بالفطرة (التفاح الفاسد) أم يصبح شريرا من خلال موقف

محددة (برميل التفاح الفاسد) مثل الحرب أو السجن. ما الذي ينتصر على الشر وكيف؟ وهل يمكن اعتبار السياسات التي تنتهجها الحكومة الكندية وغيرها من الحكومات الغربية شر ممنهج ومتعمد؟

يتعلق هذا الأمر بشكل أساسي بالقيم الأخلاقية والنظام التعليمي وقدرة كل منهما على خلق سلوك إيجابي يعمل لصالح المجتمع. السؤال هو هل يمكن للأفراد مقاومة الضغوط التي يفرضها الموقف أو وهذا الأكثر صعوبة الضغوط التي تمارس بشكل ممنهج؟ هل يمكن خلق الخير من الشر؟ اكتشف زيمباردو من خلال سلسلة من الدراسات العملية أن ما بين خمسة إلى عشرة بالمائة من الحالات التي تمت دراستها قاوموا ضغوط الموقف والضعف الممنهجة. في معظم الحالات ثبت أن تحول الشخص للخير يتطلب أولاً تغيير الموقف الذي دفعه للشر. يدور كتاب "تأثير الشيطان" حول فهم التحولات التي تطرأ على النفس البشرية. يركز زيمباردو حالياً على المجموعة التي يطلق عليها "أبطال الـ5%" حيث أن وجودهم يبعث الأمل على إمكانية بحث الشباب عن أنماط سلوكية مختلفة. يمكن رؤية مشروع زيمباردو المسمى "مشروع الخيال البطولي" على أنه وسيلة لمحاربة الشر حيث أنه يروج لحلول غير تقليدية لتغيير المواقف التي تدفع الشباب للشر خاصة في النظام التعليمي في الغرب وربما لاحقاً في الشرق الأوسط. في هذا السياق تتضح أهمية مقولة بنجامين فرانكلين: "هؤلاء الذين يضحون بالحرية من أجل شعور مؤقت بالأمان لا يستحقون الحرية ولا الأمان".



## **الباب الرابع:**

**الأبعاد السياسية والإيديولوجية**

**لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية**



# لماذا ينضم الشباب للجماعات الراديكالية المسلحة لأسباب تتعلق بالسياسة أو الإيديولوجيا؟

حبيبة محسن

مقدمة:

يصعب الحديث عن "الجماعات الراديكالية المسلحة" في المنطقة العربية دون أن تقفز إلى الذهن فوراً صورة الجماعات الإسلامية المتطرفة التي تملأ أخبارها وسائل الإعلام المحلية والدولية، خاصة في السنوات الثلاث الأخيرة التي تضخم فيها وجود هذه الجماعات في المنطقة، بالتحديد بالحديث عن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). منذ أعوام السبعينيات والثمانينيات، تم إنتاج العديد من الأدبيات التي تتعلق بالحركات الإسلامية عموماً، سواء كانت عنيفة أم غير عنيفة، وتضاعف هذا الإنتاج عن الحركات الإسلامية الراديكالية منذ مطلع الألفية، تحديداً في أعقاب أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001، والتي جعلت اهتماماً دولياً كبيراً -سواء من الأكاديميا، ولكن بالتأكيد من جانب صناع القرار في الدول الكبرى- ينصب على دراسة هذه الظاهرة؛ وذلك لأسباب يسهل على الجميع تخمينها.

واستمر هذا الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة في الأعوام الأخيرة، خاصة مع ظهور "داعش" على الساحة، والهجمات الإرهابية التي امتدت إلى عدد كبير من الدول الأوروبية، ولكن أيضاً بسبب تلك الظاهرة التي ينظر لها الجميع باعتبارها غريبة exotic وغير مسبوقة، وهي انضمام عدد من مواطني هذه الدول، خاصة من الشباب، إلى هذا التنظيم. وهي مسألة كتبت عنها الصحف مطولاً، واجتهدت طويلاً في تحديد أسبابها. على الرغم من ذلك، فمن المهم الإشارة إلى أن "الجماعات الراديكالية المسلحة" لا تقتصر فقط على الحركات ذات الخلفية الإسلامية، ولكن هناك العديد من الحركات الأخرى التي تتبنى إيديولوجيات مختلفة سواء من أقصى اليسار أو أقصى اليمين حول العالم، ولكن أيضاً في منطقة الشرق الأوسط. فعلى

سبيل المثال، هناك حركات مثل: حركة مجاهدي خلق الإيرانية،<sup>127</sup> حركات التحرر الوطني الفلسطينية ذات الأجنحة المسلحة مثل كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح، وغيرها الكثير.<sup>128</sup> ولكن، نظرا لمساحة هذه الورقة، ولأسباب أخرى تتعلق بحجم وأهمية الحركات الراديكالية المسلحة التي تنتمي إلى التيار الإسلامي في المنطقة.

في حقيقة الأمر، لا يمكن الحديث عن أسباب انضمام الشباب للحركات الراديكالية عموما دون الاستعانة بنظريات علم الاجتماع السياسي التي تركز بالأساس على محاولات تفسير "الحراك الجماعي collective action"، أو لماذا ينضم الناس إلى جماعات أو حركات، ولماذا ينخرطون في أتماط مختلفة من العمل الجماعي، سواء كانت راديكالية أم غير راديكالية. وعلى مدار العقود المختلفة الماضية، تطور علماء الاجتماع السياسي نظريات مختلفة للإجابة عن هذه الأسئلة. ربما يمكننا هنا الإشارة إلى أهم هذه النظريات أو أكثرها انتشارا، مثل: نظرية "الحرمان النسبي Rational Relative deprivation"، نظرية الاختيار العقلاني resource mobilization. وترى Choice، وأيضا نظرية "تعبئة الموارد". كاتبة هذه السطور أنه من المهم الحديث في إطار هذه الورقة عن المداخل النظرية لدراسة الحركات الراديكالية وأسباب انخراط الشباب فيها، أكثر من مجرد تناول حالة واحدة بالدراسة، وذلك لأن هناك الكثير من الغموض الذي يحيط بدراسة هذه الظاهرة، تحديدا الحركات الإسلامية، باعتبارها استثناء لا يمكن إخضاعه لنظريات الاجتماع السياسي. وهو ما لا يساهم على الإطلاق في فهم أو تفسير هذه الظاهرة، ويكبل أيدي الباحثين فيها عن اتباع أساليب منهجية سليمة. وفيما يلي محاولة لتقديم الاتجاهات النظرية المختلفة التي درست بالفعل أو يمكن استخدامها لدراسة انخراط الشباب في الحركات الراديكالية الإسلامية، مع محاولة لتطعيمها بأمثلة من المنطقة العربية.

127 مجاهدو خلق، موسوعة الجزيرة، 28 مايو/أيار 2015، <http://goo.gl/8fnYxH>

128 شهدي الكاشف، ما هي التنظيمات المسلحة في غزة؟، 20 أغسطس/آب 2013،

<http://goo.gl/gwI68J>

## • نظرية الحرمان النسبي Relative deprivation theory

من خلال متابعة الكتابات حول الحركات الراديكالية ذات الخلفية الإسلامية، وأسباب انضمام الشباب لها، وأيضاً لسيل الكتابات -سواء الصحفية أو الأكاديمية- التي صدرت في 2011 و2012 حول "الربيع العربي"، التي حاولت الخروج بتفسير لظاهرة الثورات العربية، لاحظت أن هناك توجه عام لدى الباحثين والكتاب، والكثير منهم من الأكاديميين المتخصصين، يميلون -فوراً وأحياناً بشكل غير واعٍ- إلى تفسير انضمام الشباب من المنطقة العربية للحركات الراديكالية الإسلامية من خلال أسباب اقتصادية- اجتماعية، مثل الفقر أو ضعف التعليم أو الإحساس بالتهميش أو ما شابه ذلك. وفي حقيقة الأمر، فإن استخدام هذه الأسباب جميعاً يشير بوضوح إلى ما يعرف في علم الاجتماع السياسي باسم نظرية الحرمان النسبي<sup>129</sup> Relative deprivation theory، حيث يرتبط الانخراط في الجماعات الراديكالية بشعور الشباب بالحرمان أو الغضب لأسباب متعددة مثل فشل المشروعات الحدائثة الكبرى في بلدان المنطقة، الضغوط الديمجرافية، فشل مشروعات التنمية وارتفاع مستويات الفقر، بل وقد تضمن تلك الأسباب أيضاً بعض الملامح السياسية مثل التدخل الأجنبي المفرط في شؤون البلاد (حيث كانت هذه أكد التفسيرات المطروحة بقوة على الساحة وقت أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001 على سبيل المثال)، أو الهزيمة العربية أمام إسرائيل في 1967. ولعل من أهم الأمثلة على هذا الاتجاه في التفسير ما قدمته صحيفة كبرى مثل الإيكونومست في فبراير/شباط 2011 حول "مؤشر عدم الاستقرار العربي"، والذي يجمع عدد من المتغيرات

<sup>129</sup> للمزيد من التفاصيل حول نظرية الحرمان النسبي، يمكن مراجعة المصادر التالية:

Jacquelin Van Stekelenburg & Bert Klandermans, "Individuals in Movements: A social Psychology of Contention", in Bert Klandermans & Conny Roggeband, Handbook of Social Movements Across Disciplines, Springer, 2007, pp. 157- 204  
Corcuff Philippe, " Frustrations relatives ", in Olivier Fillieule et al. , Dictionnaire des mouvements sociaux, Presses de Sciences Po " Références ", 2009 p. 242-248.

المتخلفة مثل البطالة، قمع الشرطة، الفساد وغياب الديمقراطية، وغير ذلك<sup>130</sup>. وكل هذه الأسباب تجدد صدى حقيقي لها في أقوال وكتابات المنخرطين في الحركات الراديكالية أنفسهم. ولعل أكثر المساهمات بين دفتي هذا الكتاب تنتمي -بشكل كبير- إلى هذا الاتجاه النظري.

وعلى الرغم من أن هذه الكتابات قد تفسر على المستوى الكلي macro level ظهور وانتشار الحركات الراديكالية في هذه المنطقة من العالم، إلا أنه قد تم توجيه العديد من الانتقادات لها: أولاً، أغلب الدراسات السسيولوجية تشير إلى أن الفقر والتهميش قد لا يكونا العامل الأساسي أو الفاعل في اتجاه الناشطين الشباب نحو العنف، حيث أن معظمهم ممن يتمتعون بمستويات جيدة من التعليم، كما أنهم غالباً من سكان المدينة المنتمين إلى الطبقات الوسطى؛ وبالمثل، فإنه ثمة قطاعات واسعة من الشباب ممن يعانون من الظروف الاقتصادية والاجتماعية الضاغطة، ممن لا ينخرطون بالضرورة في حركات راديكالية أو عنيفة، أو لا ينخرطون في الحراك الجماعي من الأصل. وثانياً، وهو الأهم، على الرغم من أن الأسباب التي تقدمها قد تفسر نشوء الحركات الراديكالية، إلا أنها لا تأخذ في الاعتبار أمر في غاية الأهمية، وهو أن هذه الحركات غالباً لم تنشأ في فراغ، وإنما خرجت -في الأغلب- من رحم حركات أخرى لم تتخذ العنف كأداة للفعل السياسي. وهو ما يدفعنا بالضرورة للتساؤل عن الأسباب التي تفسر اندفاع بعض الحركات الإسلامية نحو أدوات فعل عنيفة في حين تبقى حركات أخرى على طابعها السلمي. ومما يدفع إلى التأكيد على التساؤل نفسه، هو أن الكثير من هؤلاء الناشطين في الحركات الإسلامية، الراديكالية منها والمعتدلة على السواء، يتشاركون في العديد من الخصائص السسيولوجية والديمجرافية. ثالثاً، فإن الاعتماد على هذه النظرية وحدها في تفسير نشوء وانتشار الحركات الراديكالية الإسلامية لا يكفي لتفسير لماذا تتحول بعض من الحركات المعتدلة إلى العنف مع

---

130 Variously vulnerable, Feb 3rd 2011, The Economist,  
<http://goo.gl/Nf8CyD>

مرور الوقت أو في ظروف سياسية معينة، ولماذا تنبذ بعض الحركات الراديكالية العنف كأداة للفعل السياسي في سياق سياسي محدد.<sup>131</sup>

### • الاتجاه الإيديولوجي في تفسير الانخراط:

في محاولة أخرى لتفسير اتجاه الشباب إلى الانخراط في الحركات الراديكالية، يسوق بعض المحللين الآخرين، خاصة أولئك العارفين بدقة بأمور المنطقة العربية، والمتبحرين في دراسة ومعايشة البعض من هذه الحركات، أسباباً أخرى لتفسير هذا الانخراط، وهي هنا الأسباب الإيديولوجية. ويميل هذا النوع من التفسيرات عادة إلى المرح بين التحليل المستفيض لخطابات وسلوك المنتمين لهذه الحركات، وما تنتجه من نصوص إيديولوجية، وبين ما سبق الحديث عنه من أسباب ترتبط مباشرة بنظرية الحرمان النسبي. وفي حقيقة الأمر، فإن هذا النوع من التحليلات يقدم معرفة جيدة بالحركات وبأنماط التفكير التي يعتمد عليها المنخرطون فيها، وهو ما يساعد -بشكل ما- الأجهزة الأمنية التي تتولى مراقبة تحركات هذا النوع من الحركات وملاحقتها. وربما من أدق التحليلات المطروحة على الساحة كنموذج لهذا الاتجاه هو ما طرحه مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في مجلته "دليل الحركات الإسلامية في العالم". فيطرح المركز تقسيماً للأنواع المختلفة من الحركات الإسلامية في العالم، بناء على موقفها من السياسة والدولة التي تنشأ وتتطور فيها. وعلى ذلك، يقدم المركز تقسيماً للحركات الإسلامية كما يلي: الحركات الإسلامية الدينية، والحركات الإسلامية السياسية والاجتماعية. وفي هذا العرض -كما سنفصل لاحقاً- يتضح لنا أن النوع الأول من الحركات هو الجدير بالفعل بوصفه "راديكالياً" أو "عنيفاً".

أما النوع الأول من الحركات، فهي -كما يعرفها دليل الحركات الإسلامية- هي "تلك الحركات التي تقوم على قراءة معينة للإسلام والنصوص الدينية تنظر من خلالها

131 تم تناول هذه الفكرة بالتفصيل في:

Muhammmmed M. Hafez & Quintan Wiktorowicz, "Violence as a Contention in the Egyptian Islamic Movement", in Quintan Wiktorowicz (dir. ), Islamic Activism: A Social Movement Theory Approach, Bloomington, Indiana University Press, 2004, pp. 61-88

للأفراد والمجتمعات من خلال منظور صحة العقيدة فقط [...] والقضية الرئيسة وربما الوحيدة بالنسبة لتلك الحركات هي إقامة التوحيد والعبودية الحقّة لله كما تراهما". وبالتالي، فإن هذه الحركات تندفع في القول بكفر الدول وجاهلية المجتمعات والأفراد داخلها. وهو ما يؤدي إلى ارتباط هذه الحركات ارتباطاً وثيقاً بالمصادر التراثية للإسلام سواء في خطاباتها أو أسمائها أو أدوات الفعل السياسي التي تلجأ لها. ويرى واضعو هذا التقسيم أن هذا النوع من الحركات ينقسم بدوره إلى عدة أنواع، وفقاً للرؤية التي تستبطنها للمجتمع الذي توجد فيه بناء على مقارنتها بين الوضع الحالي وبين الوضع الحقب المختلفة في التاريخ الإسلامي: أولاً، فهناك ما يطلق عليه الدليل "الحركات المتطرفة السلمية"، وثانياً، هناك أيضاً الحركات الجهادية العنيفة.<sup>132</sup>

وفيما يخص الحركات المتطرفة السلمية، فهي - كما يعرفها دليل مركز الأهرام - فهي الحركات التي تتفق على أن موقفها من الدول والمجتمعات المعاصرة هي أقرب لموقف المسلمين الأوائل قبيل هجرة الرسول من مكة إلى المدينة، أي أن نظرة هذه المجموعات للدول والمجتمعات المعاصرة هي أنها تحيا في حالة أقرب إلى الجاهلية التي كان يعيشها العرب قبل الإسلام، وأن "جماعة المسلمين" في تلك اللحظة كانت تعيش في مرحلة استضعاف، وبالتالي لم يحن الوقت لهم لاستعمال أدوات فعل سياسي عنيفة، سواء بالقتال أو بناء دولة إسلامية أو ما شابه. وهنا، تعتمد هذه الحركات على نوعين أساسيين من أدوات الفعل السياسي: إما العيش في عزلة شبه تامة عن المجتمع في تجمعات في مناطق نائية أقرب إلى الـ Ghettos، وهي الحركات التي اصطلح على تسميتها بحركات "التكفير والمهجرة". إيديولوجياً، ترى هذه المجموعات أن المجتمعات أقرب إلى مجتمع مكة قبيل الهجرة مباشرة، أي أنه لا جدوى من محاولة إقناع المجتمع المحيط باعتناق الإسلام، وهكذا اختارت هذه الحركات أن تتخذ من اعتزال المجتمع والعيش على الهامش أداة للفعل السياسي لحين تغير الظروف المحيطة. أما الخيار الآخر بالنسبة لهذا النوع من الحركات، هو حركات إعادة الدعوة. وهذا النوع الأخير من الحركات هو من يرى أنه ما زال هناك أمل من دعوة - أو

---

132 دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، 2006.



إعادة دعوة- الدول والمجتمعات والأفراد إلى الإسلام مرة أخرى دون أي صدام عنيف معهم، مع اختيار العيش أيضا على هوامش المجتمعات المعاصرة. ومن أهم أمثلة هذا النوع من الحركات هو جماعة "الدعوة والتبليغ".

أما عن الحركات الجهادية العنيفة، ففي حقيقة الأمر، فهذا النوع من الحركات هو ما يحظى بأكبر قدر ممكن من الاهتمام الإعلامي والأكاديمي منذ 11 سبتمبر/أيلول 2001. وعلى غرار الحركات المتطرفة السلمية، تنظر أيضا هذه الحركات إلى الدول والمجتمعات المعاصرة باعتبارها غارقة في الجاهلية حتى النخاع. الفارق الوحيد هنا هو أن الحركات الجهادية ترى أن الحركة الإسلامية أو "جماعة المسلمين" لا تحيا بالضرورة في مرحلة الاستضعاف المكية، وإنما هي تحيا في مرحلة التمكين في حالة تشبه حالة المسلمين الأوائل بعد هجرة الرسول إلى المدينة. وبالتالي لا جدوى، وفقا لهذه الحركات، من استخدام أساليب الفعل السلمية مثل إعادة الدعوة أو اعتزال المجتمع، وإنما تنحو هي إلى اختيار العنف أو "الجهاد" كريبورتوار repertoire للفعل السياسي. وتتنوع هذه الحركات وفقا لمن تختاره هدفا للعنف، فمنها الحركات المحلية الطابع، كالجماعة الإسلامية المصرية مثلا، والتي كانت تستهدف مواجهة "العدو القريب" أو الأهداف المحلية من رموز النظام على سبيل المثال؛ وهناك أيضا حركات الجهاد المتعملة التي تستهدف مواجهة "العدو البعيد"، من داخل الدول الغربية ذاتها، مثل تنظيم القاعدة، وفي الأعوام الأخيرة، داعش أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام.

النوع الثاني من الحركات الإسلامية كما يقدمها دليل الحركات الإسلامية في العالم هي الحركات الاجتماعية- السياسية، والتي -على العكس من النوع سابق الذكر من الحركات- لا تشكك في عقيدة المجتمعات أو الدول التي تعيش فيها، أما ما تهدف إليه في حقيقة الأمر هو إعادة تنظيم المجتمعات والدول على أسس مستمدة من الشريعة الإسلامية. وهذا النوع من الحركات لديه مجال واسع من أدوات الفعل السياسي، على خلاف الأنواع سابقة الذكر من الحركات، والتي تتراوح من استعمال العنف أيضا في بعض الأحيان (مثل حركة حماس أو حزب الله اللبناني على سبيل المثال أو غيرها من الحركات التي تهدف للتححر الوطني)، مروراً بالاحتجاج السلمي، إلى تولي مسؤولية تشكيل الحكومة ككل.

بالطبع، يفترض هذا الاتجاه النظري أن الشباب ينضمون إلى هذه الأنواع المختلفة من الحركات الإسلامية بحسب قدرة هذه الحركات على الحشد من خلال المساجد أو من خلال الإنترنت (وتحديدا عبر وسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات)، ووفقا للأفكار أو نوعية الخطاب التي يتأثرون بها من خلال هذه المنابر المختلفة. ولكن في حقيقة الأمر، هناك الكثير من الانتقادات التي يمكن توجيهها لهذا الاتجاه. أولا، وعلى سبيل المثال، أن هذا النوع من الأدبيات يركز بشكل كبير جدا على النصوص الدينية أو الإيديولوجية والخطاب الصادر عن المجموعات المختلفة، دون الأخذ في الاعتبار السياق السياسي الذي تتحرك وتتفاعل فيه هذه الحركات مع نظامها السياسي ومع مجتمعاتها. أيضا، يفترض هذا الاتجاه أن أدوات الفعل السياسي لدى الحركات المختلفة لا تتطور ولا تتغير بفعل التفاعل مع السياق، وما يطرحه عليها هذا السياق من تحديات وفرص. ثالثا، حتى بافتراض أن العوامل الإيديولوجية هي ما يدفع الأفراد إلى الانتماء إلى حركة معينة وفقا لما يعتقدونه من قيم، إلا أن ذلك لا يفسر التحول من الاقتناع الفردي نحو الفعل السياسي الجماعي المباشر.

#### • إثباتات أو مكافآت الناشطة:

يرى الباحث الفرنسي دانيال جاكسي Daniel Gaxie أنه لا يجب فقط الاعتقاد بأن انخراط الأفراد في المنظمات أو الحركات السياسية والاجتماعية يمكن تفسيره فقط من خلال العامل الإيديولوجي، أو مدى قدرة هذه الحركات على الترويج والحشد لأفكارها عبر القنوات المختلفة، وإنما يرى أيضا أنه من المهم اعتبار هذا الانخراط نتيجة مباشرة لما أسماه "إثباتات أو مكافآت الناشطة"، أو بعبارة أخرى، المكافآت المادية والرمزية التي تمنحها التنظيمات أو الحركات المختلفة إلى أعضائها في مقابل انخراطهم في العمل الجماعي. وعلى الرغم من أهمية العوامل الإيديولوجية، إلا أن جاكسي يرى أنه في الكثير من الأحيان، يعتبر الناشطون أو المنخرطون في الحركات عموما أن الالتزام بقضية أو الشعور بالرضا الناجم عن دفاع المرء عن أفكاره يعتبر من آليات المكافأة عن النشاط السياسي، مثلهما في ذلك الكسب المالي. فالدوافع الرمزية تعد أحيانا أقوى من الحوافز المادية على الانخراط، ولذلك يسعى العديد من الحركات السياسية إلى تجنيد كوادر سياسية محرومة من أي موارد أخرى.

وهو الأمر الذي لاحظته العديد من الدراسات فيما يخص الحركات الإسلامية، والذي يدفع الباحثين -في كثير من الأحيان بشكل لا واعي- نحو تبني نظرية الحرمان النسبي التي سبقت الإشارة لها دون الالتفات إلى الدور الحاسم الذي تلعبه هذه الإثابات في تجنيد الأعضاء واستمرارهم في الانخراط في هذه الحركات حتى مع تعرضهم للقمع من جانب الدولة.

يضيف جاكسي في نظريته أنه من الصعب افتراض أن كافة الأفراد المنخرطين في حركة أو مجموعة معينة لديهم نفس المستوى من الفهم أو الاستيعاب للإيديولوجيا المعنية؛ وبالتالي فإنه من الضروري البحث عن أسباب أخرى تفسر انخراط الأفراد في الحراك الجماعي، واستمرارهم فيه. ومن هنا، يسلط جاكسي الضوء على مسألة إثابات أو مكافآت الناشطة، حيث توفر المنظمات أو الحركات نوعين من الإثابات لأعضائها: المادية (أجور- وظائف-...) أو رمزية (مناصب قيادية- تكريم- هيبية)<sup>133</sup>. وفي حالة الحركات الإسلامية في المنطقة العربية تحديداً، ربما تكتسب هذه النظرية قدرة تفسيرية مهمة، حيث ترى بعض الدراسات الميدانية أن الكثير من الأفراد المنخرطين في الحركات الإسلامية أو المتعاطفين معها على الأقل يسعون وراء الإثابات المادية أو الرمزية أكثر بكثير من دوافع إيديولوجية نظرية. ويتأكد ذلك من خلال متابعة النشاطات الكثيرة التي تنتقل بين الحركات من انتماءات إيديولوجية مختلفة.

على الرغم من ذلك، يؤكد جاكسي أنه نادراً من ينخرط الأفراد بشكل واع في الحراك الجماعي من أجل الحصول على مكافآت مادية أو رمزية، وأنه دائماً ما يسعى النشاط إلى لعب أدوار الأشخاص الملتزمين إيديولوجياً؛ ويندر اعترافهم بشكل مباشر بمسألة الإثابات. ولذلك، تدفع مسألة إثابات الناشطة إلى التفكير في استمرار عمل الحركات والتنظيمات السياسية وانخراط الأفراد فيها إلى جانب أيضاً تفسير انخراط الأفراد في الحراك الجماعي عموماً. أخيراً، على الرغم من أهمية هذه النظرية، إلا أنه من المهم ألا يقتصر فهم ظاهرة انخراط الشباب في الحركات الراديكالية فقط على

133 شكري حمد، "عرض تحليلي للأدبيات حول الحشد والانخراط ووقف الانخراط"، مبادرة الإصلاح العربي، ورقة غير منشورة. ومن الممكن الإطلاع على أفكار جاكسي نفسه من خلال مراجعة:

<http://goo.gl/ZfLKLK>

الإثبات، وإنما من المهم التركيز على عوامل أخرى تتناولها بالتفصيل نظرية تعبئة الموارد في السطور التالية.

### ● نظرية تعبئة الموارد Resource Mobilization theory

مؤخراً، حاولت بعض الكتابات الأكاديمية التي تتناول موضوع الحركات الإسلامية تغيير المنظور التقليدي التي يتم به تناول هذه الحركات، في محاولة لتجاوز نقاط الضعف التي سبقت الإشارة لها في تحليلات نظريات الحرمان النسبي والقراءة المعتمدة على الإيديولوجية من ناحية، وفي محاولة لكسر *exotism* المحيطة بدراسة الحركات الإسلامية وأسباب انضمام الشباب لها أو شعبيتها في أوساطهم وخاصة فيما يخص الحركات الراديكالية أو العنيفة. وقد تمكنت من ذلك من خلال استخدام نظرية أساسية في دراسة الحركات الاجتماعية، وهي نظرية تعبئة الموارد أو "resource mobilization theory". ما تميل هذه الكتابات إلى تبنيه، هو أن الحركات الإسلامية لا "تولد" عنيفة بطبيعتها، ولكنها تتأثر بمجموعة من العوامل المحيطة بها تجعلها تختار العنف دون غيره كأداة للفعل السياسي.

تطرح هذه النظرية، من خلال متابعة عدد من الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر في فترة التسعينيات، مثل الجماعة الإسلامية المصرية، أنه في حقيقة الأمر، من المهم متابعة المسارات المختلفة التي اتخذتها هذه الحركات والسياقات التي تتحرك فيها، خاصة الفرص والتحديات التي تفرضها هذه السياقات على أدوات الفعل السياسي المتاحة أمامها. في إطار حديثنا عن الأسباب السياسية لازدهار الحركات الراديكالية في المنطقة، تلفت هذه النظرية انتباهنا إلى متغيرين أساسيين يحكمان اتجاه الحركات إلى استخدام العنف كأداة للفعل السياسي من عدمه، وهما: القدرة على الولوج أو التأثير في السياسة المؤسسية، وأيضاً درجة القمع من النظام وتوقيتته، وهما متغيران أساسيان مما أصطلح على تسميته بهيكل الفرص السياسية *Political opportunity structure*<sup>134</sup>.

134 تقدم الباحثة Maryjane Osa عرضاً ممتازاً لنظرية تعبئة الموارد في كتابها:

Maryjane Osa, *Solidarity and contention: Networks of Polish opposition*, University of Minnesota Press, 2003

فيما يخص القدرة على التأثير في القنوات المؤسسية للسياسة، ونعني بالقنوات المؤسسية هنا المؤسسات عموماً سواء كانت البرلمان أو الحكومة، أو حتى باقي القنوات غير الرسمية مثل مؤسسات المجتمع المدني أو غيرها. وفيما يخص هذه النقطة تحديداً، تؤكد النظرية على أن قدرة الفاعلين على التأثير في السياسات الرسمية يجعل من الصعب جداً أن تحتشد مجموعات كبيرة من الأفراد خلف حركة تستخدم العنف كأداة للفعل السياسي، حيث يتم طرح جدل "الثورة في مقابل الإصلاح"، والعكس صحيح، فكلما زادت إقصائية النظام السياسي، كلما فقدت المجموعات والأفراد الأمل في التغيير من خلال الأدوات السلمية، وبدأ دفعها نحو الراديكالية واستخدام العنف. ولعل أحد الأمثلة المهمة على ذلك هو اتجاه جزء من جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية إلى تشكيل "الجماعة الإسلامية المسلحة" عام 1992، كرد فعل على إلغاء نتائج الجولة الأولى من الانتخابات البرلمانية الجزائرية عام 1991.

تضيف النظرية أن عدم القدرة على التأثير في السياسات العامة هو شرط أساسي نحو اتجاه الحركات للعنف، وإن كان غير كافٍ وحده لتفسير كل شيء. وعليه، تلفت الانتباه أيضاً إلى عامل آخر شديد الأهمية وهو مستوى العنف وتوقيته. ففي الوقت الذي يبدو فيه ظاهرياً أن زيادة مستوى القمع من جانب النظام قد تزيد من تكلفة الفعل الجماعي، وبالتالي تكون قادرة على تحجيم أو توقيف أي جماعة سياسية قد تتجه للعنف. ولكن في حقيقة الأمر، ومن خلال دراسة مدققة، يطرح أحد الباحثين أن أثر القمع على الحركات الاجتماعية يعتمد على أمرين أساسيين: توقيت هذا القمع، ومداه. ففي حالة ما إذا كان القمع "سابقاً preemptive" على تجذر الحركة وتمكنها من تنظيم نفسها وتجنيد عدد كبير من الأعضاء أو المتعاطفين، أمكن تقليل أو تحجيم عمل هذه الحركة. أما إذا كان القمع لاحقاً reactive، يأتي بعد تمكن الحركة من حشد عدد كبير من الأعضاء حول هدف

---

ولكن تعتمد هذه الورقة بشكل رئيس على:

Muhammed M. Hafez & Quintan Wiktorowicz, "Violence as a  
.Contention in the Egyptian Islamic Movement", Art. Cit

محدد، وتنظيم صفوفها، وحشد مواردها، كانت من الصعب على النظام السيطرة على هذه الحركة، لأن القمع يستهدف مدى واسع من البشر والموارد. أما عن مدى القمع، فإن كان الأفراد أو المجموعات المستهدفة من هذا القمع محدودة ومنتقاة بعناية، ويتم تصوير القمع الموجه نحوها إعلامياً بأن النظام لا يستهدف سوى هذه المجموعة لأنها مثيرة للمتاعب وخارجة عن القانون، فإنه من المتوقع أن يزيد ذلك من تكلفة الحراك الجماعي الذي يرغب في انتهاج العنف كوسيلة للفعل السياسي. أما إن كان القمع واسع النطاق، ويختلط فيه الحابل بالنابل، والقيادات بالأعضاء العاديين بالمتعاطفين، فإن ذلك يدفع الحراك الجماعي دفعا نحو المزيد من الراديكالية ونحو انتهاج العنف، حيث أن هذا النوع من القمع الواسع يخلق عدد كبير من المظلوميات الجديدة التي لم تكن موجودة قبلا، والتي من الوارد جدا أن تثير المزيد من التعاطف مع الحركات العنيفة. وفي تقدير كاتبة هذه السطور، فإن عامل توقيت العنف ونطاقه هو العامل الرئيس والحاسم في انضمام الشباب إلى الحركات الراديكالية، خاصة في المنطقة العربية. فنرى مثلا أن عدد كبير من المتعاطفين أو الأعضاء العاديين مع الإخوان المسلمين في مصر قد اتجهوا نحو العنف كأداة منذ مذبحة رابعة العدوية على سبيل المثال، كذلك الحال في سوريا منذ اندلاع الثورة والانتهاكات الكبرى التي يرتكبها نظام الأسد بشكل عشوائي تجاه قطاعات واسعة من الشعب؛ وحتى قبل الثورات العربية، أجريت دراسات كثيرة تشير إلى أن أحد الأسباب الأساسية في اتجاه تنظيم الجهاد الإسلامي في مصر نحو العنف كأداة للفعل السياسي هو تأثير عدد من الشباب المتعاطفين مع جماعة الإخوان المسلمين بالقمع الشديد الذي وقع عليهم من جانب نظام عبد الناصر خلال الخمسينيات والستينيات، والذي بلغت ذروته مع إعدام سيد قطب عام 1966؛ وبالعكس مثلا، يرى بعض الباحثين أن النظام المغربي كان ناجحا في التعامل مع الحركات الإسلامية، حيث أنه كان دوما ما يقوم بقمع استباقي للحركات الراديكالية، وفي حدود ضيقة، إلى جانب بالطبع تصوير ذلك إعلامياً باعتباره يستهدف فقط مجموعة من "مشيري الشغب" أو "الإرهابيين" وليس مجمل الحركة الإسلامية أو المتعاطفين معها.<sup>135</sup>

135 Muhammed M. Hafez & Quintan Wiktorowicz, "Violence as a

يعتمد بعض المحللين أيضا إلى دمج بعض العوامل الثقافية والإيديولوجية في نموذج تعبئة الموارد، من خلال إضافة عامل آخر هو التأطير framing. فوفقا لهذه النظرية، يملك جميع الفاعلين السياسيين، أفرادا وحركات ومؤسسات، تصورات وأفكار عن الوضع القائم وما يجب أن يكون عليه، وأساليب التغيير وما إلى ذلك. ولكن تؤكد النظرية على أنه من أجل حدوث حراك اجتماعي لا بد أولا من أن يحدث تقارب ما بين "كتلة حرجة" من الأفراد في خلق رؤية أو تصور اجتماعي عن الوضع القائم باعتباره وضع غير عادل ولا يمكن قبوله أو التسامح معه. وفيما يخص الحركات أو المجموعات الاجتماعية، تبلور كل منها عدد من التصورات -بناء على الأفكار أو الإيديولوجيا أو غير ذلك من العوامل- حول الوضع القائم وكيفية تغييره أو التعامل معه. وتميز النظرية بين ثلاثة مستويات أساسية من التأطير الذي تنتجه المجموعات: أولا، الأطر التشخيصية أو diagnosis framing، والتي تحاول من خلالها تقديم "تشخيص" للوضع الراهن (على سبيل المثال، من خلال ما سبق ذكره عن العامل الإيديولوجي لدى الحركات الإسلامية الدينية، نلاحظ أن الحركات ذات الطابع الجهادي ترى أن المشكلة في الوضع القائم هو كفر الدول وجاهلية المجتمعات، وأن "جماعة المسلمين" في تلك الحالة تتشابه في وضعها مع وضع المسلمين الأوائل بعد هجرة الرسول إلى المدينة، أي أنها في مرحلة تمكين). ثانيا، الإطار الاستشراقي prognostic framing، والذي يعني ما تتفق عليه الحركة من أجل تغيير الوضع القائم (في مثال الحركات ذات الطابع الجهادي السابق الإشارة له، فأداة التغيير التي تقدمها هي "الجهاد" أو التغيير عن طريق العنف، مع اختلاف أشكال هذا الجهاد بين الحركات الجهادية المختلفة)؛ وأخيرا، التأطير التحفيزي motivational framework، وهو ضرورة الفعل أو التحرك لتغيير هذا الوضع (استمرارا لمثال الحركات الجهادية، يمكن القول أن أبلغ مثال على ذلك هو مثلا، لدى حركة الجهاد الإسلامي المصرية، والتي قررت اختيار استهداف الرئيس السادات عام 1981 بعملية عسكرية خلال احتفالات حرب أكتوبر/تشرين أول من أجل تحقيق هدفها.

---

Contention in the Egyptian Islamic Movement", Art. Cit.

أو -مثال آخر- تنظيم الفنية العسكرية أيضا في مصر، والذي حاول القيام بانقلاب عسكري من داخل الكلية الفنية العسكرية عام 1972) وهكذا.

وتفترض هذه الأطر المختلفة قدرة المنخرطين في عملية التعبئة على تحقيق الحد الأدنى من التجانس والاتساق بينها، فهم ينخرطون في عمل تأسيري حيث يعتقدون، عن خطأ أو صواب، أن معركة التصور شرطا سابقا للفعل. ولهذا الغرض، يقومون ببناء "أطر للفعل الجماعي"، أي مجموعة من المعتقدات والتصورات الموجهة نحو الفعل التي تلهم الأنشطة والحملات الجارية في إطار مشروعات التعبئة وتضفي عليها الشرعية، وذلك بينما يؤكدون على خطورة وظلم وضع اجتماعي بعينه. ويعتمد نجاح مشروع التأطير عندئذ على قدرة الإطار التفسيري الذي يبنيه منظمو التعبئة على الدخول في حالة تناغم مع التربة الثقافية التي يعملون ضمنها، وهي حالة تتوقف أولا على مصداقية التأطير لدى جمهور بعينه (اتساق التأطير، ومصداقية حامله)؛ وتتوقف من جهة أخرى على مدى بروز المشكلات المأخوذة في الحسبان، ومدى قربها من الحياة اليومية لهذا الجمهور. وأخيرا، إذا كانت غالبية تلك الأطر التفسيرية تتصل بعملية تعبئة بعينها، فثمة عدد محدود منها له مغزى أوسع من غيره. وتسمى هذه الأطر الأخيرة "أطرا رئيسية" (master frames)، إذ يجري اعتمادها من جانب عدة حركات في وقت واحد على نحو يتيح تبنيتها ضمن عمليات تعبئة بالغة الاختلاف. وكثيرا ما تكون تلك الأطر الرئيسية مصدرا لحلقات متتالية من التعبئة.<sup>136</sup>

### خاتمة وخلصات:

من خلال السطور السابقة، حاولت الباحثة تقديم نماذج نظرية مختلفة ومتنوعة يمكن الاستعانة بها في دراسة ظاهرة مركبة ومعقدة مثل الحركات الإسلامية الراديكالية. ولا يسعها هنا سوى الإشارة مرة أخرى إلى أهمية تنوع الاقتربات النظرية في هذا المجال من أجل أولا كسر حالة الغموض والغرابة المحيطة بالكتابات الأكاديمية والصحفية عن هذه الظاهرة من ناحية، ومن ناحية أخرى من أجل الخروج من فخ

---

136 Contamin Jean-Gabriel, " Analyse des cadres ", in Olivier Fillieule et al. , Dictionnaire des mouvements sociaux, Presses de Sciences Po " Références ", 2009 p. 38-46.



هيمنة نظرية الحرمان النسبي على الدراسات حول الموضوع، وتناوله بشكل أوسع وأكثر رحابة، بما يبقى المجال مفتوحاً نحو فهم أعمق للظاهرة من ناحية، وإمكانية تطوير وتطوير النماذج النظرية المختلفة بحسب السياقات المعقدة في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط عموماً.



## الحشد السلفي الجهادي في الصراعات المسلحة: وضع الأسس المنطقية والإيديولوجية والسياسية في سياقات متعددة

جيروم دريفون

### مقدمة

أثارت الثورة السورية العديد من التساؤلات حول المفاهيم السابقة عن الحشد السلفي الجهادي في النزاعات الأجنبية.<sup>137</sup> خلال أربع سنوات فقط شهدت الأزمة السورية حشد غير مسبوق للمقاتلين الأجانب في ساحة حرب واحدة مما اتضح خلال انضمام عشرات الآلاف للجماعات الجهادية المسلحة وعلى رأسها الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش). شمل هذا الحشد مقاتلين من العديد من الدول الإسلامية والغربية وكذلك من مختلف الخلفيات سواء المتعلقة بالظروف الاجتماعية والاقتصادية أو الانتماءات السياسية أو الميول الدينية. تشير التطورات الأخيرة إلى أن الحشد قد بلغ ذروته في العام الماضي وأن توسع داعش في مصر وليبيا يعني أن المقاتلون الأجانب استطاعوا لأول مرة الوصول لشمال أفريقيا.

أدى انتماء معظم المقاتلين من السلفيين الجهاديين لداعش والتنظيمات الموالية لها لنشوء العديد من المفاهيم الخاطئة فيما يتعلق بعملية الحشد. نتج عن التنوع الواضح للمنضمين لداعش الاعتقاد أن المشروع الإيديولوجي للتنظيم وبراعته في الترويج له على شبكة الإنترنت هو سر قوته وامتداد نفوذه دولياً. وفقاً لهذا الاعتقاد فإن التخلص من هذا الخطر يتطلب توحيد الجهود الدولية للقضاء على المشروع السياسي والديني لداعش ثم إنهاء الحروب الأهلية في كل من العراق وسوريا. لكن هذه الرؤية لا تتعامل بدقة مع دور الأجندة السياسية والدينية لداعش في حشد الشباب غير المتتمين سابقاً لأي جماعات من هذا النوع كما تتجاهل كون هؤلاء المقاتلين يأتون من خلفيات مختلفة وتعيق تكوين فهم عملية الحشد في سياقها.

---

137 يشير مصطلح "سلفي جهادي" للمسلمين الذي اتبعوا المنهج السلفي ودعموا استخدام العنف ضد حكام الدول الإسلامية.

تقوم هذه الورقة بتقديم فرضيتين: الأولى أنه لا يمكن إدراج الحشد السلفي الجهادي للنزاعات المسلحة تحت أساس منطقي واحد سواء سياسي أو اجتماعي أو ديني. بينما تلعب العوامل الاجتماعية والسياسية دورا جزئيا في وضع عمليات الحشد في سياقها، يجب تحليل عملية الحشد على نطاق أوسع يتضمن توقيت الحشد وطبيعة النزاع المسلح (حرب أهلية أم دولية) والدولة التي جاء منها المقاتلون (إسلامية أم غربية). تتعلق الفرضية الثانية بعلاقة العوامل الثلاثة السابق ذكرها بوضع الأهمية النسبية للأساس المنطقي الإيديولوجي والسياسي في سياقها خاصة في ظل الشرعية التي اكتسبتها الحرب ضد النظام السوري في البداية. فقد لعبت العوامل الإيديولوجية والسياسية دورا ثانويا في الحشد السلفي الجهادي في كل من العراق وسوريا بما أن عملية الحشد في مناطق النزاعات تعتمد بشكل أساسي على الظروف المحلية في منطقة النزاع وكذلك العوامل اللوجستية.

### ثلاثة رؤى سائدة عن الحشد السلفي الجهادي

وفقا للتقارير الحديثة التي أصدرتها الحكومات ومراكز الأبحاث الغربية، انضم أكثر 30 ألف مقاتل من أكثر من 80 دولة للحرب في العراق وسوريا.<sup>138</sup> خلال أربع سنوات نجح الصراع في العراق وسوريا في جذب عدد من المقاتلين الأجانب يفوق هؤلاء المنضمين للنزاعات السابقة مجتمعة بما فيها أفغانستان والبوسنة والشيشان.<sup>139</sup> يأتي هؤلاء المقاتلون من خلفيات متنوعة على المستويات الاقتصادية والسياسية والدينية وعلى الرغم من انضمام معظمهم للصراع في سوريا والعراق بدأت الجماعات الموالية لداعش في شمال أفريقيا جذب عدد منهم.

أدى النجاح الذي حققته داعش في جذب المقاتلين الأجانب مقارنة بالفصائل السلفية الجهادية إلى التساؤل عما إذا كان هذا التنظيم تحديدا ذو خصائص مميزة<sup>140</sup>

138 Soufan Group, (2015). "Foreign Fighters", December 7. <http://is.gd/arboKY>

139 ICSR. (2015). "Foreign fighter total in Syria/Iraq now exceeds 20,000; surpasses Afghanistan conflict in the 1980s", January 26. <http://is.gd/HKuRtF>

140 Anonymous. (2015), "The Mystery of ISIS", The New York Review of Books, August 13.

كان التركيز على خاصيتين بعينهما: خطاب إحياء الخلافة الإسلامية واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي. وفقا لهذه الرؤية، حققت هاتان الخاصيتان لداعش النجاح الذي لم يتمكن تنظيم القاعدة من تحقيقه على الرغم من اشتراكهما في نفس الأهداف. لكن لا تتسم هذه الرؤية بالدقة فيما يتعلق بالدور الذي لعبته مواقع التواصل الاجتماعي حيث افترضت إمكانية تعميم الحشد من خلال الإنترنت على جميع الحالات وأغفلت السياق الذي يحدث فيه الحشد.

قام اثنان من باحثي الإسلام السياسي بتقديم رؤي اجتماعية وسياسية بديلة للحشد السلفي الجهادي. يرى أوليفر روي أن السلفية الجهادية هي نتاج أسلمة الفكر المتطرف وليس تطرف الفكر الإسلامي<sup>141</sup>. وفقا لروي، تمثل الموجة الحالية للحشد تمرد جيل من الشباب المتني للأفكار العدمية والذي ينجذب للتطرف أكثر مما ينجذب للمنطق السياسي أو الديني للسلفية الجهادية. يقول روي إن هؤلاء الشباب يعانون من التهميش في مجتمعاتهم وينجذبون لفكرة أن داعش هي الكيان المحتكر للتطرف. يرفض فرانسوا بورجات نفي النوايا السياسية كما يفعل روي حيث يرى أن السياسات الخارجية للدول الغربية لعبت دورا أساسيا في ظهور السلفية الجهادية<sup>142</sup> ويرفض فصل عمليات الحشد الناجحة التي تقوم بها داعش عن فشل الدول الغربية في إدماج الجاليات المسلمة ودعمها للأنظمة المستبدة في المنطقة وإسرائيل وكذلك تدخلاتها العسكرية في العالم العربي.

تساهم هذه التصورات الاجتماعية والسياسية في وضع الحشد السلفي الجهادي في سياقه بشكل يتخطى التفسيرات حيث أن مثل هذه التفسيرات بغض النظر عن تأثيرها النسبي تسعى لإدراج نماذج الحشد المختلفة تحت إطار تحليلي واحد وتفصلها عن أطرها السياسية والاجتماعية وتفترض أنه يمكن تطبيق فرضية واحدة على جميع

---

141 Roy, O. (2015). "Le djihadisme est une révolte générationnelle et nihiliste", Le Monde, November 24. <http://is.gd/8s7Go0>

142 Burgat, F. (2015). "Réponse à Olivier Roy: les non-dits de "l'islamisation de la radicalité"" , Rue89, December 1, 2015, <http://is.gd/hAMPnR>

الحالات. كما تغفل هذه التفسيرات عدم حشد عدد من الشباب ذوي الانتماءات المشابهة ولا تحاول تحليل الآليات المستخدمة للحشد.

### وضع الأسس المنطقية الإيديولوجية والسياسية في ثلاث سياقات

تميل معظم التحليلات الخاصة بالحشد السلفي الجهادي إلى تعميمات لا تنتبه للسياق الذي تحدث فيه الظاهرة حيث أن الجاذبية التي قد يتمتع بها مشروع داعش وبراعة التنظيم في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لا تنطبق على جميع الحالات. كما لا يمكن تحليل الأهمية النسبية لهذه الرؤى بدون الرجوع للسياقات الثلاثة لعملية الحشد خاصة التوقيت وطبيعة النزاع المسلح ودولة المقاتل كما سبق الإشارة.

#### أولاً: التوقيت

بدأ الحشد للصراع في سوريا عام 2012 وزاد بشكل ملحوظ عام 2014. بينما تتم إدانة الحشد للنزاع السوري على المستويين العربي والغربي في الوقت الحالي، لم يَحْث هذا حين بدأت عملية الحشد حيث كان يتم الترويج سياسياً لسفر المقاتلين لسوريا أو يتم تجاهل الأمر برمته<sup>143</sup>. ساهمت الأعمال الوحشية التي قام بها النظام السوري في خلق شعور بالتعاطف تجاه هؤلاء المقاتلين ولم يتغير هذا الموقف حتى بدأ الكشف عن الأعمال الوحشية التي تقوم بها فصائل المعارضة والمقاتلون الأجانب. ثم بلغ العداة لداعش ذروته حين بدأ التنظيم في نشر فيديوهات لعمليات الإعدام الجماعية التي تقوم بها على شبكة الإنترنت. لهذا السبب لعب التوقيت دوراً جوهرياً في وضع الأسس الإيديولوجية والسياسية للحشد في سياقها.

وفقاً لعدد كبير من التقارير والشهادات، لم يكن هدف الانضمام للنزاع في سوريا في البداية هو القتال في صفوف أي جماعة متطرفة حيث كان الهدف الأساسي هو التضامن مع الشعب السوري أو البحث عن قضية أو حتى حس المغامرة المرتبط بالاشتراك في نزاع مسلح. هذا باستثناء الشبكات السلفية الجهادية سابقة التأسيس

---

143 e. g. Hegghammer, T. , & Zelin, A. (2013). How Syria's Civil War Became a Holy Crusade. Foreign Affairs; Hegghammer, T. (2013), "Syria's Foreign Fighters", Foreign Policy, December 9. foreignpolicy.com/2013/12/09/syrias-foreign-fighters/

سواء في الدول الإسلامية أو الغربية.<sup>144</sup> في هذا الوقت كان الانضمام للجماعات السلفية الجهادية مرتبط بالتفاصيل اللوجستية أكثر من الأفكار التي تدعمها هذه الجماعات فعلى سبيل المثال انضم المقاتلون الجدد للجماعات التي أبدت استعدادها لتدريبهم وتسليحهم.

### ثانيا: طبيعة النزاع المسلح

يستهدف الحشد الذي تقوم به الجماعات السلفية الجهادية الأفراد المشتركين في نزاعات مسلحة داخل بلادهم أو في أراضي أجنبية وتختلف أسباب من ينضم لحرب أهلية في بلاده عمن ينضم من خارج هذه البلاد. على سبيل المثال، من ينضم من مواطني الدولة التي يجري فيها الصراع تحكمه الانتماءات المحلية أكثر من الخلفية الأيديولوجية للجماعة التي ينضم إليها بينما يفضل المنضم من الخارج الجماعات التي تتبنى نفس الإيديولوجيات التي يؤمن بها. لهذا السبب عادة ما تلعب العوامل المحلية دورا بارزا فيختار المنضمون من الداخل الجماعات التي تربطهم بها صلات سواء عائلية أو اجتماعية أو التي تدفع مبالغ مجزية لأعضائها. لذلك يقل تأثير العوامل الإيديولوجية في السياق المحلي والعكس يحدث في حالة المنضمين من الخارج.

### ثالثا: الدول التي يأتي منها المقاتلون

لا ينطبق افتراض أن المسلمون المتضررون من فشل المجتمعات الغربية في إدماجهم على المسلمين المنضمين من الدول الإسلامية. في هذه الحالة تأتي الاستجابة للحشد السلفي الجهادي كرد فعل لفشل الحكومات الإسلامية وجماعات الإسلام السياسي مثل الإخوان المسلمون في تقديم بدائل سياسية ملائمة تخرج هذه الدول من أزمتها المتعددة. هنا تقدم داعش هذا البديل الذي من شأنه إحياء العالم المثالي المرتبط بالخلافة الإسلامية ويعتبر المنضمون الانتصارات المتوالية التي يحققها التنظيم دليلا على اقتربها من تحقيق الهدف المأمول. أما بشأن المنضمين من الدول غير الإسلامية، تبدو

---

144 تتضمن هذه الشبكات على سبيل المثال تلك التي تأسست في فرنسا في بداية الألفية في الحى التاسع عشر بباريس ومجموعة "الشرعة من أجل بلجيكا" في بلجيكا

Taub, B. (2015). "Journey to Jihad", The New Yorker, June 1. <http://is.gd/XX4oT2>

الرؤى التي طرحها كل من روي وبورجات بشأن العوامل السياسية والاجتماعية الأكثر منطقية وعلى الرغم أن رؤية كل منهما تبدو مناقضة للأخرى إلا أن يمكن اعتبار أنهما تكملان بعضهما البعض.

### الخاتمة

إن الحشد السلفي الجهادي عملية متعددة الأوجه. توضح هذه الورقة أن التركيز على عاملي الخلافة الإسلامية واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي غير كافي لفهم عملية الحشد بشكل كامل. حتى حين يلعب هذان العاملان دورا في عملية الحشد فلا يكون نفس الدور في جميع الحالات. لهذا نجحت داعش في حشد العديد من المقاتلين من خلفيات مختلفي وذوي أجناس مختلفة.

تعتبر نظريات أوليفر روي وفرانسوا بورجات والتي تطرح عوامل بديلة للعاملين السائدين الأكثر دقة فيما يتعلق بحشد المقاتلين من الدول الغربية وبينما يقدم كل منهما نظريته على أنها قائمة بذاتها يمكن اعتبار أن كل منهما مكمل للأخرى. يمكن تطبيق نظرية روي لفهم العوامل الاجتماعية للسلفيين الجهاديين بالغرب وكيف ينجذب الشباب في الغرب لهذه الإيديولوجية كما حدث مع أنصار ماو تسي تونج في أوروبا في سبعينيات القرن الماضي. على الجانب الآخر، تظهر أهمية نظرية بورجات في تفسير عملية الحشد في السياق السياسي الأوسع والذي يتعلق بفشل الدول الغربية في إدماج الأقليات المسلمة الوافدة من المستعمرات السابقة وكذلك السياسة الخارجية لهذه الدول في العالم الإسلامي. لكن تنطبق هاتان النظريتان بشكل أقل على المقاتلين المنضمين من العالم الإسلامي ومن الدول التي اندلعت فيها حروب أهلية.

قدمت هذه الورقة ثلاثة عوامل من شأنها التأثير على عملية الحشد وهي توقيت الحشد وطبيعة النزاع المسلح والدول التي يأتي منها المقاتلون حيث لم يكن الحشد يرتبط في بدايته بالعوامل السياسية والإيديولوجية واختلفت الأسباب التي تدفع المقاتلين المحليين من تلك التي تجذب المنضمين من الخارج وأخيرا تختلف الدوافع لدى المنضمين من الدول الإسلامية والدول الغربية.



## الإسلام الراديكالي في السياق

بلال الأمين

أدى الصعود المفاجئ للدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) والأعمال الوحشية التي قامت بها إلى ظهور عدد كبير من الدراسات التي تهدف لتقديم تفسيرات لوجود التنظيم واقتراح حلول للتعامل معه.

أرجعت الدراسات الأولية نجاح داعش للتفوق العسكري والذي ظهر بشكل واضح أثناء توسع مناطق نفوذ التنظيم خاصة حين استطاع مقاتليه أن يسيطروا على الموصل، ثاني أكبر مدينة في العراق، بدون إطلاق رصاصة واحدة. على الجانب الآخر، ركزت بعض الدراسات على وسائل الترويج التي اتبعتها داعش خاصة من خلال شبكة الإنترنت على أنها العامل الأساسي في جذب آلاف المؤيدين من مختلف أنحاء العالم.

كما يوجد تناول آخر يحلل تحديدا حالة العراق حيث ظهرت داعش ويركز على العديد من العوامل التي أدت لنشأتها مثل الغزو الأمريكي في عام 2003 وحل جيش صدام حسين وتهميش السنة إلى جانب دعم دول الخليج وتدخل تركيا. يضيف محللون في الغرب والخليج العربي عوامل أخرى ساهمت في نمو داعش مثل تزايد النفوذ الإيراني والسياسات الطائفية لرئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي وكذلك قمع بشار الأسد للثورة السورية.

ربما تكون العوامل المذكورة أعلاه قد لعبت دورا لكن جذور داعش تضرب أكثر عمقا من هذا بكثير وللتعرف عليها ينبغي الرجوع لتاريخ المنطقة وتحديدا حيث بدأ تكوين الحركات الجهادية المسلحة وكيفية تطورها على مر السنين. هذا التناول من شأنه توضيح الأسباب التي جعلت هذه الحركات قائمة بالرغم من موجات القمع التي تعرضت لها والتي جعلتها لا تزال مصدر إلهام لكثير من المسلمين حول العالم.

## التاريخ البعيد

تعود الأصول الإيديولوجية المؤسسة لداعش لمئات من السنين تحديدا للعالم الإسلامي ابن تيمية لكن الحركة الإسلامية التي خرجت منها ظاهرة حديثة مائة مائة. ظهر ما يسمى "الإسلام السياسي" في البداية في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الحركات القومية العلمانية واليسارية لمناهضة الاحتلال. بدأ الإسلام السياسي بجماعة الإخوان المسلمين التي تم تأسيسها في بدايات القرن العشرين.

لم يحصل الإسلاميون على حريتهم في العقدين التاليين للاستقلال حيث تم قمعهم ومنعهم من الاشتراك في الحياة السياسية من قبل الحكومات القومية كما اعتبرتهم شريحة كبيرة من الشعب شديدي الرجعية والتشدد. تأقلم الإسلاميون على هذا الوضع بالخروج من البلاد أو الاتجاه للأنشطة السرية. في هذه الأثناء حدثت الموجة الأولى من تبني الفكر المتطرف والتي بدأت تحديدا في مصر من جماعة الإخوان المسلمين التي تم إعدام وتعذيب وسجن المئات من أعضائها أثناء حكم جمال عبد الناصر.

على الرغم من سنوات القمع، عاد الإسلاميون لينتقموا ويثبتوا وجودهم على الساحة السياسية في العالم الإسلامي. بدأ هذا في أواخر سبعينيات القرن الماضي ووصل لذروته بعد الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتي والتي شهدت صعودا ملحوظا للتيار المسلح الأكثر عنفا داخل الحركة الإسلامية. في نفس الوقت بدأت التفسيرات المتطرفة للإسلام تلقى صدى لدى شريحة كبيرة من الشعب الذي كان قد ضاق ذرعا بسياسات القوميين الفاشلة. بحلول نهاية الثمانينيات كانت الأحزاب العلمانية تثبت عدم فاعليتها هي الأخرى حيث أن بعضها أعلنت ولائها للأنظمة الفاسدة التي كانت بدورها خاضعة للقوى الإمبريالية. وبذلك بدأ الأمل في استقلال سياسي واقتصادي حقيقي في الجنوب العالمي شبه منعدم.

بين ظهور المجاهدين في أفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي وهجمات 11 سبتمبر/أيلول عام 2011 ظل الإسلام الراديكالي في صعود مطرد تمثل في العديد من الهجمات ضد أهداف غربية في أماكن متفرقة مثل كينيا واليمن وإندونيسيا. ثم عاد

المقاتلون الأجانب الذين انضموا للحرب في أفغانستان إلى بلادهم مزهوين بالنصر الذي حققوه ومحاولين تكراره في أوطانهم. لم يمر وقت طويل على هذه المحاولات حتى عادت سلطات هذه البلاد لقمع الإسلاميين مرة أخرى.

### الربيع العربي

بدأت حركات الإسلام الراديكالي في التراجع بعد هجمات 11 سبتمبر/أيلول مع الضربات التي تلقاها تنظيم القاعدة الذي عمل تحت لوائه معظم الإسلاميين المسلحين ثم أخيرا قتل قائد التنظيم أسامة بن لادن على يد القوات الخاصة الأمريكية في مايو/أيار 2011 أي تزامنا بعد بدء ثورات الربيع العربي. لكن كانت إحدى نتائج ثورات الربيع العربي غير المقصودة هي إحياء التيار الإسلامي على نطاق أوسع بالإضافة إلى زيادة نفوذ أنظمة الحكم التي لا تقل عنه تشددا في الخليج العربي. لم يكن للإسلاميين دورا جوهريا في الثورات التي اندلعت في مصر وتونس لكنهم كانوا الأكثر تنظيما وبالتالي الأقدر على ملء فراغ السلطة الذي تلى سقوط الأنظمة المستبدة في الدول التي قامت فيها الثورات.

كما أنهى الربيع العربي الحقبة التي بدأت بحركات التحرر وشهدت وصول القوميين للسلطة وحتى الأنظمة التي لم تسقط على يد الثورات أدرك القائمون عليها ألا يمكنهم الاستمرار بالطرق القديمة. كانت هذه لحظة تاريخية للإسلاميين حيث أتاحت لهم الفرصة أخيرا لملء الفراغ وتقديم أنفسهم على أنهم القادرون على تحقيق مستقبل أفضل.

منذ انتصارهم على الاتحاد السوفيتي في أفغانستان أصبح الإسلاميون أكثر انغماسا في صراعات محلية ضد حكوماتهم الداعمة للغرب واستمر هذا لسنوات حتى حدثت الثورة السورية التي كانت بالنسبة للحركات الإسلامية المسلحة فرصة ذهبية لإحياء أمجادهم.

### الزحف إلى سوريا

نجحت الأزمة السورية التي تحولت لما هو أقرب للصراع الطائفي بين السنة والشيعة في جمع شمل الحركات الإسلامية المسلحة مرة أخرى. صورت هذه الحركات

الصراع في سوريا على أنه حرب يشنها مئات الآلاف من الشيعة المدعومين من النظام المستبد ضد السنة العزل ونجح هذا في حشد الجماعات المتطرفة في مختلف أنحاء العالم ومن هنا انضم عشرات الآلاف للصراع في وقت قياسي. أصبح حينها دور الجماعات المسلحة الدفاع عن الأراضي الإسلامية في حرب شبيهة بتك التي خلدوا فيها أفغانستان من "الشيوعيين الملحدين." " لكن ما أثار القلق هو ظهور عامل آخر لم يكن موجودا وقت الحرب ضد السوفييت وأصبح أحد السمات الأساسية لداعش ألا وهو العداة الوحشي للشيعة والذي قارب التصفية العرقية. الجدير بالذكر أن في منطقة مثل الشام قد يستمر الصراع الطائفي لسنوات ويتسبب في دمار شامل كما حدث في الحرب الأهلية اللبنانية.

في هذا الموقف كان من الطبيعي أن تنتهز داعش فرصة هذا التحول لصالحها كي تعلن إحياء الخلافة الإسلامية. جذب هذا الإعلان مؤيدين من جميع أنحاء العالم تدفقوا بالآلاف لمساعدة إخوانهم السوريين وبعد مرور ثلاث سنوات على الصراع أصبحت سوريا قبلة الإسلام الراديكالي. لكن قد يكون هذا القرار بإعلان الخلافة الإسلامية سلاح ذو حدين فبينما حصلت داعش على تأييد غير مسبوق بسبب هذا الإعلان بدأ تعليق مصير التنظيم على منطقة جغرافية بعينها مخاطرة. بالنظر إلى القوات المعادية التي تحاصر "الخلافة" من حزب الله والأكراد حتى الولايات المتحدة وروسيا سيصبح من الصعب على داعش أن تحافظ على نفوذها حتى نهاية عام 2016. وقد بدأت داعش بالفعل في البحث عم أماكن بديلة لنفوذها مثل ليبيا تحسبا لاضطرابها للتفرق كما حدث مع تنظيم القاعدة.

### جاذبية داعش

بناء على ما سبق ذكره يمكن التوصل لمجموعة من الأسباب التي تجعل الإسلام الراديكالي محببا لعدد لا بأس به من المسلمين وتحافظ على جاذبية الجماعات المنتمية له حتى اليوم:

- نشأت الحركات الإسلامية مثل مثيلاتها القومية كرد فعل للاستعمار والتغيرات الجذرية التي تلت هذه الحقبة على المستويين الاجتماعي والاقتصادي. من

الناحية الأيديولوجية تعكس الحركات الإسلامية هشاشة المرحلة الانتقالية لمعظم المجتمعات المسلمة حيث كانت هناك رغبة في التخلص من النظام الاجتماعي القديم لكن دون تقديم أي بدائل مستدامة له.

- تحولت الحركات الإسلامية للتطرف نظرا للقمع والتهميش من قبل السلطات لكنها أثبتت قدرتها على البقاء والحفاظ على قوتها حتى وإن اضطرت لفترات طويلة أن تتجه للأنشطة السرية.

- يتغير حجم التأثير الذي تتمتع به الحركة الإسلامية وفقا لتغير الظروف على الأرض وقد ازداد هذا التأثير بشكل ملحوظ بعد انتهاء حقبة الحركات القومية التي كانت الأكثر قوة في مرحلة ما بعد الاستقلال.

- كان للأزمة السورية نفس تأثير الحرب الأفغانية ضد الاتحاد السوفيتي ألا وهو تأجيج المشاعر الجهادية بين عدد كبير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم مما أدي لانضمام عدد غير مسبوق لداعش. كما فتحت ثورات الربيع العربي الباب أمام العديد من الحركات الإسلامية التي انتهزت فرصة الرغبة في التخلص من الأنظمة القديمة.

- تبدو الأسباب التي تدفع الشباب المسلمين للانضمام للجماعات المتطرفة متعددة ومتشابكة ولا ترتبط بالضرورة بالأسباب المعتاد ذكرها مثل الفقر أو القمع أو الحرب. يكفي القول إن الاستماع لخطبة من إمام مسجد أو قراءة محتوى راديكالي على شبكة الإنترنت كفيل بتحويل شاب عادي لمتطرف.

- على الرغم من وحشية الأعمال التي تقوم بها الجماعات المتطرفة المسلحة إلا أن أيديولوجية هذه الجماعات تحمل في ثناياها خطاب مثالي حالم بالمدينة الفاضلة وهذا يفسر جاذبيتها بين العديد من الشباب. تروج هذه الجماعات لرغبتها في إحداث تغيير جذري في المجتمع بحيث يعود للماضي النقي وهذا يلعب دورا كبيرا في اجتذاب الشباب الذين يعانون تحت وطأة الأزمات المختلفة التي يمر بها العالم الإسلامي.

- يمكن ربط مستوى العنف الذي تمارسه الجماعات المتطرفة والذي تفخر به في بعض الأحيان مثلما يحدث مع داعش بمستوى الأزمة التي تعمل هذه الجماعات في سياقها. على سبيل المثال، خاضت العراق حرب مع إيران لمدة ثماني سنوات في ثمانينيات القرن الماضي ثم حرب الخليج الأولى (1990-1991) التي تلاها عقد من العقوبات الدولية ثم وصلت الأزمة لذروتها بغزو الولايات المتحدة عام 2003 وما تبعه من تفكيك الدولة وحل الجيش. في هذا السياق نشأت داعش.

- لعب التدخل الغربي دورا كبيرا في خلق وحوش مثل تنظيم القاعدة وداعش وعلى الرغم من النتائج الكارثية لتدخل واشنطن ولندن وباريس في المنطقة سواء على دول المنطقة أو على هذه القوى ذاتها إلا أن الدول الغربية لا تزال مصرة على استخدام القوة العسكرية في المنطقة وتتوقع دائما أن تنظر لها شعوب المنطقة على أنها المنقذ.

بيروت، لبنان

18 ديسمبر/كانون أول 2015

**الباب الخامس:**  
**الأبعاد الثقافية والهوياتية لانضمام**  
**الشباب لحركات العنف الراديكالية**





## تشكل هوية الشاب السلفي بين الفردانية والجماعية

سميحة الحامدي

### مقدمة

تعيش المجتمعات العربية تحولات عميقة في مختلف المجالات، وقد مست هذه التحولات فيما مست الحقل الديني ومجالات تظاهراته في الشأن العمومي وهو ما انعكس على طبيعة العلاقات والبنى الاجتماعية. ولعل تداعيات هجوم 11 سبتمبر/أيلول 2001 قد لفتت انتباه كل الملاحظين والمختصين ودعتهم إلى ضرورة مراجعة مقارباتهم النظرية لتحليل ما يعيشه العالم من تغيرات حولت وجهة الصراع من صراع مادي إلى صراع ثقافي قائم على أساس ديني. ومن هنا بدأ الاهتمام بالجماعات الدينية الراديكالية التي أصبحت مرجع العديد من الشباب العربي بل وحتى الأوروبي خاصة بعد "ثورات الربيع العربي".

ومن هذا المنطلق، تظهر أهمية المقاربة السسيولوجية من حيث أنها تمثل مدخلا معرفيا لتحليل الظاهرة السلفية الراديكالية ولفهم البعض من دلالاتها. وحتى تتمكن من فهم أعمق لدينامكية تشكل هوية الشاب السلفي فإن المقاربة التي سنعتمدها في هذه الورقة سنتطلق من اعتبار الدين نظاما ثقافيا ينتجه واقعا اجتماعيا من خلال مسار من البناء والهدم وإعادة البناء من قبل المؤسسات الثقافية والاجتماعية الجديدة سيطرت على الحقل الديني وحلت محل المؤسسات التقليدية في ظل واقع تلاشت فيه الحدود بين المحلي والكوني. وهو ما ساهم في خلق حالة من عدم الاستقرار والقلق لدى الشباب جعلهم يبحثون عن هويات جماعية تحقق لهم اندماجهم الاجتماعي.

ومن هنا تحديدا تكمن المفارقة، فكيف يمكن لجيل عايش العولمة وما أنتجته من تلاشي الحدود والثقافات وسوق إعلامية عابرة للحدود وللجغرافيا أن يتجه نحو إنتاج نسق فكري وهوياتي مغلق؟ كيف يمكن لشباب يعيش زمن التحرر وفوز الذات المتفردة الباحثة عن الإبداع والابتكار أن ينتج نسقا اجتماعيا مغلقا ينفي فيه تفردة ومسارات تذوته؟

## 1. العولمة وبروز أشكال التندين الفردانية؟

لقد نظر العديد من علماء الاجتماع إلى "زوال سحر العالم"<sup>145</sup> معتقدين في انتصار العقل على الفكر الديني. غير أن ما تشهده كل المجتمعات اليوم من ديناميكية جعل عديد المفكرين يؤكدون على "عودة سحر العالم"<sup>146</sup>. ولعل تنامي الحركات الجهادية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية بالعراق والشام وتفريعاتها وما صاحب ذلك من عنف ودمار وما تعرضت له بعض الدول الغربية من هجمات تبنتها تنظيمات إسلامية جهادية<sup>147</sup> دعمت مثل هذه التوجهات في التحليل.

لقد تبين لنا من بعض المقابلات مع شباب سلفي<sup>148</sup> أن الشاب يمر بعدة مراحل قبل أن يصبح سلفيا سواء فكريا أو تنظيميا، إذ أنه يخضع إلى مسار من التنشئة الاجتماعية الثانوية. وكما ورد في الشهادات فإن هذا المسار يتم عبر وسائل الاعلام وشبكة الإنترنت والأصدقاء وفي مرحلة لاحقة المساجد. ويبقى الرهان دائما محاولة اقناع الشاب بأن المنهج السلفي هو الطريق الأصح للإسلام. "فكنت أستمع لخطب أبو محمد المقدسي وأبو بصير الطرطوسي وخالد الراشد حول الجهاد وكنت أتابع موقع منبر التوحيد والجهاد وأطلع على كتب وخطب دينية. وبذلك اقتنعت بضرورة الجهاد خاصة وأن طريقة إقناع السلفية الجهادية كانت بالدليل أي بالقرآن والسنة"<sup>149</sup>.

---

145 Max WEBER, Le savant et le politique, Union Générale d'Éditions, Paris, 1963 ; Marcel GAUCHET, le désenchantement du monde une histoire politique de la religion, Gallimard, 1985

146 P. L. BERGER (dir. ), Le Réenchantement du monde, Bayard, 2001.

147 آخرها الهجوم على صحيفة شارلي إبدو باقتحام ملثمين اثنين مقر الصحيفة بباريس في 7 يناير/كانون ثان 2015. وهجمات باريس يوم 14 نوفمبر/تشرين ثان 2015 والتي أسفرت عن مقتل 129 فردا.

148 قمت بهذه المقابلات في إطار مشروع بحث حول "مسارات تشكل هوية الشباب السلفي في تونس" مع الدكتورة اعتماد مهنا لمركز الشرق الأوسط بلندن.

149 مقابلة مع شاب تونسي، 24 سنة، التحق بحزب التحرير التونسي ثم بالسلفية الجهادية والتحق بالجماعات الجهادية في سوريا وانفصل عنهم إثر الخلاف الذي حصل حول الدولة الإسلامية بالعراق والشام.

وكما هو ملاحظ أيضا من خلال هذه الشهادة أن بداية التأثر بالفكر السلفي يتم دائما عبر وسائل الإعلام أي القنوات الفضائية أو شبكة الإنترنت وذلك بعكس الانتماء إلى جماعات أخرى مثل الدعوة والتبليغ أو حزب التحرير الذي يتم دائما حسب شهادات العينة المستجوبة بتأثير من أحد أفراد العائلة أو الأصدقاء.

ومن هنا فإننا في حاجة إلى تحليل العلاقة التي تربط بين "أنماط الإنتاج الثقافي ومعطيات البنية الاجتماعية"<sup>150</sup> في المجتمع التونسي والعربي عموما. وذلك انطلاقا من تعريف غيرتز للدين بوصفه "نظاما ثقافيا فاعلا، يقيم حالات نفسية وحوافز قوية وشاملة ودائمة في الناس، عن طريق صوغ مفهومات عن نظام عام للوجود، وإضفاء هالة من الواقعية على هذه المفهومات بحيث تبدو هذه الحالات النفسية والحوافز واقعية بشكل فريد"<sup>151</sup>. ما يعيننا في هذا التعريف للدين تلك العلاقة التي أقامها غيرتز بين الدين بوصفه نظاما ثقافيا وتلك الحوافز النفسية الدينية التي تعمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية المذكورة (القنوات التلفزيونية، شبكة الإنترنت) على تقويتها وإعادة تفعيلها réactivation من أجل استقطاب أكثر عدد ممكن من الشباب.

فالتتبع للجماعات السلفية خاصة شقها الجهادي يلاحظ أنها الأكثر قدرة على استقطاب الشباب وهذا ما أكدته إحدى المستجوبات التي انتمت في البداية إلى جماعة الدعوة والتبليغ ثم إلى السلفية: "إن جماعة الدعوة والتبليغ لا تجد إقبالا من قبل الشباب وذلك على عكس الجماعات السلفية"<sup>152</sup>. فالواضح أن هذه الجماعات استطاعت أن تنتج مؤسسات اجتماعية بديلة عوضت المؤسسات التقليدية مثل العائلة والمدرسة والمسجد. واستطاعت أيضا أن تخلق فضاءات تأثير غير كلاسيكية تستجيب لتطلعات الشباب وخصائصه لتؤثر على وجدانهم وتمثلاتهم الرمزية بما هو ديني.

---

150 هاني عواد، "التدين الشبابي بوصفه نمطا منفلتا من المؤسسة الإيديولوجية"، مجلة عمران، عدد 2، 2015، ص 65-85.

151 كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، 2009، بيروت، ص 228.

152 مقابلة مع فتاة سلفية، 22 سنة.

ويمكن أن نحلل ذلك بالعودة إلى لحظتين اثنتين، أما الأولى فتخص العولمة وما ترتب عنها من تغيرات اجتماعية سنأتي على ذكرها لاحقاً. أما اللحظة الثانية فإنها تتعلق بوهن "الدولة الأمة" التي كانت تستحوذ على احتكار حيز هام من المؤسسات الاجتماعية المنتجة والموجهة لثقافة المجتمع. فالدولة فقدت عن هذا الدور بعد أن تلاشت الحدود الاقتصادية والثقافية من خلال القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت وفضاءات التواصل الاجتماعي، خاصة في ظل واقع كان يتسم باحتكار الأنظمة الديكتاتورية لكل أشكال الإنتاج الثقافي للمجتمع. وبالعودة إلى تتبع تأثيرات العولمة فإنه يمكننا أن نرصد نمطا جديدا من التدين حيث تأسست علاقة استهلاكية بالدين، أتاحت المجال للمشاهد أن يختار "من العرض الديني ما هو مناسب له من خلال مقاييسه الخاصة؛ وإذا كان العرض الديني غير مقبول بالنسبة له فسيقوم بتغييره؛ فهو لن يحجل من رفض هذا العرض والبحث عن تدين مناسب له وملتطلباته".<sup>153</sup> فالمتبع لما لعبته القنوات الفضائية مع بداية القرن الحالي يمكنه أن يلاحظ مدى مساهمتها في إبراز أشكال دينية جديدة أصبحت تقوم على اختيار الفرد لمنتجه الديني. فكنا نلاحظ مثلا في المجتمع التونسي، حتى قبل إسقاط نظام بن علي، إقبال الشباب المتزايد على المساجد وارتفاع عدد الفتيات المرتديات للحجاب رغم منعه من قبل السلطات. وكان هذا بتأثير القنوات الفضائية خاصة القناة السلفية "الناس" وظهور دعاة جدد أمثال عمرو خالد وغيره. فقد ساهمت هذه الفضاءات الإعلامية في إنتاج شكل فردي للتدين عند الشباب، إذ تأسست علاقة فردية بين المشاهد والمعاني الدينية، فيقارن بينها ويختار، وكان أساس تفضيله في الأغلب هو القناة الفردية التي تلبي طموحه الفردي للتدين. وهذا ما أكدته إحدى المستجوبات أعلاه "كانت البداية مع القنوات التلفزيونية قناة "اقرأ" وبعد ذلك قناة "الناس" (ذات التوجه السلفي)... فكنت أقوم دائما بمقارنات، أطور أفكارني وفي الأخير من يريد أن يتبع الحق فإنه يكون متجردا من أية خلفيات".<sup>154</sup> فالملاحظ هنا أن هناك تغيرا فعليا

153 حسام تمام، "الدين والعلمانية والهوية في عصر سقوط الإيديولوجيات ونهاية الروايات الكبرى: حوار مع

باتريك ميشال"، <http://is.gd/cslzpa>

154 مقابلة مع فتاة، مصدر سابق.

أفرزته هذه المؤسسات من خلال كسر العلاقة بين الشيخ والتلميذ فأصبحت بذلك "الآفاق الدينية الجديدة آفاقا مريحة بعيدة عن الإجبار والعنف الرمزي والقلق، فكل فرد صار يبحث عما يريجه".<sup>155</sup>

ويبدو أن الجماعات الراديكالية استغلت كل أوجه العولمة من أجل التأثير على شخصية الشاب العربي، ونقصد في هذا المجال استغلالها للحيز العام الافتراضي وشبكات التواصل الاجتماعي واعتمادها على تقنيات تواصل مؤثرة مثل الفيديو والصورة، فالذات الاجتماعية أصبحت قادرة على التعامل مع المادة المقدمة بأكثر تفاعل من خلال القدرة على التواصل والمشاركة في عملية الإرسال.

فما يمكن أن نخلص إليه في هذا المستوى من التحليل أن الحركات الراديكالية استغلت أدوات العولمة وآلياتها وأدركت أن الفردانية التي أصبحت تتصف بها الذات الاجتماعية يمكن أن تطوعها لاستقطاب الشباب. فجعلت الشباب ينتج شكلا جديدا من أشكال التدين بوصفه تدينا فردانيا وذلك في عملية الاستقطاب والتأثير والبناء الفكري، لكن في مرحلة لاحقة تعمل هذه الجماعات على إعادته إلى أشكال المؤسسات والانتظام التقليدية أي المساجد في مرحلة أولى ثم الجماعات السلفية لتعيد بناء هوية جماعية. ليعيش الشاب السلفي "حراكية اجتماعية ثقافية، تعيد ترتيب الفواصل بين الفردي والجماعي، وتضع الفرد في مجاهة روابط اجتماعية حدائية وما قبل حدائية"<sup>156</sup>. فتعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية بوصفها مسار تعلم سمحت بإنتاج أنظمة ثقافية ومفهوم جديد لما هو ديني وهو ما سمح لبروز مسارات بناء وهدم وإعادة بناء الأنساق الفردية للتمثالات الدينية. وكان من تأثيرها إنتاج ديناميكية هوياتية قابلة للحركة لدى الشباب العربي عموما.

## 2. الشباب الباحث عن هوية جماعوية في زمن اللا يقين

كما أشرنا سابقا فإننا أصبحنا نتحدث عن إعادة طرح فكرة الدين من جديد، وهو ما يضعنا أما تساؤل عن مسار الإيديولوجيات وانحياز الروايات الكبرى للعالم

155 حسام تمام، مصدر سابق.

156 Andrea SEMPRINI, la société de flux: formes du sens et identité dans les sociétés contemporaine, l'Harmattan, Paris, 2003, p. 255.

خاصة بعد نهاية الاستقطاب بين الشيوعية والرأسمالية بوصفهما نظامي قيم. ومن هنا برزت إشكالية الانتماء والهوية خاصة لدى الشباب الذي أصبح يعيش في زمن اللا يقين<sup>157</sup> والشك. فمع تراجع الإيديولوجيات وما رافق ذلك من انهيار لما هو سياسي وبنى عقائدية، فإننا أمام إعادة تشكل للعالم وهو ما ينتج أزمة في الهوية التي لم تعد بنفس الوضوح الذي كانت عليه. وقد استغلت الجماعات الدينية هذا الفراغ لتوظف الدين وإحداث نوع من التوازن إذ "أدت خلخلة الهوية لنوع من الحماس الديني، لأن الأحاسيس والمشاعر اتجهت أهم الموارد الرمزية التي ما تزال باقية والتي تعطي معنى للعالم: وهي الأديان".<sup>158</sup> فهذا التغيير الذي رافقته حالة من عدم الاستقرار والتذبذب سمح بحضور الدين بوصفه فاعلا رئيسيا لإعادة بناء الهوية. وفي مسألة الهوية، فإن كل المقاييس التي كانت تنظم مسألة الهوية فيما مضى تغيرت، ومن ثم فقد صارت معايير تحديد الهويات غير واضحة، ونتيجة هذه الخلخلة أو التذبذب لم تعد الهويات ثابتة كما كانت سابقا. فالمقاييس التي كانت تنظم مسألة الهوية في المجتمعات التي كانت تتميز بالاستقرار تغيرت، ومن ثم فقد صارت معايير تحديد الهويات غير متعددة وغير ثابتة. فمثلا النوع الجنسي الذي كان يحدد الهوية (ذكر أو أنثى) تغير فأعيد تعريف الذكورة والأنوثة حتى بيولوجيا، وبرز النوع الاجتماعي بديلا عن النوع البيولوجي. كما حدث التغيير نفسه في الهوية المهنية: ففيما مضى كان العمل أكثر ثباتا، وكان الفرد يمتحن مهنة معينة طول حياته الوظيفية، بينما الآن يمكن أن ينتقل من شركة إلى أخرى أو من مجال عمل إلى آخر، ويتم ذلك بسهولة ومرونة. وكذلك الحال في الهويات الاجتماعية إذ لم تعد هوية الطبقات الاجتماعية محددة للانتماء وذلك من خلال بروز ما يسمى بالطبقات الوسطى وإمكانية الانتقال من طبقة إلى أخرى صعودا ونزولا. وفيما يخص الهويات السياسية: تغير محور اليمين واليسار الذي كان سائدا قبل سنوات، وكان يعطي إمكانيات لتفسير السياسة ورسم خريطتها، ولم يعد له الآن نفس المركزية التي كان عليها. فالمتتبع مثلا للخارطة

---

157 Robert CASTEL, La montée des incertitudes, Paris, Seuil, 2009.

158 حسام تمام، مصدر سابق.

الانتخابية لتونس بعد الثورة يلاحظ أن الطبقات العاملة والمفكرة تدلي بأصواتها لليمين على حساب اليسار.

والشيء نفسه فيما يخص الهويات الوطنية، حدثت تغيرات عميقة أهمها التغيير في مفهوم الدولة القطرية ونظامها فقد تلاشت تلك الحدود نتيجة العولمة. وهو ما يفسر بروز حركات اجتماعية جديدة تتجاوز قضايا الدولة القطرية مثل حقوق الإنسان وحماية البيئة وحركات مناهضة للعولمة. فكلها أصبحت قضايا فوق قطرية وعابرة لحدود كل دولة<sup>159</sup>.

والهويات الدينية مثل الهويات الأخرى تتغير وتتأثر بالتغيرات الاجتماعية. "إعادة تشكيل الهويات الدينية يتم في نفس السياق لكل الهويات الأخرى، بمعنى أن الشأن الديني ليس منفصلا عن المجتمع، وبالتالي فإن الهوية الدينية تفقد الاستقلالية والاستقرار نتيجة الفردنة، بمعنى أنها يمكن أن تتغير"<sup>160</sup>.

ومن هذا المنطلق تعمل الجماعات الراديكالية على إعادة بناء الهوية من خلال إعادة بناء تمثلات الشباب لمجتمعهم وإنتاج معاني مغايرة إلى الواقع الذي انتموا إليه.

"كل جماعة تؤلف "حكاية" تفسر من خلالها لأعضائها لماذا عليهم الخضوع لإكراهات الحياة الجماعية. وما يميز هذه "القصة" هو طابعها الضمني: تحيل المعايير الاجتماعية إلى قيم وتمثلات للعالم لا تحتاج البتة حتى إلى أن تكتسب معنى، ذلك أن استبطانها من قبل الأفراد يجعل معناها "بديها". فمن طبيعة الإكراه الاجتماعي أن يجعل أي فاعل اجتماعي يسلم بمعنى ما، دون أن يكون قادرا على تفسير مبرر وجوده أو الأهمية التي يكتسبها"<sup>161</sup>

فهذه الجماعات تعمل على بناء ثقافة متخيلة لدى الشباب السلفي تقوم أساسا على العهد الذهبي والأجداد التي عاشها المجتمع الإسلامي في عهدها الأولى فما

---

159 هاني عواد، مصدر سابق.

160 نفسه.

161 Guy BAJOIT, " Le changement social Approche sociologique des sociétés occidentales contemporaines Collection " Cursus – Armand Collin, <http://is.gd/waP4qL>

تعيشه المجتمعات العربية اليوم من ضعف ووهن يجعل الشباب السلفي يبحث عن نهضة "الأمة" والتغيير وتحول الحاضر المعيش إلى مستقبل أفضل. "إن العودة إلى مثال أو نمط مجتمعي كنقطة انطلاق لمشروع مستقبلي يحيلنا إلى ماض بعيد، يعتبر كمصدر مثالي، تجربة سعيدة يجب أن تذكر وتعاد"<sup>162</sup>. فهذا العصر الذهبي يتمحور حول ماضي مثالي يمجّد أصول المجتمع الإسلامي القائم على التضامن والقوة والوحدة. فيصبح بذلك الحاضر خال من أي قيمة إلا إذا اتبع المجتمع الإسلامي تلك البنية الاجتماعية التي تعود إلى العصور الأولى، أي إلى عهد الرسالة المحمدية والخلفاء الراشدين. لذلك فإن رهان الحركات السلفية يقوم على نهضة المسلمين من خلال مرجعية الماضي المثالي وذلك لا يمكن أن يتم إلا من خلال إرادة ثورية وتغيير راديكالي للمجتمع. خاصة في ظل شعور هؤلاء الشباب بانتمائهم إلى مجتمع ضعيف واقع تحت هيمنة قوى خارجية مما يقوي شعورهم بالعجز واحتقار مجتمعاتهم وذواتهم وحاضرهم، فيصبح هذا الماضي آلية من آليات الصراع مع هذه القوى المهيمنة. "الغاية الأولى والأخيرة هي إرضاء الله. نظرا لما تعانيه الدول الإسلامية من ظلم وفقر واضطهاد كنت أطمح إلى إقامة دولة تحقق العدالة بين أفرادها وترتقي اقتصاديا وتصبح قوة دولية"<sup>163</sup>.

"صحيح أنا قوي وأتكلم خمسة لغات ولدي مستوى علمي ولدي أيضا الجنسية السويدية لكنني في الأخير تونسي بل أنا مسلم قبل أن أكون تونسيا، فأنا أنتمي إلى أمة عظيمة فعند الإحساس بهذا الانتماء أشعر أنني أقوى. أما لأن فأنا أشعر أنني ضعيف، بالرغم أنني أمارس الرياضة وحالي المادية أيضا مترفة، الحمد لله، لكن أشعر أنني ضعيف. فعمر يقول: إن الله يصلح بسطان ما لا يصلح بالقرآن، أي أن قوة السلطان أو الخليفة هي التي تسمح بتطبيق الشريعة، لذلك أنا مع السلفيين يطبقون ذلك بالقوة وإلا لا فإننا لبا يمكن أن ننضبط"<sup>164</sup>.

162 M. Eliade, Le mythe de l'éternel retour, Paris, Gallimard, 1969, 16.

163 من مقابلة مع أحد السلفيين.

164 مقابلة مع أحد السلفيين.



فكما توضحه هذه الشهادة فإن طبيعة الصراع لدى الشباب السلفي يتمحور حول تعريف أو خلق فضاء جديد ضمن المجتمع الذي يعيش فيه. ومن هنا فإن انتماء الشاب إلى الجماعات السلفية إنما يعبر عن "استراتيجية سلفية"<sup>165</sup> وذلك من خلال البحث عن تموقع ضمن فضاء اجتماعي جديد. فالبحث عن قالب matrice هوياتي بديل يمكن أن يفهم في إطار مشروع يهدف إلى القطع مع نوع من الهيمنة التي يشعر بها الشباب السلفي من قبل المجتمع الذي يعيش فيه أو القوى العالمية الأخرى وذلك من خلال بناء نظام ثقافي رمزي، نظام يعود به إلى العصور الأولى للدين الإسلامي فيقطع بذلك الشاب مع الزمان والمكان الذي يعيش فيهما ويكون هذا بفعل تكمص تلك الهوية الجماعوية التي يجد من خلال تكمصها نوعاً من الاستقرار والتوازن النفسي.

#### خاتمة

من خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى أن بناء الذات السلفية تخضع إلى مسار من البناء والهدم وإعادة البناء عبر نظام ثقافي ساهمت وسائل الإعلام الحديثة في إنتاجه. وذلك في علاقة بالبحث عن هوية بديلة تبدأ ببناء هوية فردانية من خلال ربط الشباب لعلاقات مع الآخر، فيلجأ إلى ممارسة ضغوطات وإكراهات على الآخر من أجل إجباره على السماح له بالتموقع في المجتمع ومن أجل إنتاج معان خاصة به. وذلك عبر بناء استراتيجيات هوياتية تتراوح بين الهوية الجماعية والفردانية من خلال مسار متواصل من بناء وإعادة بناء المعاني الاجتماعية.

---

165 Mohamed-Ali ADRAOUI, Opcit, p. 133.



## أسباب التحاق الشباب بجماعات العنف الراديكالية "داعش نموذجاً" من منظور الثقافة والهوية

مافي ماهر

شهد العالم ظهور حركات عنف راديكالية على مر التاريخ القديم والحديث، ولكن أستخدم ظهور "داعش" اهتماماً خاصاً ليس فقط من المتخصصين أو الساسة أو متابعي الشأن العام ولكن استطاعت داعش الاستحواذ على انتباه المواطن في العالم أجمع حيث لم يعد المواطن العربي فقط هو من ينضم إلى صفوف داعش وإنما نجحت هذه الحركة في أن تضم إلى صفوفها شباباً من شتى بقاع الأرض لا سيما أوروبا وأمريكا إضافة إلى اجتذاب شباب العالم العربي والإسلامي. فقد أفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان بأن عدد مقاتلي تنظيم داعش تحطى الـ 50 ألف مقاتل، من ضمنهم 20 ألف شخص أجنبي في حين أعلنت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية عدداً يتراوح ما بين 20 إلى 31.500 ألف شخص. جاء المقاتلون مما يقرب من 81 دولة حول العالم.<sup>166</sup>

"نحن نحتاج إلى أن تدرك كل مدرسة، جامعة، جماعة، أن عليها دور، وعلينا جميعاً دور في التصدي لمن يسممون عقول الشباب بهذه الطائفية المميتة"<sup>167</sup> صرح بذلك ديفيد كامرون رئيس وزراء بريطانيا. يعبر هذا التصريح عن إدراك بات راسخاً بأن المنظور الثقافي لظاهرة داعش هو أحد أهم المنظورات التي لا بد من أخذها في الاعتبار في سبيل مواجهة هذه الظاهرة. سيحاول هذا المقال البحثي تناول كيفية اجتذاب هؤلاء الشباب من المنظور الثقافي والهوياتي والذي يتقاطع مع المنظور النفسي

---

166 محمود على، بالصور... تعرف على أعداد وجنسيات مقاتلي "داعش"، البديل، 16 نوفمبر/تشرين ثان  
<http://is.gd/ZWxIuM>، 2015

167 Dana Ford, Who are the missing UK Girls thought to be in Syria?, CNN, 25 February 2015 in <http://is.gd/J9CWVC>

والسسيولوجي في محاولة لفهم لماذا أصبحت داعش قبلة بعض الشباب من الجنسين من شتى أنحاء العالم.

### داعش موطن الانتماء والأمان

من مراجعة قصص الشباب المنضم لداعش سواء الرجال أو الفتيات، العرب، الأوروبيون، الأمريكيون، الشباب المنتمون لطبقات اجتماعية فقيرة أو متوسطة أو غنية، الشباب الذي تمتع بقدر متوسط أو عالي من التعليم، ما يجمع كل هؤلاء هو فقدانهم للشعور بالانتماء مما يؤدي إلى الشعور بالغبرة داخل الوطن وانفصالهم عن هويتهم وفقدانهم للشعور بالرضا حول هدف حياتهم في الحالات التي كان فيها هذا الهدف واضحا من الأصل.

من هنا كان لا بد من الوقوف عند مصطلح "الانتماء" والذي لا ينفصل عن مصطلح "القبول" أي شعور الفرد بالقبول لذاته وشعور الفرد بقبول المجتمع والمحيطين به له، لا يمكن للفرد أن يشعر بهذا الانتماء أو القبول بمعزل عن الآخر وعن الجماعة المحيطة به وهنا تبرز الحاجة إلى التواصل والتحقق وإقامة علاقات اجتماعية متوازنة. في حالة غياب الشعور بالانتماء يترسخ لدى الفرد شعور بالرفض والوحدة والغبرة ونقص الشعور بالحب والأمان. من كل ذلك يمكن استنتاج أن الحاجة للشعور بالانتماء هي حاجة أساسية تولد مع الإنسان ولا يمكن للإنسان الاستغناء عنها وأن عدم تلبيتها يؤدي إلى اضطرابات جسيمة serious deprivation disorders. إن الشعور بالانتماء هو الحافز والمحرك لسلوك الفرد تجاه المجتمع. في هذا السياق يرتبط سلوك الفرد في المجتمع ارتباطا وثيقا بالصورة الذهنية التي لدى الفرد عن ذاته وعن مجتمعه وعن الآخر وعن العالم.<sup>168</sup> شخص غير ملبي لديه الحاجة للشعور بالانتماء وبالتالي بالأمان هو شخص صورته عن نفسه وعن الآخر صورة سلبية ويكون فريسة لأي جماعة تلي لديه هذا الشعور بالانتماء والأمان.

---

168Mgr. Alina Cogiel, Affiliation, Departement of psychology, University of Ostrava, 7 May 2005 in <http://is. gd/I91Qw6>

من كل ما سبق نستطيع أن نقول إن عدم شعور الفرد بالانتماء والأمان لا يقتصر على بلد بعينه لذا فداعش تستقطب من يبحث عن مجتمع ينتمي له ويتخذ من خطابه الديني ذو الصبغة العالمية وسيلة لبيع حلم المجتمع والجماعة الذي يمكن أن ينتمي إليهما الفرد أي كانت جنسيته على أساس أن الرابط بين المنتمين لهذه الجماعة هو الإسلام وأن الدعوة للجميع دون تفرقة على أساس قومي أو عرقي أو جندي.

إن هذا الشباب الذي لا يشعر بالانتماء يبحث غالباً عن:<sup>169</sup>

1. شيء ينتمي له ويكون محل إحرام وتقدير من آخرين: الدين على سبيل المثال.

2. إشباع الحاجة بالانتماء لجماعة.

3. التعبير عن الغضب المكتوم من سنوات الشعور بعدم القبول.

4. الهروب من الألم الناجم عن الشعور بالإحباط وعدم الأمان وعدم التحقق بالبحث عن مخرج مهما كان ثمنه باهظاً.

بالطبع تتوفر هذه الشروط في داعش التي تلبى حاجة هؤلاء الشباب إلى الانتماء والتحقق. توفر داعش لهؤلاء الشباب الانتماء إلى دين والقبول داخل جماعة وترسم لهم صورة أبطال وتستغل رغبتهم في التعبير عن غضبهم المكتوم من خلال العنف.

ينقلنا هذا إلى السؤال التالي لماذا ينجذب الشباب الذي لا يشعر بالانتماء والأمان إلى داعش تحديداً؟ ولحاولة الإجابة على هذا التساؤل سيتم تقسيم الشباب إلى شباب العالم العربي وشباب العالم الغربي.

### دعشة الشباب العربي

إقبال الشباب العربي من مختلف البلدان والثقافات والطبقات الاجتماعية على الانضمام إلى داعش، أمراً لم يشهد له مثيل مع غيرها من جماعات العنف. ولا يوجد خلاف على أن هؤلاء الشباب يمتلكون قدرات كبيرة في شتى المجالات ويتمتعون بذلك خاص واستطاعوا أن يحققوا أهدافهم ويجذبوا انتباه العالم. هؤلاء الشباب بهذه

169Arthur Brown, Why do young people join ISIS?, The Institute of Middle East study, 12 April 2015 in <http://is.gd/8CVzBA>

القدرات كان يمكن لهم أن يكونوا صانعي نهضة العالم العربي بدل من ان يتحولوا إلى إرهابين. غير أن النظرة للشباب لاسيما المراهقين في العالم العربي هي نظرة متعالية متشككة في قدرات هؤلاء الشباب.

لمعرفة كيف حدث هذا سنحاول الوقوف على الأسباب الخاصة بكل فئة.

**الشباب المتعلم:** يلاحظ أن الشباب العربي المنتمي للطبقة المتوسطة والذي لا يعاني من الفقر أو البطالة بل ويتمتع بقدر كبير من التعليم ينضم أيضا بنسب ملحوظة إلى داعش. لكن كون هؤلاء الشباب متعلمين لا يعنى بالضرورة أنهم مستنيرون، فالتعليم الذين تلقوه ينمى التلقين والحفظ بدلا من مهارات التحليل والنقد، فيخرج شباب معتاد على السمع والطاعة خاصة من كل من يمثل سلطة دينية أو أبوية أو سياسية، لذا هو قابل للخضوع لأفكار دون تحليلها.

أيضا من أسباب انضمام هؤلاء الشباب إلى داعش استبعادهم وعدم تمكينهم وتمهيش دورهم في إدارة البلاد العربية بل والزج بهم في السجون في قضايا ذات طابع سياسي وعقائدي، على عكس ما تفعله داعش التي يشعر الشباب في كنفها بأن لهم دور محوري في الإدارة بل وفرض التغير في مجتمعاتهم.<sup>170</sup>

الواقع المحبط لدى الغالبية العظمى لهؤلاء الشباب وإدراكهم لأن الواقع غالبا ما سيسحق أحلامهم في مستقبل أفضل، فيفقدون القدرة على الحلم، مما يجعل من هؤلاء فريسة سهلة لداعش.

**الشباب الذي يعاني من ظروف اقتصادية صعبة:** إن معظم شباب العالم العربي أصبح يواجه متاعب بسبب سوء الأحوال الاقتصادية إلى حد أنه أصبح من العسير على الشباب الحصول على حقوق أساسية كالزواج وتكوين أسرة. في هذا السياق نمت اقتصادات الظل الموازية بشكل ملحوظ. فعلى سبيل المثال، يعد 33% من النشاط الاقتصادي في المغرب، و40% من الناتج المحلي الإجمالي في مصر غير قانونيين، ما يحرم الكثيرين من الحصول على أي شكل من أشكال الضمان

170 إبراهيم عوض، أسباب الشباب في الانضمام إلى "داعش"، 12 أكتوبر/تشرين أول 2014، سي ان ان بالعربية، <http://is.gd/Y840HA>

الاجتماعي. إذا أخذنا في الاعتبار أن واحد من كل خمسة أشخاص في الوطن العربي تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشر والرابعة والعشرين ونسبة الشباب العاطل عن العمل تصل إلى 29% عديدون منهم يحملون شهادات جامعية،<sup>171</sup> يمكننا تصور حجم الشعور بالإحباط وعدم الإحساس بالأمان وتصدير هذه المشاعر للمراهقين الذين يرون أمامهم من سبقوهم سنا غير قادرين على توفير حياة كريمة أو تكوين أسرة. هؤلاء يمكن بسهولة أن يهتز شعورهم بالانتماء ويقعوا فريسة لمن يوفر لهم ما عجز الوطن عن توفيره.

**الشباب الذي تم سجنه:** في السجن وخصوصا مع التعرض للتعذيب تتنامى مشاعر الكراهية والرغبة في الانتقام ويكون الطريق ممهدا للشيوخ الذين في السجون من أجل استقطاب الشباب الذي يسيطر عليهم الألم والإحباط وكراهية الدولة وأحيانا المجتمع بأكمله. إن داعش ذاتها تكونت داخل أحد السجون وهو سجن بوكا في العراق حيث أمضى أبو بكر البغدادي قائد التنظيم 5 سنوات به، و9 آخرين من قادة التنظيم قضا مددا متفاوتة داخل هذا السجن أيضا.

**الشباب الذي أصيب بالإحباط بعد ثورات الربيع العربي:** مع قيام ثورات الربيع العربي أواخر 2010 وبدايات 2011، كان لدى الشباب العربي آمالا كبيرة بأن أحلامهم بالحرية والعدالة والكرامة أصبحت ممكنة. وعندما لم يتمكن هؤلاء الشباب من تحقيق أحلامهم بل على العكس ازدادت هذه الأحوال سوء إلى الحد الذي رأى فيه بعضهم وطنه وهو يتمزق وأهله وهم يشردون، أدى ذلك إلى شعور عميق باليأس والغضب والإحباط والرغبة في الانتقام والتي كانت متراكمة منذ ما قبل قيام هذه الثورات بسبب تراكم الفساد والقمع وسوء الأحوال الاقتصادية. مثلت هذه الثورات بريق أمل للتخلص من كل ذلك، وعندما لم تنجح في تحقيق أهدافها، اشتدت وطأة مشاعر الإحباط والغضب والرغبة في الانتقام والشعور بعدم الأمان، ووجد بعض الشباب في داعش، الملاذ أو الوسيلة لتفريغ شحنات الغضب والرغبة في الانتقام خاصة وأن داعش تشرعن أفعال العنف والإرهاب حينما تصبغ عليها صبغة

171 مها بجي، المجاذبية القاتلة: خمسة أسباب لانضمام الشباب إلى داعش، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، 7 نوفمبر/تشرين ثان 2014، <http://is.gd/i2fyN6>

دينيه لتبرر أعمالها الإرهابية. أثبتت دراسة أجراها المجلس الثقافي البريطاني ومركز جون جيرهارت للأعمال الخيرية والمشاركة المدنية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، حول الشباب الذين شاركوا في الثورات العربية في مصلا وتونس وليبيا، أنهم يشعرون بالإحباط من الوضع السياسي القائم في بلادهم في الوقت الحالي.<sup>172</sup>

في ظل سياق كهذا من الطبيعي أن يشعر الشباب العربي بالاغتراب داخل وطنه وبعدم القدرة على التحقق خاصة وأن المجتمعات العربية تنظر للشباب نظرة فوقية ولا تمكنهم من التأثير الفعلي على صناعة القرار ولا تعطى لهم أدوارا محورية ويحدث كل ذلك في ظل أوضاع اقتصادية صعبة لا تضمن لهم حياة كريمة. على العكس من الوضع في داعش حيث يجد الشباب لأنفسهم دورا محوريا ومؤثرا ويتمتعوا بالقبول والثقة داخل الجماعة ويعيشون حياة كريمة.

### دعشنة الشباب الغربي

الشباب الغربي الذي يذهب طواعية إلى داعش ويترك بلاده ويتزوج ويكون عائلة بل ويكون على استعداد للموت، هو شباب يشعر حتما بالانتماء لهذا الكيان الداعشي وتصبح الداعشية هي موطنه ويعتقد فكر هذه الجماعة التي أصبحت ملاذه.

عن ذلك يقول Pierre de Villiers بيير دو فييه، قائد الدفاع في الجيش الفرنسي، عن الشباب الأوروبي الذي ينضم إلى داعش "يبحثون عن إطار وعن قيم يفتقدونها في المجتمع. يذهبون في اتجاه خطير ووضيع إلى داعش متوهمين أنهم بذلك وجدوا الأمان وعلى أمل إيجاد معنى لحياتهم".<sup>173</sup>

---

172 لماذا يشعر شباب الوطن العربي في دول الربيع العربي بالإحباط؟، بي بي سي عربية، 11 يونيو/حزيران 2013، <http://is.gd/g2XiWq>

173 Michel Cabirol, Pourquoi les jeunes se tournent vers Daech, selon le chef d'état-majeur des armées, La tribune, 25 novembre 2015 in <http://is.gd/6fw1d9>



قديمًا كانت الغالبية العظمى من الشباب المنضم لجماعات العنف الراديكالية المسلحة الإسلامية، ينتمي للطبقة الفقيرة إلا حالات نادرة لكن مع ظهور داعش بدأنا نلاحظ انضمام شباب الطبقة المتوسطة بأعداد كبيرة.<sup>174</sup>

لمحاولة الفهم أسباب ذلك سيتم تقسيم الشباب الغربي إلى أكثر من فئة:

**الشباب ذو الأصول العربية:** يمثل الشباب ذو الأصول العربية ويحملون جنسيات دول هاجر إليها أبائهم أو أجدادهم فئة هامة من الشباب المنضمين لداعش. ويرجع بعض المحللين ذلك إلى أزمة الهوية التي يعانيها هؤلاء الشباب فهم لا يشعرون بالانتماء الكامل لأصولهم لأنهم تربوا في بلاد أخرى ويحملون جنسيتها لكن في الوقت نفسه هم يعانون بنسب متفاوتة من أزمة الاندماج في هذه البلاد التي يعيشون فيها.<sup>175</sup>

**الشباب الذين ينتمون للطبقة الشعبية:** الشباب المنتمي للطبقة الشعبية والذي يجذب إلى داعش، غالبًا ما يكون لديه ماضي إجرامي كالقيام بعمليات سرقة أو نصب. ويكون قد سبق له دخول السجن وتتسم عائلاتهم بالتفكك وبسيادة العنف في العائلة وبغياب المرجعية في غالبية الحالات. أهم ما يركز عليه المجندون هؤلاء الشباب هو قطع الروابط العقلية والنفسية التي تربط هؤلاء الشباب ببلادهم ومجتمعاتهم وتكريس صورة ان هذه البلاد -التي هي بلادهم- قد أصبحت "العدو". هناك عدة عوامل تسهل هذا المهمة أهمها أن هؤلاء الشباب يحملون غضبًا تجاه بلادهم ومجتمعاتهم ويتطلعون إلى الثورة على الأوضاع الصعبة التي عاشوها محملين مجتمعهم المسؤولية عن هذه الأوضاع. داعش يصور هؤلاء الشباب أنهم بانضمامهم للحركة سيتحولون من مهمشين إلى أبطال ومن مجهولين إلى مشهورين ومن مدانين

---

174Patrick Goodenough, British PM: Ideology not Poverty, is the root cause of Islamist Terrorism, CNC NEWS,22 July 2015, in <http://is.gd/OXJAGg>

175 عزة هاشم، لماذا يجذب الشباب الغربي إلى داعش، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية، 29 أبريل/نيسان 2015 في <http://is.gd/WNbxM9>

إلى حكام يحكمون على من دونهم بالكفر، ومن أفراد ينظر لهم المجتمع باحتقار إلى أفراد يهاجم الناس ويخافون منهم في العالم أجمع.<sup>176</sup>

**الشباب الذين ينتمون للطبقة المتوسطة:** لا يخلو أيضا في معظم الأحيان، تاريخهم من الجرائم أو الإدمان أو كليهما. بيد أن عددا آخر منهم ليست لديه صحيفة سوابق ومتعلم تعليما جيدا ويعيش في أحياء لا يعاني سكانها مثل ما يحدث في الأحياء الفقيرة. هؤلاء غالبا ما يحثهم على الانضمام لداعش هي الرغبة في التحقق خاصة المراهقين منهم. تتسم ثقافة المجتمع الغربي بأنها قائمة على الذاتية والفردية وبقدر ما يضمن ذلك حرية للفرد بقدر ما يكون في بعض الأحيان عبء عليه، خاصة هؤلاء الذين يشعرون بالتهميش ويجدون في الانضمام إلى داعش ضالتهم في البحث عن جماعة ينتمون لها وعن أعباء تنفض من على عاتقهم. التفكك الأسري لدى هذه الفئة يلعب أيضا دورا محوريا في شعور الشباب بالوحدة وعدم الأمان. كما إن حب المغامرة خاصة لدى المراهقين والرغبة في التخلص من أعباء حياة الغرب والوعد بحياة رغدة يتمتع فيها هؤلاء بمزايا كانوا يفتقدونها في بلادهم، تشجعهم على الانضمام لهذه الجماعة. في هذا السياق، وتحت وطأة الرغبة في تلبية حاجتهم الأساسية للشعور بالانتماء والأمان والتخلص من الام الماضي، يجدون مبررات كثيرة ليقنعوا بها أنفسهم بكل الجرائم التي يرتكبونها تحت لواء الدين.<sup>177</sup>

**الفتيات:** بداية يتخذ التنظيم من الفتيات المحبطات في العالم الغربي هدفا له. يقدم داعش لهؤلاء الفتيات قناعة بأنهن يقمن بدور بطولي في نصره المستضعفين (مثل السوريون) ونصرة الإسلام في مواجهة الطغاة والكفار كما يقدم لها داعش نموذجا للرجولة غير التي اعتادت عليه في مجتمعا الغربي. "الرجل" في فكر داعش هو

---

176Farhad Khosrokhavar, Le jihadisme en Europe: des classes populaires aux classes moyennes, LE HUFFINGTON POST, 1 Avril 2015 in <http://is.gd/StJhNr>

177Jethro Mullen, What is ISIS' appeal for young people?, CNN, 25 February 2015 in <http://is.gd/CQbjMl> /

البطل المضحي المعطاء الصادق ويكون بذلك "الزوج المثالي" خاصة بالنسبة للمراهقات اللائي تربين في ظل عائلات مفككة أو تعرضن للانتهاك أو لتلك اللواتي عانين من زيجات فاشلة. فالرجل الداعشي رجل جاد ويجارب أعداء الإسلام وهو بطل لديه قضية في مقابل الرجل الغربي الذي لم تعد المرأة الأوروبية ترى فيه ملامح البطولة. الرجل الداعشي أيضا رجل صادق ومضحى فهو على استعداد للموت في سبيل ما يؤمن به مما سيجعل منه حتما - كما تظن المرأة- أنه سيكون زوجا صادقا ومضحيا تجاه زوجته. كل ذلك يجسد ملامح "الرجل المثالي" خاصة في المجتمع الغربي الذي أصبح يتسم بهشاشة متزايدة وعدم استقرار فيما يتعلق بالعلاقات بين الرجال والنساء.<sup>178</sup> تجد الفتاة نفسها على استعداد بالقبول بألا تكون مساوية للرجل في المجتمع الداعشي مقابل تمتعها بعلاقة زواج تضمن لها شعورا بالأمان والثقة في كنف رجل يعرف كيف يقهر أعداؤه ويحمي زوجته. وهنا يحدث اختلاط في وعي الفتاة بين صورة ساذجة للحب الرومانسي وبين الحرب والعنف وتصبح الحرب ثمنا للشعور بالحب والأمان. قد صرحت إنيس دى فيو مخرجة الفيلم الوثائقي "ما وراء النقاب" والتي التقت فيه عدة فتيات أوروبيات انضمامن لداعش، قائلة: "إن النساء اللائي كن يشاركن معها في التصوير مهووسات بالزواج ولأنهن لم يجدن فارس أحلامهن اتجهن إلى سوريا".<sup>179</sup>

بالإضافة إلى أن الحرب في حد ذاتها، تعد مصدر إعجاب خاصة للمراهقات أو اللائي يعشن مراهقة متأخرة، فبالنسبة لهن الحياة في ظل ظروف الحرب هي مغامرة مثيرة وأخذ أدوار في هذه الحرب هي أشياء تشعرهن بالقيمة والرضا وهو ما كن يفتقدونه في مجتمعاتهن. من هذه الأدوار: على سبيل المثال أن الداعشيات الغربيات مسئولات عن النساء التي أتخذهم الرجال سبايا ويتم استخدامهم لإمتاع الرجال جنسيا. نساء داعش مسئولات أيضا عن فرض تطبيق أحكام الشريعة على غيرهن

178Farhad Khosrokhavar, Qu'est ce qui pousse ces jeunes filles à rejoindre Daech, LE HUFFINGTON POST, 3 April 2015, in <http://is.gd/3iwFw6>

179 رنيم حنوش، مغريات "داعش" للشباب... بين الخيال والواقع المرء، الشرق الأوسط، 8 مارس/آذار <http://is.gd/yLTEkO> 2015

من النساء فهن أعضاء في كتيبة الخنساء النسائية المسئولة عن تطبيق الشريعة، يوجد في هذه الكتيبة حوالي 60 بريطانية تتراوح أعمارهن ما بين 18-24 عاما.<sup>180</sup>

**ختاما،** من كل ما سبق يمكن القول إنه مهما تعددت الأسباب التي أتت بالشباب من أنحاء العالم للانضمام إلى داعش، فكل شاب منهم هو بمثابة قنبلة انفجرت في وجه العالم أجمع لتجعل الجميع يراجع أخطاؤه فهؤلاء الشباب لا سيما المراهقين منهم هم أشخاص يعانون من فقدان الهوية وعدم الشعور بالأمان وعدم القدرة على التحقق والشعور بالاغتراب داخل أوطانهم فما كان منهم إلا أن ذهبوا للموت. هذا لا يعنى على الإطلاق عدم تحملهم للمسئولية كاملة وإنما يعنى ذلك أنه على الدولة والمجتمع بأكمله ألا يتوصلا من مسؤولياتهما. فالأوطان التي تموت فيها قدرة الشباب على الحلم، يموت فيها المستقبل.

---

180 محمد متولى، "لواء الخنساء" شرطة تنظيم "داعش" الجديدة للنساء فقط، الوطن، 15 سبتمبر/أيلول 2014

## لماذا يسافر الشباب للقتال في مناطق النزاع من منظور الثقافة والهوية؟ (بالطبيق على السلفية الوهابية)

شريف محيي الدين

يعد سفر مئات الشباب من أنحاء مختلفة من العالم وحملهم السلاح في مناطق النزاع بمبادرة فردية أو تشبيك لجماعات بعينها دون انخراط كامل لدولهم في النزاع الدائر. أمرا قديما متجددا، ففي الصراع المرير في البوسنة والهرسك (1992 - 1995)، وفي أفغانستان أثناء مواجهة اعتداء الاتحاد السوفيتي (1979 - 1989)، ثم مؤخرا مع شن التحالف الأمريكي - البريطاني الحرب عليها عقب أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001. وأخيرا وليس آخرا الصراع المسلح الذي نتج عن القمع الوحشي لنظام (بشار الأسد) للثورة السورية التي كانت سلمية في بداياتها (2011 - حتى الآن). كل هذه المناطق وغيرها لم تخل أحداثها العنيفة من التحاق مئات وأحيانا آلاف الشباب من العديد من دول العالم للقتال الدائر هناك.

ويرجع اتخاذ قرار هؤلاء الشباب للسفر والالتحاق بالقتال للعديد من الأسباب والدوافع والسياقات المختلفة والمتشابكة، تنطلق فرضيتنا الرئيسية في هذه الورقة أنه لا يمكن تبسيطها لدافع بعينه. لكن في نفس الوقت لا يمكن إنكار أن هناك طابع ثقافي وهوياتي رئيسي في دوافع اتخاذ هذا القرار. ونقوم بمحاولة استكشاف وفهم لمدى تأثير الخلفية السلفية الوهابية لبعض الشباب المؤمنين بها في السفر إلى (الجهاد) حسبما يرونه، وهذا لا يعني بالطبع أنهم هم الوحيدون الذين لديهم تلك الدوافع. وإنما يأتي التركيز عليهم كحالة بارزة ورئيسية لا يمكن تجاهلها.

### أهمية الجهاد في التراث السلفي

يأتي التأكيد على أهمية (الجهاد في سبيل الله) وعظمتها في التراث السلفي في مرتبة عليا. ويستدل دوما بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - أن "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله".<sup>181</sup> وقد جاء تأكيد

181 رواه الإمام أحمد في (مسند الأنصار) من حديث معاذ بن جبل برقم (21511)، والترمذي في (الإيمان)

المفتي السابق للملكة العربية السعودية (عبد العزيز بن باز) على ذلك معتبرا أن " الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين، وقمع الكافرين والمنافقين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين".<sup>182</sup>

بل إنه من المدهش استشهاد (ابن باز) ببعض أبيات الشعر التي توحى بأن السيف كان عاملا رئيسيا في إسلام الكفار بمكة واستسلامهم بدلا من الدعوة. وقد ذكر أن تلك الأبيات للشاعر، وتروى أنها لـ(حسان بن ثابت) رضي الله عنه:

**دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب      وقد لان منه جانب وخطاب**  
**فلما دعا والسيف صلت بكفه      له أسلموا واستسلموا وأنابوا**<sup>183</sup>

ويتفق ذلك كثيرا وبشكل مذهل مع ما جاء في كلمة (أبي محمد العدناني) المتحدث باسم تنظيم (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، والمعروف باسم (داعش) والتي بدأها بـ"الصلاة والسلام على من بعث بـ(السيف) رحمة للعالمين" وذلك في كلمة معنونة باسم "قل للذين كفروا ستغلبون".<sup>184</sup>

ويختلف تفسير آيات القرآن اختلافا كبيرا بحسب العلماء والمذاهب المختلفة، ففي أحد أهم الآيات بخصوص القتال في سبيل الله، وهي الآية (190) من سورة البقرة "وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" جاء تفسير الإمام (محمد عبده) لها أنه لا يمكن فصلها عن سياقها ولا الآيات التالية لها، والتي كانت محصلة تفسيرها عنده وسبب نزولها هو "إباحة القتال للمسلمين في

باب ما جاء في حرمة الصلاة برقم (2616).

182 فتاوي الشيخ (عبد العزيز بن باز)، جهاد حاكم العراق واحب على

281 الدول الإسلامية لإنقاذ إخوانهم من الظلم، الجزء رقم: 18، الصفحة

183 عبد العزيز بن باز، فتاوي بن باز، المجلد الثامن عشر كتاب الجهاد، ليس الجهاد للدفاع فقط.

<http://is. gd/05Njll>

184 الكلمة الصوتية لأبي محمد العدناني قل للذين كفروا ستغلبون، <http://is. gd/C50Qz1>

الإحرام بالبلد الحرام والشهر الحرام إذا بدأهم المشركون بذلك".<sup>185</sup> وفي مجمل تفسيره يذكر بأن "لا تعتدوا" بالقتال فتبدءوهم ولا في القتال فتقتلوا من لا يقاتل كالنساء والصبيان والشيوخ والمرضى، ولا بغير ذلك من أنواع الاعتداء كالتهريب وقطع الأشجار. ويكون الاعتداء مرتبطاً هنا بالرد على اعتداء الكافرين، ولا بد أن يتوقف إن انتهوا عن عدوانهم. وهو ما جاء في نهاية الآيات التالية "فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم" (الآية 192)، و"...فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين" (الآية 193).

أما (ابن باز) فيذهب إلى تفسير مغاير لهذه الآية وينفي أن يكون الغرض منها كما قال بذلك بعض السلف من أن يكون الأمر في هذه الآية بقتال من قاتله والكف عن من كف عنه، بل أمر بالقتال للذين يقاتلون أي من شأنهم أن يقاتلوا ويصدوا عن سبيل الله وهم الرجال المكلفون القادرون على القتال بخلاف الذين ليس من شأنهم القتال كالنساء والصبيان والرهبان. ويؤكد في مقال معنون بأن "ليس الجهاد للدفاع فقط" على أن الآية التالية "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله..." (الآية 193) أنه أراد قتال الكفار لا من قاتل فقط بل أراد قتال الكفار جميعاً حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة والفتنة في تفسيره هي الشرك.<sup>186</sup>

ويشدد الإمام (محمد عبده) في تفسيره للقرآن على أن هذا النوع من التفسيرات فيه تحميل للآيات ما لا تحمل، "فالكلام فيها متصل ببعضه ببعض في واقعة واحدة فلا حاجة إلى تمزيقه،...ومن حمل الأمر بالقتال فيها على عمومته ولو مع انتفاء الشرط. فقد أخرجها عن أسلوبها وحملها ما لا تحمل".<sup>187</sup>

### الوهابية كثورة وتأسيس دولة ثم كنزعة يمينية شديدة المحافظة

يعتمد منهج محمد بن عبد الوهاب على ثلاثة أمور ذكرها ابن باز، قائلاً بأنها مثلت أسباب العداوة والنزاع بينه وبين الناس:<sup>188</sup>

185 محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول: في تفسير القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009. ص 485

186 عبد العزيز بن باز، مرجع سابق

187 محمد عبده، مرجع سابق

188 عبد العزيز بن باز، الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، <http://is.gd/LWBk1x>

أولاً: إنكار الشرك والدعوة إلى التوحيد الخالص.

ثانياً: إنكار البدع، والخرافات، كالبناء على القبور واتخاذها مساجد ونحو ذلك كالموالد والطرق التي أحدثتها طوائف المتصوفة.

ثالثاً: إنه يأمر الناس بالمعروف، ويلزمهم به بالقوة فمن أبي المعروف الذي أوجبه الله عليه، ألزم به وعزر عليه إذا تركه، وينهى الناس عن المنكرات، ويزجرهم عنها، ويقيم حدودها، ويلزم الناس بالحق، ويزجرهم عن الباطل وبذلك ظهر الحق وانتشر، وكبت الباطل وانقمع.

وفي فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية لما سئل عن الجهاد في أفغانستان قال: "الجهاد في الأفغان من أفضل الجهاد، وهو جهاد شرعي، جهاد في سبيل الله، جهاد لأخيب دولة، وأكفر دولة التي هي الدولة الشيوعية، فينبغي للمسلمين أن يدعموا هذا الجهاد، بل يجب عليهم أن يدعموا هذا الجهاد، وأن يساعدوا المجاهدين بالنفس والمال، ولا سيما الدول الإسلامية والأغنياء والأثرياء يجب أن يدعموا هذا الجهاد، وأن يساعدوا المجاهدين، ويجب على من تيسر له أن يجاهد بنفسه أن يشارك في هذا الخير العظيم؛ لأنه عمل صالح وجاهد لأخيب دولة وأكفر دولة، وفيه حماية لبلاد المسلمين وصيانة لبلاد المسلمين، ومساعدة للمظلومين والمنكوبين من إخواننا الأفغان المجاهدين والمهاجرين منهم. فالواجب على جميع المسلمين على جميع الدول الإسلامية أن يعنوا بهذا الجهاد، وأن يولوه غاية العناية وأن يدعموا بما يستطيع من مال ونفس".<sup>189</sup>

وانطلاقاً من هذه الفتوى وغيرها فإن السفر إلى مناطق النزاع التي يقع فيها اضطهاد وظلم وقتل للمسلمين للجهاد والقتال فيها ودفع المعتدين حتى يكفوا إنما هو من الأمور الواجبة على المسلمين لا من قبيل الرفاهية. وجدير بالذكر أنه رغم وضوح هذا الاتجاه في الفكر السلفي، فإن هناك اختلافات كثيرة مع كل نزاع، كما أن هناك تسييس لدعاوي الجهاد، وخصوصاً في المملكة العربية السعودية منشأ هذا الفكر. فمؤخراً في 3 فبراير/شباط 2014 أصدر الملك عبد الله بن عبد العزيز أمراً ملكياً،

189 عبد العزيز بن باز، كلمة حول الجهاد في أفغانستان، <http://is.gd/A2BerR>



يتم بموجبه " معاقبة كل من يشارك في الأعمال القتالية خارج السعودية، أو ينتمي إلى الجماعات الدينية أو الفكرية المتطرفة، أو المصنفة كمنظمات إرهابية داخلية أو إقليمياً أو دولياً".<sup>190</sup> وبذلك تمنع المملكة أي قتال لمواطنيها في سوريا أو اليمن أو أي دولة أخرى. ويأتي ذلك بعد منع دام أكثر من 10 سنوات لأي سعودي من السفر إلى العراق مع الغزو الأمريكي في 2003. وهو الأمر المشابه لمنع السعوديين من السفر إلى البوسنة والذي صدر في 1994 إثر سفر شبان سعوديين للمشاركة في الاقتتال الدائر هناك بدافع الجهاد عن "الإبادة التي يتعرض لها الشعب البوسني المسلم".<sup>191</sup> وهو ما يكشف عن أن الدولة التي نبع منها المذهب وقام (محمد بن عبد الوهاب) مع (عبد العزيز بن سعود) بتأسيسها كدولة من الأصل. لا تتوانى عن تسييس المنهج وإتاحة وتسهيل دعاوى الجهاد عندما تتفق مع مصالحها،<sup>192</sup> كما جاء في السماح بالجهاد ضد (صدام حسين) عقب اجتياحه (الكويت) أو في (أفغانستان) ضد التدخل السوفيتي في 1979 ولم يحدث الأمر نفسه مع التدخل الأمريكي في 2001.

### لماذا يسافرون إلى مناطق النزاع؟

#### ● الجهاد فريضة وذروة سنام الإسلام

وهو ما سبق وأوضحناه، ويأتي أيضاً على سبيل المثال ما قاله (أيمن أبو عبد الرحمن) المتحدث باسم المجاهدين العرب في البوسنة في إجابة للتساؤل حول تهمة تحريض الشباب المسلم للسفر إلى الشيشان وكوسوفو، أن "هذه تهمة تشرفنا، لأن هذا فرض فرضه الله - سبحانه وتعالى - علينا ولم نرضه نحن، هذا فرض من الله.

190 جريدة الشرق الأوسط، أمر ملكي سعودي يعزز مكافحة الإرهاب داخلية... ويحرم القتال خارجياً، 4 فبراير/شباط 2014 العدد 12852 <http://goo.gl/KSrbvWK>

<http://goo.gl/1MWC1J>

192 على سبيل المثال فإن مفتي المملكة العربية السعودية الحالي (عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ)، والذي تولى بعد وفاة عبد العزيز بن باز في 1999 لا توجد له فتاوى تؤكد على الجهاد بالشكل الذي كان يجب به ابن باز من قبل. بل عند سؤال (عبد العزيز بن عبد الله) في أحد الفتاوى عما حكم من يقول: إن الكفار إذا دخلوا شبرا من أرض المسلمين يكون الجهاد فرض عين؟ كان رده مبهما وليس قاطعا بالقول بأن "يا أخي، هذه الأمور إنما ينظر إليها ويقرها من يعيش فيها؛ فهي أمور تخص قومها، وتخص من ابتلي بها" <http://is.gd/qRtd2D>

ونحن واجبنا أن نحرض الشباب المسلم وليس فقط البوسنة... الشباب المسلم في العالم كله أن يذهب لنصرة المسلمين في أي بقعة من بقاع الأرض يقع عليها ظلم للمسلمين، وتدمير، وتشريد، وقتال، واغتصاب لحقوق المسلمين".<sup>193</sup>

### ● القلق والغيرة على الإسلام ومذهب أهل السنة والجماعة (السلفي)

يذكر (محمد المختار الشنقيطي) في كلمة له بعنوان (السلفية والمزاج الحنبلي) أن "من ملامح المزاج الحنبلي، القلق على الإسلام، وإقلاق للمسلمين. وأقصد بذلك أن الحنبلية إذا نظرنا لها كحركة اجتماعية... تحمل دائما قلقا على حال المسلمين وغيره وحرقة على ما يعانين منه المسلمون، هذا القلق طبعا قلق إيجابي. ما لم يتحول إلى قلق مرضي. لكنه أحيانا يتحول إلى إقلاق للمسلمين الآخرين - وإن بحسن نية- من شدة الإنكار أو الجفاء عليهم لغير ذلك".<sup>194</sup> وينطبق ذلك أيضا إلى حد كبير في الحالة المصرية في أعقاب اندلاع الثورة الشعبية في يناير/كانون ثان 2011 والتي أطاحت بالرئيس (حسني مبارك). إذ يمكن استشفاف توجهه في الخطاب الإسلامي والسلفي على وجه الخصوص في المرحلة الانتقالية، أن الصراع السياسي الدائر، ما هو إلا صراع على الهوية وليس صراعا مع النظام القديم لإسقاطه وبناء نظام آخر جديد. وهو ما يمكن ملاحظته من خلال خطابات عديدة من المنتمين إلى التيارات الإسلامية، مثل أحداث الحرق والهجوم على الكنائس في أطفح وإمبابة، حيث تورط أحد المشايخ في خطاب تحريضي لأعلى درجة في أحداث كنيسة إمبابة، وما تلفظ به الداعية وجدي غنيم من ألفاظ مسيئة، إذ أتهم من لسانه السباب على أقباط المهجر والمتعاونين معهم في الداخل المصري.<sup>195</sup> كل هذا العنف الشديد على المستوى اللفظي والخطابي ينطلق في مخيلتهم من دافع الغيرة على الإسلام! وهو نفس الدافع الذي يدفع البعض أيضا للذهاب للجهاد في أفغانستان أو العراق لنصرة الإسلام ضد

193 الجزيرة نت، أيمن أبو عبد الرحمن...المجاهدون العرب في البوسنة، برنامج لقاء اليوم، بتاريخ أول سبتمبر/أيلول <http://goo.gl/oVVtG9> 2000

194 السلفية والمزاج الحنبلي، محمد المختار الشنقيطي، نشر على موقع اليوتيوب بتاريخ 27 يناير/كانون ثان <http://is.gd/DQBecQ>, 2015

195 شريف محي الدين، علاقة الخطاب الإسلامي بنظام الحكم وآليات التغيير في مصر، في "الخطاب الإسلامي وإعادة تأسيس المجال العام"، القاهرة: مركز دال للأبحاث والإعلام، 2014

هجمات "الكفار" أو نصره المذهب السني أحيانا ضد النظام السوري الشيعي العلوي.

## ● تخاذل الدول الإسلامية عن نصره المسلمين يلقي عبئا أكبر على

### الأفراد

وتعد هذه الحالة عائقا أمام الشباب المجاهدين، وفي نفس الوقت عاملا محفزا بالنسبة لهم للقيام بما قصرت فيه دولهم ومجتمعاتهم. ومن تبعات ذلك نشوء الحالة الجهادية المتشردمة حاليا من دون سيطرة للدول أو غطاء من جانبها كما كانت الحالة لدى السعودية ومصر وقت العدوان السوفيتي على أفغانستان في 1979. فعلى الرغم من تسييس الدول لحالة الجهاد حينها، إلا أن الغطاء الذي أعطته الأنظمة للحالة الجهادية، وخروجها إلى السطح ساهم في جعلها أكثر تنظيما، حتى بعد انتهاء الحرب السوفيتية في أفغانستان وسحب الدول لغطائها لشبابها المجاهدين واستقبالها للعديد منهم في السجون. إلا أن ذلك الغطاء ساهم في جعل الحالة الجهادية أكثر تنظيما بعكس الانسداد حاليا والذي يؤدي أحيانا ضمن عوامل أخرى لمزيد من تطرف مجموعات من الشباب ضد أنظمتهم، بدعوى أنها تقف في طريق الجهاد، وتحارب شريعة الإسلام.

### خاتمة:

يتضح جليا أن الأبعاد الثقافية والهوياتية مهمة للغاية في تحليل دوافع ذهاب الشباب إلى القتال في مناطق النزاع بدعوى (الجهاد)، إذ بالتطبيق على حالة السلفية الوهابية، فإن المناهج التي يتم تكريسها حافلة بتعظيم للجهاد، وكذلك الفتاوى التاريخية التي صدرت من المفتي العام للمملكة العربية السعودية (عبد العزيز بن باز) من دعوة وتكريس للسفر إلى الجهاد في العراق ضد (صدام)، وقبلها في (أفغانستان) ضد (الاتحاد السوفيتي). وذلك بخلاف التراجع السياسي حاليا لدى السعودية من السماح بسفر مواطنيها للقتال في دول أخرى. وهو ما يمكن أن يكون عاملا إضافيا في مزيد من تطرف بعض الشباب الحاملين للمنهج، لما يجدونه من مفارقة بين المنهج والتطبيق، وتسييس الدولة السعودية لمسألة (الجهاد) وفقا لمصالحها.

إضافة إلى كل ذلك، فإن المزاج الحنبلي الذي يتسم به المنهج السلفي، ودوافع الغيرة على الإسلام جنباً إلى جنب مع التفسير الواسع لآيات الجهاد في القرآن الكريم. يزيد من إمكانية تشكيل بيئة ووعي خصب لدي العديد من الشباب الذين يحملون المنهج، ويجعل لديهم القابلية للسفر إلى الجهاد، حتى لو أصدرت الدول التي تأسست على هذا المنهج قراراً بحظر ومنع سفرهم إلى هناك.

### المراجع:

- الجزيرة نت، أئمن أبو عبد الرحمن...المجاهدون العرب في البوسنة، برنامج لقاء اليوم، بتاريخ أول سبتمبر/أيلول 2000. <http://goo.gl/oVVtG9>
- الحياة، رفع حظر سفر السعوديين إلى العراق والبوسنة...بشروط، 15 مايو/آيار 2014 <http://goo.gl/1MWC1J>
- الشرق الأوسط، أمر ملكي سعودي يعزز مكافحة الإرهاب داخليا...ويحرم القتال خارجيا، 4 فبراير/شباط 2014 العدد 12852 <http://goo.gl/KSrbvW>
- الكلمة الصوتية لأبي محمد العدناني قل للذين كفروا ستغلبون، <http://is.gd/C50Qz1>
- د. محمد المختار الشنقيطي، السلفية والمزاج الحنبلي، نشر على موقع اليوتيوب بتاريخ 27 يناير/كانون ثان 2015، <http://is.gd/DQBECQ>
- شريف محيي الدين، علاقة الخطاب الإسلامي بنظام الحكم وآليات التغيير في مصر، في "الخطاب الإسلامي وإعادة تأسيس المجال العام"، القاهرة: مركز دال للأبحاث والإعلام، 2014
- فتاوي الشيخ (عبد العزيز بن باز)، جهاد حاكم العراق واجب على الدول الإسلامية لإنقاذ إخوانهم من الظلم، الجزء رقم: 18.
- عبد العزيز بن باز، الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، <http://is.gd/LWBk1x>
- عبد العزيز بن باز، فتاوي بن باز، المجلد الثامن عشر كتاب الجهاد، ليس الجهاد للدفاع فقط. <http://is.gd/05NjII>
- عبد العزيز بن باز، كلمة حول الجهاد في أفغانستان، <http://is.gd/A2BerR>
- عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، حكم من يقول إن الكفار إذا دخلوا أرض المسلمين شبرا، الموقع الرسمي لمفتي المملكة العربية السعودية، <http://is.gd/qRtd2D>
- محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول: في تفسير القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009

## أسباب إلحاق الشباب بجماعات العنف من منظور الثقافة والهوية

لماذا يلتحقن بـ"داعش"؟ "دابق" تخبر قصة سياق معلى<sup>196</sup>

### سحر مندور

لا يلتحق الشباب بجماعات العنف من منظور الثقافة أو الهوية، هكذا، بتفرد عن كل وجه آخر من أوجه الحياة، تلك الخاصة بكل منهم-ن وتلك الدائرة بنا وحولنا. ولكن أيضا، يلتحق الشباب بجماعات العنف، وهنا أعالج حالة "داعش"، ضمن خصوصيات، وبناء على حملات دعوة تصوغها لهم-ن خطابات العنف، وتحكي عبرها مواطن إقناع فيهم-ن على مستوى من مستويات الهوية. تبني تواطؤا معها.

وهي خطابات منغمسة في الدين، تسوقه كمنهل الثقافة وأساس الهوية. لكنها أيضا تقع على خطوط الصراعات العالمية، في الاقتصاد والاجتماع والحروب وسواها. وهي تنسب لنفسها سياقاً تاريخياً في تنظيم المجتمع على قاعدة الخلافة، فتكون حاضره. إن هذه الخطابات لا تأتي بمجهول، وإنما تنسق معلومات متاحة وتتموضع في سياقات معلومة، مألوفة. ومع ذلك، يهشم الإعلام قيمة مضمونها، إما عبر تلقي تصويراتها بصدمة مستدامة منذ أكثر من عام أو عبر حصرها بتعريف خطي رد-فعلي يتخفف من تقاطعية سردية "داعش" وتشابكها. ما يصد إمكانية تأطير معرفة حول كيفية تشكل "جماعات العنف" هذه، ويعيق فهم موقعها من سياقات العالم القائم.

في هذه المقالة، سأعالج هذه المسائل بالاستناد إلى مثال "داعش"، وأختار مقارنته عبر "دابق"<sup>197</sup>: المجلة الإلكترونية الفصلية التي تصدرها "داعش" بعدة لغات

---

196 المعطيات الواردة في هذه الورقة حول "دابق" تستند إلى نتائج بحث ماجستير أجريته في "مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية" (سواس) في جامعة لندن، المملكة المتحدة. وهي بحملها مدعمة بأمثلة من دراسة أجريتها لأعداد المجلة العشرة حتى يوليو/تموز 2015، مع تركيز على المقالات الأربعة المنشورة حتى حينه في الزاوية المخصصة للنساء التي أضيفت إلى المجلة في عددها السابع الصادر في يناير/كانون ثان 2015.

197 صدر العدد الأول من "دابق" في يوليو/تموز 2014، عن "مركز الحياة للإعلام" الخاصة بـ"داعش"

منها الإنكليزية. ساركرز على خطاب النساء الملتحقات بـ"داعش"، بعد عرض سريع لآلية المتبعة في "فهم دوافعهن" في الإعلاميين السائدين (ماينستريم)، الغربي والعربي.

نادرا ما يقارب إعلام "داعش" كمصدر للمعلومات، وفي ذلك تفاد مفهوم لتطبيع وجود هذه "الدولة"، ولكن أيضا تفاد للتعامل مع موقع اتسع لها ضمن النظام العالمي. من المفهوم أن تشكل "داعش" موضوعا منفرا لقسوة الجريمة التي ترتكبها، ومن الصعب تقبل وجودها كواقع مهما قصرت مدته أو طالت. لكن جهود البحث والإعلام لا تشبه انفعالات الفرد، ولا تكون إلا بمعالجة واقعها. ومهما كان الكامن خلف نشأة "داعش" من مخبرات أو عدمها، من مؤامرات أو عدمها، فإن أحد أسباب "بقائها وتمددتها"<sup>198</sup> على مستوى الاستقطاب، يأتي من قدرة خطابها على الجذب. هناك شباب يشدهم هذا الخطاب. هناك شبابت يتفاعلمن مع هذا الخطاب. لذلك، وليس لموضوعيته الاستقصائية (!)، هو خطاب يستحق أن يقرأ بتأن ويتابع بانتباه شديد، لأنه الأكثر التصاقا بيننا بأسباب التحاق الشباب بمجموعات العنف. فهو الذي يقنعهم-ن بالتحاق شبيهه.

### سؤال يصد سبل إجابته

في الإعلاميين السائدين في الغرب الأوروبي - الأمريكي والعربي، سادت طويلا ولا تزال تهيمن على الخطاب صدمة من ممارسات "داعش" على مستوى النساء، إن لجهة جرائمها بحقهن كالحال مع الأيزيديات ونساء الأراضي التي يجتاحونها، أو لجهة قرار مجموعات من النساء هجر حيواتهن في بلاد أخرى والالتحاق بالتعريف والدور المخصصين لهن في "الدولة الإسلامية". وإذا كان الاستغراب يأتي أقل لما تقرر "الهجرة" نساء من تونس مثلا، فالصدمة تبدو أشد أمام نساء من لندن يقدمن عليها. الأولات يقرأن بعين المغالاة بالعلاقة مع سياقات المنطقة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، فتبدو "الهجرة" إلى "داعش" تفاقما في سياق مفهوم ضمينا. أما الثنائيات فيعجز الفهم السياقي أمامهن لو كن بيضاوات شقراوات،

198 عنوان غلاف "دابق" الأول هو "الهجرة إلى الخلافة، علما أن تعبير "لهجرة" في المجلة يأتي محملا بمعاني ودلالات الهجرة النبوية في عصر الدعوة، ويستحضرها مباشرة في سياقات الحث على الالتحاق.

وتفسر دوافعهن أحيانا بسذاجة المراهقة. وإذا كن من أجيال الشتات العربي و/أو الإسلامي فيفهمن إما بالدين أو بتناقضات الهوية والدياسبورا. الخطوط السببية السريعة هذه تربط قرارات الالتحاق بـ"داعش" بمناخ دينية واجتماعية وهوياتية وسياسية، ولو إنها تبقى خطوطا تسطيفية وتعميمية في السعي للفهم. لكن، هذا الربط لا يستثمر ولا يذهب البحث فيه إلى أبعد في الإعلامين السائدين، وإنما يستعاض عن التعمق بالقفز السريع إلى الاستثناء: الملتحقات هن الاستثناء المصاب.

التطور الذي أصاب الحيوانات وقادها نحو "داعش" يقدم كاستثناء يصيب السياقات في عالم اليوم. فائض الدين، الغضب، التبعية، الجهل، "جنون" المراهقة... أحيانا، يفسرون -رن جميعا بالفقر. فننتفض ضد تجريم الفقراء. يدان الدين كمصدر عنف، ويجد خطابا يبرئه كجوهر أصيل أبيض طهراني، كشريك إيجابي في دنيا المحبة الروحانية المهيمنة عالميا. قواعد جندرية واقتصادية ودينية وسواها تستدعي لاستحالة القدرة على تجاهلها، لا يمكن تفاديها، لكنها تستدعي لتبرأ من دورها في إنتاج العنف وإعادة إنتاجه، وتبرئ معها النظام العالمي القائم عليها. تبرأ بواسطة خطاب الصدمة، أساسا. مقارنة "داعش" بالصدمة الإعلامية المستدامة تقول إن العالم قبل "داعش" لم يكن يشي بأي إمكانية لوجود "داعش"، وتكمل: المتطرفون- ات هم-ن الاستثناء، بينما القواعد ستبقى حاملة المسؤولية في التأديب وحفظ السلم والمحبة. وإن أخطأت حتى أنتجت جماعات العنف، فهي تبقى قابلة للإصلاح. التنظيم وحش، ظلامي، أتانا من العصور الوسطى، لا صلة تربطه بنا، نحن أنقياء منه، وعالمنا بريء منه، ونظام عالمنا -شرقا وغربا- هو الضمانة في مواجهته، وليس أبدا سياقاً لوجوده.

في مقابل استقرار الصدمة في الإعلامين السائدين، تأتي الخطابات المعارضة للسائد لتشدد على ربط "داعش" بعالم اليوم، لكنها تقدم "داعش" ككيان أنجبته جهة واحدة هي مسؤولة عن توليد جماعات العنف: الإسلام، الحداثة الغربية، الكولونيالية والنيوكولونيالية، الديكتاتورية، المال الخليجي، خريطة الشرق الأوسط الجديد... وإذ تبقى هذه العوامل المستدعاة كلها منغمسة في صناعة العالم الذي تنتمي "داعش" إليه، بخصوصياتها كما بتحالفاتها وتداخلاتها، فإن هذه الخطابات

تنتخب واحدا منها. تفترض عملية خلق لـ"داعش"، بسبب واحد أو سببين يتلاقيان، تصب في قراءة سياسية لحال اليوم وتخدم موقفا ضمنها. فيعود الملتحقون والملتحقات بـ"داعش" إلى الخدمة كأدلة على خطاب، يساقون-ن كضحايا حيناً وكـ"زومبيز" أحيانا.

عند هذه النقطة، من الهام الإشارة إلى أن الإنصات إلى "داعش" يفيد بشكل جذري في عملية فهم دوافع الالتحاق، ولا يفترض حتى إمكانية تبرير عنف "داعش" بحق الناس. لكن قرار الإنصات يتطلب أولاً الاعتراف بوجود خطاب مركب يغري بعضاً من البشر، هنا وهناك، من العراق وسوريا، إلى تونس وباريس ولندن، فالشيشان مثلاً. إن مجلة "دابق" الإلكترونية التي تصدرها "داعش" فصلياً مكرسة أساساً لحث الناس على "الهجرة" نحو "الدولة الإسلامية". تشهر خطاب تعبئة معلن، مانيفستو فصلياً، موجهاً لهم-ن يأمرهم-ن بالـ"الهجرة"، يقنعهم-ن بموجباتها.

إن خطاب "داعش" يتعرض عادة للنفي الإستخفائي في الإعلام السائد. إذ غالباً، لا تستدعى مواد "داعش" الإعلامية إلا لتقدم صور الجريمة فتعزز الذعر والصدمة المحققين، أو كمقتطفات من خطابات تثبت وحشية الكائن الهمجي الذي يتوعد العالم بالدمار. وهو فعلاً يتوعدنا بذلك. إلى ذلك، حكي الكثير عن تطور تقنيات إعلام "داعش"، وغرابة امتلاكه لمعرفة هي درة العالم الحديث (وسائل التواصل الحديثة). بالنتيجة، فإن صوت "داعش" وصورتها تعالجان في معظم الأحيان كحالة تستوجب الدراسة، لكن قليلاً ما ينظر إليهما، ولو بشكل مستقطع، كحالة تتبنى جرميتها، و"تعرف" كيف تحكي عنها. قليلاً ما يتم التعامل مع إعلام "داعش" كحامل لمسؤولية ما يقوله، وليس فقط ما يفعله. واحدة من أخطر نتائج ذلك هو تبرئة الكل وتجريم الاستثناء الانتحاري الذهاب أساساً إلى مقتله. هذا الاستثناء جرمي طبعاً، لكنه لا يختزل سياق الجريمة. إن من يقصدون-دن "داعش" يذهبون-بن إلى حتفهم-هن. هذا ما تدعو "دابق" إليه وتعبدته. هل يلتحق جميع هؤلاء لمعرفتهم-ن المفصلة بأسرار نشأة هذا التنظيم الإرهابي؟ وقبله "القاعدة"؟ وقبله سواهها؟ أم أن الالتحاق بـ"داعش" يتم لرغبة بالالتحاق بـ"داعش"، مثلما تقدم نفسها بالكلام والأفعال. وتجاه هذا الخطاب الخاص بها، "داعش" تعنى بأن تبرهن مصداقيتها.



## خطاب علي دعامات ثلاث

"دابق" تحوي زاوية مخصصة للنساء. بدأ اسمها "إلى أخواتنا" مع صدورها الأول في العدد السابع من "دابق"، ثم أصبح "من أخواتنا" في العددين 9 و10، بدلالات كثيرة على مستوى مصدر الصوت كما تعريفهن. تكتب الزاوية باسم امرأة واحدة، أم سمية المهاجرة. وهي إذ تلتزم في هيكلية مقالاتها بالبناء العام المعتمد في كل مقالات "دابق"، تراها تتبنى أيضا ممارسات القمع الجندي كدليل اعتداد واقتناع ومواجهة. يخضن الحرب ذاتها.

في لحظة بناء دولنا القومية بعد رحيل الاستعمار، كانت الخطابات الرسمية تعزز مواطنة المرأة وتواجه بها تهم الاستعمار للدول الناشئة بالتخلف. هذه المواطنة بقيت قابلة للتفاوض والإقصاء والمعاقبة على المستوى الداخلي، تبعا للظرف السياسي وحساسياته، في ظل نضال نسائي مستمر. وهو مثال تكرر بخصوصيات مختلفة ودرجات متفاوتة في تجارب الربيع العربي، حيث تركزت الصورة على حضور النساء، احتفى العالمان بهن وحمل حضورهن دلائل على ثورة تؤيد المساواة. وهن أساسا تائرات حازمات كسواهن من الثوار. كان ذلك قبل أن يسحبن إلى داخل "الخط الأحمر" الدال على الحماية، ثم يسحلن ويغتصبن ويقاومن حدود الإقصاء التي تحل كاستعادة. هن سياقات مستمرة في الاشتباك مع هذا المد والجزر الذكوري المستمر. وتأتي اليوم المواجهة مع "داعش"، ليكون فيها استخدام النساء بديها إن من قبلها أو في مواجهتها.

هنا، تأتي الصدمة في موضع محق نظرا لفداحة "داعش". لكنها أيضا تغسل عن وجه العالم القائم ملامح "داعش" فيه. في أدبيات نظرية "صراع الحضارات" لصموئيل هنتنغتون (2002)، ومرجعية برنارد لويس الغربية في "الإسلام"، ثم خطابات آل بوش حول الحرب على الإرهاب وإنقاذ النساء المسلمات، وصولا إلى بعض الخطابات السياسات الغربية الفوقية والعنصرية تجاه الإسلام الأوروبي، تم رسم بورتريه للمرأة المسلمة سابق لـ"داعش"، وتحضر فيه حرفيا صفات منسوبة اليوم حصرا لـ"داعش" (كالاستعباد الجنسي، مثلا). وبالانتقال إلى دولنا العربية، يحضر الرجم بالحجارة، الختان، جرائم الشرف، العنف الزوجي، الاغتصاب الحربي و/أو التأديبي... كأخبار

يومية. "داعش" اختزلت كل هذه الممارسات في وجودها، افتخرت بها، فاقمتها بشدة، شددت على صوابها، وكفرت سواها. بذلك، هي تحشر في العين المشاهد المنفر. بوضوح لا يحتمل التشكيك، تقول "دابق" وتكرر إن "الدولة" هي العدو المطلق لهذا العالم، وكل ما هو خارج جغرافيا "الدولة" باطل يستحق مقتله. حتى النساء الحوامل، يتلقين أمرا صريح العبارة، بهجر دار الكفر، هجر عقود قرآنهن الباطلة وحالة الزنا التي يعشنها، وتكبد كل الصعاب حتى يموت الجنين، وسواه من الأطفال، أو موتهن هن، على درب "الدولة الإسلامية" (العدد الثامن من "دابق"). فسردية الخلافة بحسب "دابق" تبدأ من "المجرة"، فتشكيل "الجماعة"، ف"زعزعة الطاغوت"، ف"التمكين"، ف"الخلافة" (العدد الأول من "دابق").

في الواقع، لا يعد خطاب "داعش" بعالم بديل يزهو بالعدالة، فعلمها الموعود هو عالم تصفية الحسابات وامتلاك السطوة العالمية. "داعش"، كجماعة عنف، تعلن اليوم استملاك هذه السطوة. ليست أرض ثورة تغييرية، فهي أساسا تعلن الثورة وتكفرها. تعلن الجهاد ضدها كفكر في المطلق، وكسرديات واقعية في بلاد "الربيع". وكذلك، هي تعلن المعتقدات والسياقات الوطنية والقومية منذ عددها الأول. "دابق" تدعو إلى نظام يسمى نفسه الخلافة، ينتمي إلى سير الخلافات، يربط ماضيها وسحيقها بماضيه القريب وراهنه، ولا شرعية فيه للحدود أو الثورات.

"دابق" هي نشرة تعرض الخلفيات الدينية - السياسية للنهج الذي تسلكه "الدولة" على الأرض، وهي تتوجه إلى جمهور مكون أساسا من المريدين والمريدات بهدف الحث على الالتحاق. في خطابها هذا، تعتمد "دابق" بصرامة بنية مقالات موحدة، فتقوم على ثلاثة أساسات هي: (1) الأشد قدسية لجهة آيات القرآن، السيرة النبوية، والأحاديث، (2) السير على خطى السلف لجهة تاريخ الدول الإسلامية، وعقوباتها وإجراءاتها وحججها، (3) المجادلة المعاصرة المفصلة التي تربط كل جريمة تقدم عليها "داعش" بحدث ترد عليه، تتفاعل معه، أو تحث لأجله. الزمن المعاصر في هذه المجادلة يستعيد أحيانا الأحداث منذ الحروب الصليبية فالاستعمار ف"الحرب على الإرهاب" فالحاضر المعادي للتنظيم، يحكيها كسياق مباشر وخطي. والعداء كامل العداء ل"صليبيي" الغرب و"مرتدي" الشرق عبيد "طواغيتهم"، بحسب لغة "دابق".

عبر كل هذه الاستعدادات اللغوية والدينية والتاريخية والمعاصرة، امتلكت "دابق" خطابا ليس غريبا تماما عن عالمه، ولو يطيح به. لا تبدو "داعش" فيه كوحش أنجبه خلل في الطبيعة، ولا تأتي من بعد زماني آخر، ولا هي وليدة خط تاريخي واحد أحد، وكأن الخطوط مستقلة عن بعضها. إذ يقع خطاب "داعش" عند تقاطع سياقات، يعيها ويتفاعل علانية معها. يستقطب باسم موقعه التفجيري الاستعدادي، وبخصوصيات الهوية الدينية. لا يتوجه إلى المسلمين-ات فحسب، وإنما يشمل كل المنصتين-ات. ولا تتوجه إلى المهمشين-ات أو الفقراء حصرا، وإنما إلى الأطباء والمهندسين أساسا وصراحة، كما إلى سوى هؤلاء وأولئك في بقاع لأرض، أينما حلوا اقتصاديا. تحكيهم بالغضب، بالسلطة. البقاء خارجها كفر، مهما كان الدين أو الطبقة أو الجندر، إلخ... إلى حين تلبية الدعوة واعتناق الهجرة إلى "الدولة الإسلامية". حينها، يضحى الشخص مسلما-ة، وتصبح الحياة أخرى، مع "داعش".

ثلاثة مصادر تحاك في كل نص كرداء له، مهما اختلفت المواضيع. وهي تشكل لغة المجلة، خصوصيتها اللغوية، وصلب هويتها كإسلامية، مهما صنفها "المعتدلون" أو لم يصنفها "الأزهر". لغة "دابق"، ومن ورائها سياسة "داعش"، لا تفرق بين الأبجديات في النشر، إذ تصهر المعنى ذاته بالعربية واللاتينية وسواهما. وهي لا تبني خصوصيتها على ملمح قومي أو وطني. هي تموضع نفسها في صلب السياق السياسي الحربي الديني. تستند إلى تجارب لا يهم إن كانت قد قرأتها أو أساءت قراءتها، فهي ترمي واقعها في التاريخ الإسلامي، وتجد مراجع غير خفية أو منبوذة في أدبياته. كما ترمي "دابق" خطوط العدا على فوالمق الأزمات الداخلية والإقليمية والعالمية، وتعد ناسها بالموت في مواجهة أخيرة أو جذرية تؤكد لهم-ن أنها ليست كسواها. أجندة "داعش" مبتغاة من بعضنا، وخطابها يلقي آذانا مستحسنة، لا بل مضحية بالحياة لأجله. "دابق" تظهر ممارسات "داعش" لتبرهن للقراء المصدقية، في خطاب استقطاب توجهه لمن بلغت بهم الرغبة حد إلغاء هذا العالم. إلغاء، إن "الهروب" منه نحو "الدولة الإسلامية" التي ترحب بهم-ن (على عكس مقاصد الهجرة التقليدية)، أو بالتفجر والتفجير وإحداث القتل المباشر فيه.

إن خصوصية اللغة "الداعشية" راهنا تقع في تلاقي المصادر المذكورة الثلاثة، المقدس والتاريخي والمعاصر، كسرديّة تفجيرية للحاضر، لا تأقلمية معه. تحديد السياق هو بداية الخوض في البحث... خاصة وأن "دابق" تجعل من الالتحاق بـ"داعش" سياقاً معلناً.

**الباب السادس:**  
**الأبعاد الجيوستراتيجية لانضمام**  
**الشباب لحركات العنف الراديكالية**



## دور السياسات الخارجية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة

عمر فسطاوي

في البداية ينبغي الإقرار بأن تحليل ظاهرة التطرف بين الشباب وخاصة في العالم العربي والإسلامي متعددة الجوانب ولا يمكن التعامل معها من جانب دون الآخر. في عالم يتشابك فيه كل شيء يتساءل المرء ماذا إذا كان دونالد ترامب يدرك تبعات تصريحاته ضد المسلمين. إن الأسباب التي تؤدي لارتكاب أعمال العنف والتي يعرفها بول نيومان على أنها "ما يحدث قبل انفجار القنبلة"<sup>199</sup> دائما ما يتم اختزالها في الدين والفقر لكنها في الواقع تتخطي هذين العاملين بكثير. يكفي تأمل حالة الشباب الذين لا يعتبرون الدين سوى سياق اجتماعي أو موروث عائلي أو الشباب المتميزين لمستوى اقتصادي واجتماعي مرتفع وانضموا للجماعات المسلحة في سوريا أو العراق أو ليبيا أو غيرها. هذا ينطبق بشكل أكبر على الشباب الأوروبيين الذين ينضمون لهذه الجماعات. لذا من المهم التركيز على العوامل الأخرى التي تؤدي لتحول الشباب للفكر المتطرف. في هذه الورقة تتم مناقشة دور السياسات الخارجية على وجه التحديد.

اكتسب تبني الشباب للفكر المتطرف صبغة دولية نظرا لتداعياته الأمنية وتزايد الملحوظ والتغطية الإعلامية التي يتلقاها وكذلك كون انضمام الشباب للجماعات المسلحة يأتي في كثير من الأحيان كرد فعل للسياسات الدولية للقوى الغربية. لهذا ستحاول هذه الورقة تحليل تأثير القرارات التي يتم اتخاذها في واشنطن ولندن وباريس على تحول الشباب للفكر المتطرف في مصر أو تونس.

---

199 Peter NEUMANN, Perspectives on Radicalization and Political Violence: Papers from the First International Conference on Radicalization and Political Violence, London, 17–18 January 2008 (London: International Centre for the Study of Radicalization and Political Violence, 2008), p. 4.

## السياسات الخارجية الغربية

يبدو جليا من خطاب الجماعات المتطرفة أنها ترغب في أن تظهر كفاعل أساسي في المشهد الدولي وتحديدًا كمتحدث باسم الإسلام كما يتضح أنهم يسعون لاحتلال مكان الدولة والتي يرونها خاضعة للغرب. في حالة داعش تحديدًا يظهر اسم "الدولة الإسلامية" التي اختارت أن تطلقه على نفسها كدليل على أنها تريد أن تكون بديلا للدولة الرسمية.

يزخر تاريخ العالم الإسلامي بالعديد من الأحداث الذي ظهر فيها الاستياء من السياسات الخارجية الغربية وخاصة فيما يتعلق بالحدود. في الواقع تم رسم خريطة العالم العربي وفقا لاتفاقيات أبرمتها القوى الغربية مثل سايكس بيكو في 1916 ومعاهدة سيفر في 1920 واللذان تمثلان وصمة عار في جبين الشعوب العربية. بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية انتقلت الأراضي التي كانت تحكمها لسيطرة بريطانيا أو فرنسا وبهذا تم استبدال الحكم العثماني الذي تقبله العرب نسبيًا بسبب الدين إلى النفوذ الغربي الذي سمح بإقامة دولة إسرائيل في الشرق الأوسط. ولا يزال التأثير الغربي على المنطقة واضحًا حتى اليوم ويظهر تحديدًا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. في الواقع تأسست العديد من الإيديولوجيات المتطرفة على مفهوم الأمة الإسلامية والذي يرفض الحدود والدول والجنسيات وروجت لنفسها من خلال عومها إعادة بناء هذه الدولة.

بالإضافة إلى تقسيم المنطقة وفقا لاحتياجاتها خاصة فيما يتعلق بالبترول تجاهلت كل من إنجلترا وفرنسا التركيبة العرقية والدينية لتلك الكيانات التي خلقتها مما أدي لوقوع صراعات بين الأغلبية المسلمة أو العربية والعديد من الأقليات مثل الأكراد والأزديين والكلدانيين وغيرهم. حتى بعد انسحابها من المنطقة، ظلت القوى الغربية تلعب دورا في تحديد مصير مستعمراتها السابقة والذي ظهر خاصة في دعمها للأنظمة المستبدة في مقابل الحفاظ على مصالحها وضمن احتياجاتها من النفط والموارد الأخرى. قبل ثورات الربيع العربي كانت الديمقراطيات الغربية تدعم ديكتاتوريات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بدون الالتفات لمعاناة الشعوب والانتهاكات التي تتعرض لها الفصائل المعارضة. كانت بعض الدول الغربية تضرب مثالا بزین العابدين بن علی حتى یومه الأخير في الحكم كحلیف مثالی بنح في حماية



الحدود الجنوبية للاتحاد الأوروبي من الجماعات المتطرفة والمهاجرين غير الشرعيين من أفريقيا. قبل 14 يناير/كانون ثان بأيام قليلة اقترحت ميشيل أليو-ماري على الجمعية الوطنية الفرنسية إمداد الشرطة التونسية بالخبرة الفرنسية من أجل "التعامل مع الموقف الأمني" حسب قولها.<sup>200</sup>

لعبت احتياجات الطاقة والخوف من الهجرة غير الشرعية والتطرف الإسلامي دورا أساسيا في إبقاء الأنظمة الشمولية في المنطقة وتجاهلت القوى الغربية مطالب الشعوب وانتهاكات حقوق الإنسان وهذا ما استخدمته الجماعات المتطرفة في خطابها ضد الغرب والذي زادت حدته بعض موقف الحكومات الغربية من الهجرة وحرية التعبير. فقد زادت الدول الأوروبية خاصة من التضييق على المهاجرين وتحديد المسلمين الذين رأوا أن نفس الدول التي تدعو لحرية العقيدة تقيّد من هذه الحرية حين يتعلق الأمر بالإسلام وقد اتضح هذا في الجدل المثار حول الحجاب والنقاب. على الجانب الآخر سمحت هذه الدول بنشر الرسوم المسيئة لمقدسات المسلمين في الدنمارك ثم في فرنسا بدون أخذ مشاعر المسلمين في الاعتبار مما أدى لموجة غضب واسعة بين المسلمين سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه. ظهر رد فعل مشابه لفيلم "بيرسيبوليس" في تونس بعد الثورة. تستخدم الجماعات المتطرفة مثل هذه الأحداث لإثبات أن النموذج الغربي بطبيعته معادي للإسلام.

لا يمكن الحديث عن دور السياسات الخارجية في تبني الفكر المتطرف بدون الإشارة للحظة فارقة وهي هجمات 11 سبتمبر/أيلول التي ساءت بعدها السياسة الخارجية الأمريكية بشكل واضح فقد قررت الولايات المتحدة محاربة "محور الشر" الذي تضمن العراق. أحدث غزو العراق وأفغانستان تغيرات جذرية في خارطة المنطقة على المستويات السياسية والدينية والاقتصادية والتي لا زال أثرها واضحا فيما يحدث حاليا في كل من سوريا والعراق. لم تتردد الولايات المتحدة في حربها على أفغانستان والعراق في خرق القوانين الدولية خاصة فيما يتعلق بالغارات وأعمال التعذيب. كما

---

200 ميشيل أليو-ماري كانت وزيرة الشؤون الخارجية من 2010 حتى 2011

ساهمت بعض الأنظمة العربية الشمولية في عمليات التعذيب تلك كي تبقى الولايات المتحدة غير مدانة أثناء فترة الحرب على الإرهاب.

من وجهة نظر مواطن عربي أو أفغاني أو أوروبي اعتنق الإسلام، تبدو السياسات الخارجية الغربية مجحفة وهنا يأتي دور الجماعات المتطرفة التي تقدم العنف على أنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق التوازن في عالم لا يكون العرب والمسلمون فيه سوى ضحايا لهذه السياسات. لكن يجب أيضا الإشارة أن السياسات الخارجية للغرب ليست وحدها التي تلعب دورا في تبني الفكر المتطرف ولكن ينطبق هذا أيضا على السياسات الخارجية لبعض الدول العربية أو دولتين تحديدا وهما السعودية وقطر.

### السياسات الخارجية السعودية والقطرية

منذ أن أصبحت الوهابية الدين الرسمي للعائلة المالكة السعودية لم تتوقف المملكة العربية السعودية عن دعم وتصدير رؤية شديدة التطرف للإسلام للدول الإسلامية الأخرى وكذلك الدول الأوروبية. عادة ما تندمج هذه الرؤية المتشددة للإسلام مع التيار السلفي حيث يشترك الاثنان في رفضهما للدولة. يبدو دور السعودية في الترويج لهذه الإيديولوجية واضحا في مناطق مختلفة من العالم: "تقول المخابرات الهندية إن ما بين عامي 2011 و2013 جاء إلى الهند 25 ألف رجل دين سعودي يحملين بأكثر من 25 مليون دولار لبناء مساجد وإنشاء جامعات وإقامة ندوات".<sup>201</sup> يلعب نفوذ السعودية في تصدير الفكر السلفي دورا جوهريا في تحول الشباب للفكر المتطرف حيث أن هذا التحول عادة ما يبدأ بالتواصل مع الجماعات السلفية سواء داخل الوطن أو خارجه وعادة ما ينضم الأوروبيون الذين يعتنقون الإسلام السلفي للجماعات الجهادية لاحقا. رغم أن هناك جماعات سلفية لا تتبنى العنف إلا أن ترويج الفكر السلفي على أنه الشكل المثالي للإسلام وكأيدولوجية قابلة للتطبيق على مستوى الدولة يزيد من فرص تحول من يتبنوه للعنف وخاصة إذا لم يكونوا على دراية بالنواتج السعودية وإذا سحب هذا الترويج دفع مبالغ طائلة من المال. في حالة تنظيم

---

201 The WEEK, How Saudi Arabia exports radical Islam, august 8,2015 ( consulted online December 15,2015)

الدولة الإسلامية، يتضح مزج الترويج للفكر السلفي بالدور السياسي الذي تود السعودية أن تلعبه في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا خاصة مع نظام بشار الأسد المدعوم من إيران، المنافس التاريخي للسعودية في المنطقة. يعتقد الشباب الذي اعتنقوا الفكر السلفي أنهم وصلوا للإسلام الصحيح ويبدأون في الانفصال عن الواقع الذي يرون أنه شديد الحداثة وبالتالي منافي للإسلام. هذا يجعلهم أكثر عرضة للتأثر بأي تصريحات تصدر من الدعوة في الجماعة.

السعودية ليس الدولة الوحيدة التي تؤثر سياستها الخارجية على اتجاه الشباب للعنف بل تلعب قطر دور مشابه على الرغم من عدم ارتباطها بالإسلام السلفي كما هو الحال في السعودية ولهذا فإن دورها أكثر غموضا. من ناحية، قطر هي مقر أكبر قاعدة عسكرية أمريكية في الشرق الأوسط ومن الناحية الأخرى، تدعم قطر العديد من الجماعات الإسلامية سواء من خلال التمويل أو الاستضافة أو الدعم الدبلوماسي. كما ظهر دور قطر من خلال الإعلام حيث أصبحت قناة الجزيرة منبرا للعديد من الإسلاميين الذين منعوا من الظهور في وسائل إعلامية أخرى سواء قبل أو بعد الربيع العربي. بالإضافة إلى ذلك فإن قطر لا تخفي دعمها لحماس على الرغم من الموقف الأمريكي من التنظيم. من الواضح أيضا أن قطر دعمت الإخوان المسلمين في مصر والنهضة في تونس وكانت سببا أساسيا في بقائهما في المشهد السياسي في الوقت الذي قمعتهم فيه السلطات قبل اندلاع الثورات العربية. استمر هذا الدعم عند صعود الإسلام السياسي بعد الثورات عن طريق الانتخابات. اتضح وقتها أن قطر تريد أن يكون لها دور في المنطقة وقررت أن تستخدم الإسلاميين من أجل تحقيق هذا الهدف وبسط نفوذها في العديد من الدول. كما دعمت قطر ثوار ليبيا ضد القذافي فهي الآن تتدخل في سوريا بشكل واضح. في الواقع تعتبر قطر الممول الأول للمتمردين في سوريا حتى بعد أن تحولت الثورة إلى حرب أهلية. وفقا لمعهد ستوكهولم لبحوث السلام، تعد قطر الممول الأهم في سوريا حيث "عبرت 90 طائرة بضائع من

قطر إلى تركيا في الفترة ما بين 3 يناير/كانون ثان 2012 وآخر أبريل/نيسان 2013".<sup>202</sup>

من خلال التمويل وشبكات النفوذ ودعم الإخوان المسلمين وغيرهم من جماعات الإسلام السياسي شجعت قطر الشباب بشكل غير مباشر على الانضمام للحرب في سوريا بدون المرور بالمرحلة الانتقالية التي تتطلبها السياسة السعودية وهي التحول للإسلام السلفي. ساعد على تحقيق هذا رد فعل الدول الغربية التي لم تتخذ موقفا واضحا على الأرض من الأزمة السورية. لم تتجه قطر لإعادة النظر في سياستها الخارجية سوى بعد أن انتقدها بعض حلفائها مثل الولايات المتحدة وإسرائيل وبعد أن استعاد الجيش قوته في مصر.

#### خاتمة

أن مشكلة انضمام الشباب للجماعات المتطرفة متعددة الأبعاد وتمتد تبعاتها للمستوي الدولي. يمكن أن تصيب السياسات الخارجية الشباب بالإحباط خاصة إذا كانت تفرض من أعلى. لكن يتطلب فهم هذه الظاهرة تحليل ما هو أبعد من ذلك من خلال النظر في الظروف الشخصية لهؤلاء الشباب للتعرف على اللحظة التي حدث فيها الانفصال عن المجتمع ثم التطرف. حتى وإن بدا أن عملية التطرف تتبع نهج موحد، إلا أنه يمكن القول إن هناك عدة أنواع وحالات من الفكر المتطرف. على الرغم من أن التحول للتطرف عادة ما يتضمن نوع من العداء للمجتمع لكن الطرق المؤدية للفكر المتطرف شديدة التعدد تماما مثل الظروف الحياتية والسمات الشخصية لكل من هؤلاء الشباب.

---

202Amena BAKR & Mariam KAROUNY, Qatar, allies tighten coordination of arms flows to Syria ,<http://is.gd/bdCt2e>

## دور الظروف المعيشية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة: الراديكالية في سياق إقليمي

كريستينا كازابون

أدى ظهور الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وتمكنها من جذب عدد كبير من الشباب سواء من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أو خارجها إلى البحث عن وسائل القضاء على الفكر المتطرف. في البداية تمحورت ردود الأفعال حول الحلول العسكرية والمخابراتية لكن دون الأخذ في الاعتبار أن الوقاية هي أحد أهم وسائل محاربة الفكر المتطرف وهذا يتطلب في البداية التعرف على العوامل الخارجية التي تؤدي لتفشي تلك الظاهرة الإقليمية.

لا يمكن الوقاية من الفكر المتطرف من خلال الاعتماد فقط على استراتيجيات الحرب على الإرهاب لكن يجب البدء في دراسة الظروف المعيشية التي تخلق تربة خصبة لانتشار هذا الفكر وانضمام الكثيرين له. إذا تم تناول الظاهرة من خلال نظرية الحتمية الاجتماعية يمكن التعرف على التداخل بين العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التي تدفع الشباب للانضمام للجماعات المتطرفة.

بدأ العديد من الشباب في الانضمام للجماعات المتطرفة بعد أن كانت أنشطتهم السياسية سلمية في 2011 ويتضح مدى هذا التحول في الأعداد المتزايدة من الشباب الذين ينضمون للجماعات الراديكالية المسلحة. وفقا لتقرير حديث نشرته مجموعة صوفان<sup>203</sup> معظم المقاتلين الأجانب في سوريا والعراق في 2014 و2015 من الدول العربية والشرق الأوسط. شجع تراخي الاستحكامات الأمنية حول الحدود بعد 2011 عدد كبير من الشباب على الهروب للخارج والانضمام للتنظيمات الراديكالية ويأتي التونسيون والسعوديون والأتراك في المقدمة بينما يتركز

---

203 “Foreign Fighters. An Updated Assessment of the Flow of Foreign Fighters into Syria and Iraq,” The Soufan Group, December 2015. <http://is.gd/5bcWO9>

الفاعلون في عملية جذب وتجنيد الشباب للجماعات المتطرفة فيما يسميه التقرير المذكور أعلاه بـ "البؤر الإرهابية" مثل منطقة الساحل الشرقي في ليبيا وخاصة بنغازي ودرنة. كما جاء عدد كبير من الشباب المنضمين من مدن بعينها في المنطقة على رأسها بن قردان في تونس ومنطقة سيدي مؤمن الشعبية خارج كازابلانكا في المغرب بينما برزت مدينة جازينتب التركية كمركز لتمويل الإرهاب والإتجار بالبشر. لقد أصبح التحول من الأنشطة السلمية التي تركز حول المطالبة بالحقوق الأساسية إلى تبني العنف والانضمام للجماعات المتطرفة ظاهرة في تلك الدول وهذا يرجع إلى حد كبير للظروف المعيشية للشباب الذي يمرون بهذا التحول والتي يتحتم التعرف عليها من أجل محاولة القضاء على الفكر المتطرف.

### فراغ السلطة

يظل ظهور الجماعات المتطرفة أثناء الحرب الأهلية في سوريا والفوضى التي أعقبت غزو العراق ظاهرة إقليمية ذات تبعات دولية. في العراق انتهزت الجماعات الجهادية فرصة المقاومة ضد القوات الأمريكية من 2003 حتى 2006 وقاد تنظيم القاعدة الحرب ضد الاحتلال ثم تلا ذلك ظهور جماعات جهادية محلية أبرزها ما سمي لاحقا بالدولة الإسلامية في العراق والشام. بدأت الحرب الأهلية في سوريا عام 2011 وكان الصراع ضد بشار الأسد فرصة مواتية لظهور الجماعات المتطرفة هناك حتى أصبحت سوريا أكثر دول المنطقة اختراقا من قبل هذه الجماعات وأصبح من الصعب التفرقة بين المعارضة المعتدلة والجماعات السلفية حيث أن رد الفعل القمعي للرئيس السوري بشار الأسد حول الثورة السلمية لحرب أهلية مفتوحة والآن يشترك كل من المعسكرين في الصراع الدائر. ثم امتدت داعش من سوريا إلى دول أخرى في المنطقة وخاصة ليبيا.

هذا يوضح أن الفراغ الأمني الذي يعقب سقوط أو إضعاف الأنظمة الشمولية من شأنه خلق تربة خصبة للجماعات المتطرفة التي تنتهز فرصة هذا الفراغ للحصول على السلطة وتحقيق المكاسب وهذا في حد ذاته يجذب العديد من الشباب الأجانب للانضمام لهذه الجماعات. إلى جانب فراغ السلطة الذي تعاني منه تلك الدول شبه

الفاشلة يساهم في بسط نفوذ هذه الجماعات الدعم الضمني من الحكومات في بعض الحالات.

### التركيبة المؤسسية الضعيفة للحكومات

وفقا لمعهد بروكينجز لا توجد فروق كبيرة بين التركيبة المؤسسية لحكومات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا مقارنة بالمناطق الأخرى في العالم. تهيمن النخب الحاكمة بما فيها العائلات الممتدة وحلفاء الحكام على القطاعات الرئيسية في الاقتصاد ويقوم هؤلاء باستغلال نفوذهم في مؤسسات الدولة للتحكم في توزيع وتراكم الموارد التي بدورها تزيد من نفوذهم. تحفل المنطقة بالعديد من الأمثلة على هذا النوع من الفساد مثل العائلات فاحشة الثراء في السعودية ودول النفط في الخليج العربي والأردن وليبيا والعلويين في سوريا وهكذا.

لهذا السبب أصبحت المبادرة بإجراءات الحوكمة الرشيدة مهمة مستحيلة بالنسبة للجماعات الليبرالية والأحزاب السياسية التي تشكلت عقب الربيع العربي خاصة مع ضعف الخبرة في مجال المؤسسات الديمقراطية وضعف القدرات التنظيمية لهذه الأطراف. نتج عن هذا أن في عام 2015 يتضح فشل الثورة الليبرالية في مصر وتوشك ليبيا على أن تصبح دولة فاشلة وتم قمع الثورة السورية بشكل وحشي والقضاء على الاحتجاجات في البحرين والعراق بينما ظلت الدول الأكثر استقرارا غير قادرة على إنشاء مؤسسات ديمقراطية تشمل كل فئات الشعب ربما باستثناء تونس.

ركزت معظم حكومات دول الربيع العربي جهودها في مواجهة التحديات التي فرضتها مجموعات الشباب التي اشتركت في الثورات ونمو ظاهرة السياسة الشعبية مما جعل الأنظمة الحالية أكثر فسادا وقمعا وظهر هذا تحديدا في أقصائها للمعارضة في الإصلاحات المؤسسية المحدودة التي قامت بها. كما ثبت عدم فعالية الإصلاحات الاقتصادية والسياسية التي أعلنت عنها تلك الأنظمة حيث لا تؤدي الأولى للنمو التدريجي ولا تشمل الثانية جميع القوى السياسية.

ساهم الإحباط الناتج عن فساد الأنظمة وانعدام المساواة وفشل ثورات الربيع العربي في صعود التيار المتشدد خاصة أن معظم الشباب العربي لا يتمتع بالاستقرار على المستويين المادي والشخصي. خلقت هذه العوامل مناخا من غياب الطموح وفقد الأمل في المستقبل وصاحب هذا غياب الحس الوطني في ظل تنامي المشاعر المعادية للأنظمة والتي خلقت أزمة اندماج بين الشباب.

### الإقصاء السياسي والاجتماعي للشباب

في ظل عدم اشتراك الغالبية العظمى من المواطنين في عملية اتخاذ القرار رأي الكثير من المحللين هذا الإقصاء كأحد العوامل التي تدفع الشباب في اتجاه الفكر المتطرف. في نفس الوقت فشلت الحكومات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في تضمين مطالب الشباب في برامجها السياسية.

إن مشاركة الأجيال الشابة في الحياة السياسية سواء عن طريق المؤسسات أو كممثلين للشعب أمر ذو أهمية قصوى حيث أن 50% من سكان المنطقة تحت سن 25 وتزداد هذه النسبة في بعض الدول وفقا لتقرير الأمم المتحدة.<sup>204</sup> هذا السن هو الملائم لـ "مشروع جهادي" حيث أن معظم من ينضمون للجماعات المتطرفة في العشرينيات من عمرهم وأحيانا أقل.

تعوض الجماعات الجهادية الشباب عن الشعور بالإقصاء في الحياة السياسية والاجتماعية من خلال إتاحة الفرصة لهم أن يقوموا بأدوار فعالة في هذه الجماعات. وفقا للمؤتمر الذي عقده المركز العربي للبدائل حول الشباب وجماعات العنف في لبنان، معظم هؤلاء الشباب هجروا التعليم في المرحلة الابتدائية وأقاموا في الشوارع وبعضهم يأتي من الريف ويواجه صعوبات في التأقلم على الحياة في المدينة.

تجند الجماعات المتطرفة الشباب الذين يفشلون في الاندماج حيث يسهل التأثير عليهم خاصة حين يكون البديل هو الانضمام لكيان سيمنحهم شعور بالانتماء

---

204 "Youth population trends and sustainable development," United Nations Department of Economic and Social Affairs, May 2015. <http://is.gd/qRNYII>



والتواصل. لهذا يتحتم على الحكومات ضمان فرص أفضل للشباب من خلال مجتمع مدني منظم حيث أن في الوقت الحالي ليس لدى من انفصلوا عن المجتمع فرصة للتراجع.

### غياب الحرية والحقوق الأساسية

كشفت ثورات الربيع العربي عن غضب شعبي بشأن غياب الحريات والحقوق الأساسية لكن لا تزال الدول التي قامت بها الثورات تحت سيطرة أنظمة مستبدة وفي بعض الأحوال حكومات غير منتخبة كما أدى خطر الإرهاب إلى إعطاء الأولوية للاعتبارات الأمنية على حساب الحريات.

وفقا لمؤشر مخاطر حقوق الإنسان في 2014<sup>205</sup> تتضمن الدول التي شهدت تدهورا في حقوق الإنسان منذ عام 2008 سوريا (في المرتبة الأولى) ومصر (رقم 16) وليبيا (رقم 19) والعراق (رقم 7) واليمن (رقم 9) وإيران (رقم 11) والسعودية (رقم 31). يعتبر غياب الحريات والحقوق أحد أهم العوامل التي تؤدي للتطرف فإذا فشل نظام معين أن يكفل حقوق الإنسان الأساسية المتفق عليها في القانون الدولي لا يستحق أن يتم احترامه أو الانصياع له وهذه بداية التحول من الأنشطة المدنية السلمية إلى العمليات المسلحة.

يبدو المنطق الداعم لهذا النوع من التحول بسيط: في غياب العدالة لا يتم اعتبار الجماعات المسلحة مصدرا للعنف بل وسيلة لمقاومة العدو الطاغية. لهذا يرى الكثير من الشباب أعضاء هذه الجماعات على أنهم أبطال وبالتالي تصبح الإيديولوجيات التي يتبنونها جذابة ويصبح الانضمام إليهم محبب.

كشفت لدراسة قامت بها منظمة المجتمع المدني إنترناشيونال أليرت، والتي تم خلالها سؤال 800 من الشباب، في بعض المدن في تونس وتحديدًا دوار هيشر وحي التضامن<sup>206</sup> عن وجود شعور قوي بالتهميش وغياب العدالة. جدير بالذكر أن تونس هي الدولة الأكثر تصديرا لمقاتلي داعش.

---

205 Human Rights Risk Index 2014 <http://is.gd/VAUAh0>

206 “Experiences and perceptions of young people in Tunis”, March 2015 <http://is.gd/jpeYjB>

يبدو في هذه الحالة أن اعتبار العنف وسيلة للتغيير ليس سببا في حد ذاته وإنما نتيجة لحالة الإحباط التي تصيب الشباب نظرا لفقدان الثقة في دور القانون في الدولة التي ينتمون لها وبالتالي الاعتقاد أن العنف هو الوسيلة المتاحة.

## الفقر

كشف الربيع العربي عن العديد من نقاط الضعف في الدول التي قامت فيها الثورات وعلى رأسها الفقر الذي تعاني منه نسبة كبيرة من السكان. بعد خمس سنوات من قيام الثورات لم يتحسن الأمر بل يرى المحللون حدوث تدهور في الأحوال المعيشية واندثار أسلوب الحياة التقليدي للطبقة الوسطى وخاصة بالنسبة للأجيال الشابة.

يلعب مستوي المعيشة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا دورا هاما في اتجاه الشباب للعنف خاصة حين لا يتم تلبية الاحتياجات الأساسية. على سبيل المثال، كشف المؤتمر الأخير لمشروعات مسار للمواطنة في مدريد<sup>207</sup> من خلال دراسة عن مصر أن 86% من العينة التي تم سؤالها يرون أن الدولة هي المسؤول الأول عن تلبية الاحتياجات الأساسية للسكان بينما 40% فقط عبروا عن رضائهم عن مستوى معيشتهم والخدمات العامة التي يتم تقديمها لهم.

السؤال هو ما الذي يحدث حين لا تلي الدولة الاحتياجات الأساسية لمواطنيها؟ وهل يمكن أن يؤدي الإحباط الناتج عن تردي الخدمات العامة وتدهور مستوى المعيشة وعدم توافر فرص عمل لتبني الفكر المتطرف؟ وفقا للعديد من الباحثين فإن غياب سياسات اجتماعية تهدف لتقليل الفجوة بين فئات الشعب يشجع الشباب على مغادرة البلاد واللجوء للجماعات المتطرفة.

في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ذات الأغلبية محدودة أو متوسطة الدخل لا يتوفر للشباب فرص للخروج من دائرة الفقر. لهذا يبدأ الشباب في تقبل فكرة

---

207 “El Estado que no cumple: prestación de servicios en Egipto”. Cristina Casabón and Hélène Michou. Política Exterior. October 2015 <http://is.gd/SZcNrf>

العنف واستحداث وسائل جديدة للبقاء. كما أن المقاتلين الأجانب في داعش يتقاضون رواتب مرتفعة نسبيا بالمقارنة بالجماعات المتطرفة الأخرى ولهذا يسهل اجتذاب الشباب الذين يعانون من الفقر حيث يصبح الانضمام لهذه الجماعات مصدر دخل.

### خاتمة

يتطلب القضاء على ظاهرة انضمام الشباب للجماعات المتطرفة تحليل هذه الظاهرة في سياقها الاجتماعي ولأن جماعة مثل داعش نشأت حديثا وتستخدم طرق غير تقليدية لا تزال الجهود المبذولة لمناهضتها في مراحلها الأولية وهذا ما تستغله داعش ومثيلاتها من الجماعات المسلحة.

استطاعت الجماعات المتطرفة أن تستغل الوضع في سوريا والعراق وكذلك في المناطق الفقيرة بدول أخرى وهذا كله يتعلق مباشرة بفشل الحكومات في هذه الدول. لم يتمكن الشباب الذين طالبوا بالحياة الكريمة في 2011 من تغيير مجتمعاتهم للأفضل فأصبح الشعور بالإهانة هو المسيطر وصار دافعا قويا لتبني العنف.

إن تدهور الأحوال المعيشية وإقصاء الشباب من المشهد السياسي وفساد الأنظمة وغياب الخدمات وانتهاك حقوق الإنسان كلها عوامل تجعل الشباب أكثر ضعفا وتسهل التأثير عليهم. لذا لا يمكن التصدي لظاهرة تحول الشباب من الأنشطة السلمية للعمليات المسلحة إذا لم تقوم الحكومات بإصلاحات حقيقية في المجتمع. في هذا السياق يصبح تحليل الظروف المعيشية ذو أهمية قصوى من أجل تطوير استراتيجيات من شأنها القضاء على هذه الظاهرة التي تنبع في أساسها من التكوين السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة والتي لن تتراجع بدون تغيير سياسات الدول.



# أسباب انضمام الشباب للحركات الراديكالية الإسلامية المسلحة

لييب شائف محمد اسماعيل  
بليغ أحمد علي المخلافي

أصبحت الحركات الراديكالية المسلحة عامل يهدد السلام والأمن الاجتماعي الوطني والعالمي فهي لم تعد قاصرة في أنشطتها على دولة أو إقليم أو منطقة وإنما اتسعت لتجتاح العالم، كما باتت قبلة ومصيدة للكثير من الشباب تودي بحياتهم وتصيب المجتمعات في طاقاتها المتجددة.

ويقصد بالراديكالية "التوجه الصلب والمتطرف الهادف للتغيير الجذري للواقع السياسي أو التكلم وفقا له".<sup>208</sup> وفي مقالتنا هذه نقصد بالجماعات الراديكالية المسلحة تلك الجماعات الأصولية الإسلامية التي تنتهج العنف في التغيير وفرض الرأي بقوة السلاح كالقاعدة وداعش والنصرة وحركة الشباب المحاهد... وغيرها.

تحاول هذا المقالة تسليط الضوء على أسباب انضمام الشباب إلى الحركات الراديكالية المسلحة وتأثيرات ذلك ومن ثم تقديم مقترحات للحد من انضمام الشباب لهذه الحركات.

## نطاق تواجدها وسيطرتها:

تكاد لا تخلو بلد من البلدان العربية والإسلامية من الحركات الراديكالية الإسلامية -سواء وجود علي أو خلايا نائمة- بل وتمتد تأثيراتها إلى العديد من دول العالم، ولكن هناك بالتأكيد مناطق تمثل حاضن اجتماعي لها تقصده هذه الجماعات وتترعرع فيه فأفغانستان مثلا كانت المقر الرئيس للقاعدة والتي منها انطلقت أغلب هذه الجماعات، ثم اليمن، والعراق بعد صدام حسين وسوريا بعد الربيع العربي، والصومال، وقبل ذلك مصر التي نشطت بها الحركات الجهادية... وغيرها. وتتفق جميع البيئات التي تترعرع فيها

208 المقصود بالراديكالية: <https://goo.gl/OYP41F>

هذه الجماعات بكونها بيئة فقيرة اقتصادية تنقصها الخدمات وتتفشى فيها الأمية وتغيب عنها سلطة الدولة وتكاد تكون مناطق نائية لا تصلها مظاهر المدنية أو تعاني من صراعات مسلحة ويغيب فيها أي دور للمؤسسات الدينية الرسمية.<sup>209</sup>

تنتشر هذه الجماعات في نطاق واسع من العالم العربي والإسلامي وقد أعلنت تواجدها في العديد من الدول وتمارس عملياتها علنا فنجد القاعدة وحركة طالبان المتمركز في أفغانستان وباكستان، داعش في سوريا والعراق، جبهة النصرة في سوريا وفي اليمن والسعودية أنصار الشريعة بعد اندماجهما معا، وفي مالي وغرب أفريقيا جماعة المرابطون، وفي ليبيا وتونس والمغرب جماعة أنصار الشريعة وفي مصر جماعة أنصار بيت المقدس، وفي الصومال حركة الشباب المجاهدين.<sup>210</sup>

### أبرز أسباب نمو وازدهار الحركات الراديكالية الإسلامية المسلحة:

هناك عوامل دفعت لبروز هذه الحركات جعلتها تنمو وتزدهر، بالتأكيد لا بد التمييز بين حقتين لهذه الحركات هما حقبة ما قبل الربيع العربي وحقبة ما بعد الربيع العربي ولكل منها أسبابه التي قد تشترك بها الحقتين معا أو تختلف، وتأتي في مقدمة هذه العوامل، الفقر والبطالة والحرمان وغياب العدالة الاجتماعية مما يجعل هذه المجتمعات حاضن اجتماعي ملائم لتلك الجماعات، إلى جانب ضعف دور الدولة والانفلات الأمني في بعض المناطق وخاصة النائية منها، بالإضافة إلى الصراعات المسلحة التي نشأت في بعض الدول، كما ساهم تعثر ثورات الربيع العربي في وجود فرصا سانحة لنمو هذه الجماعات فاستغلت ضعف الدولة والانفلات الأمني وعدم الثقة بما تحقق من نتائج الثورات وولدت قناعات لدى فئات من المجتمع وخاصة الشباب بعدم جدوى تلك الثورات فكانت تلك الحركات هي البديل، كما ساهم في نموها توفر الموارد المالية نتيجة سيطرتها على مناطق واسعة ومصادر متعددة منها النفط والضرائب وتجارة المخدرات والأثار... وغيرها.<sup>211</sup>

209 فريدريش إيبتر، وثائق مؤتمر صعود الراديكاليات الدينية في العالم العربي، مقدمة الوثيقة، ص 7، 8.

210 قام الباحثان بإجراء متابعة من مصادر مختلفة عن أسماء وتوزيع الحركات الإسلامية في الوطن العربي وبعض الدول الإسلامية من مصادر مختلفة.

211 محمد ابو رمان، هل هو ربيع القاعدة، وثائق مؤتمر الراديكاليات الدينية في العالم العربي، ص 21، 23.

كذلك ساهمت السياسة الغربية العدائية المتشددة تجاه هذه الجماعات وبالمقابل تساهلها المفرط مع التشدد الديني الإسرائيلي مما وحدت تلك الحركات ووجد لها حاضن اجتماعي واقتصادي وسياسي. كما إن التوظيف والدعم السياسي للحركات الراديكالية من بعض الأنظمة العربية والغربية ساهم أيضا في نموها وازدهارها ومثال ذلك الدور الغربي والخليجي في سوريا ضد نظام الأسد، والدعم الإيراني لحزب الله وتجربة الدعم الغربي والخليجي الذي ظل لعقود في أفغانستان للجماعات المسلحة الإسلامية<sup>212</sup>.

### المنظمون إلى الحركات الراديكالية المسلحة:

يمكن القول إن جميع الفئات في المجتمعات الإسلامية في الدول العربية والغربية ينضمون إلى الجماعات الراديكالية المسلحة فالشباب والمراهقين من الجنسين وحتى فئات من متوسطي العمر كل أولئك سواء كانوا بمستويات علمية عالية أو أنصاف متعلمين أو حتى أميين. فالجماعات المتطرفة تستقطب جميع تلك الفئات ولكن خارطة التصنيف لهد الفئات هي التي تحدد من هم بالضبط اللذين ينضمون إلى تلك الحركات أكثر من غيرهم.

وتشير المعطيات المتاحة أن فئة الشباب هم أكثر الفئات التي تستقطبها الجماعات الإسلامية الراديكالية المسلحة فعلى سبيل أظهرت نتائج استطلاع في هذا الجانب أن 11% من المستطلعة آراؤهم ينظرون إلى تنظيم داعش - وهو أكثر الحركات الراديكالية المسلحة خطرا في الشرق الأوسط - بإيجابية أو إيجابية إلى حد ما مقابل 85% ينظرون له بسلبية. ويلاحظ ارتفاع نسب هذا التأييد مقارنة بنتائج استطلاعين للرأي أجرتهما إحدى الشركات التجارية لصالح معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى على عينة من 1000 مشارك في كل دولة في سبتمبر/أيلول وأكتوبر/تشرين أول 2014؛ حيث كشف هذان الاستطلاعان عن أن نسب مؤيدي التنظيم تبلغ 1% في لبنان، و3% في كل من مصر والإمارات، و4% في الكويت، و5% في السعودية. وتزيد هذه

---

212 المرجع السابق ص23.

النسبة لتصل إلى 13.1% في فلسطين حسب استطلاع نفذه المركز الفلسطيني لاستطلاع الرأي في أغسطس/آب 2014.<sup>213</sup>

كما يأتي بعد الشباب فئة الأطفال والمراهقين الذي تستقطبهم هذه الحركات وتمارس معهم ما يعرف بغسيل الأدمغة ليكونوا أداًتها الهامة في تنفيذ أعمالها<sup>214</sup>.

وفي قائمة من تستقطبهم هذه الجماعات فئة متوسطي العمر ما - بعد الثلاثين عاماً- وهم قلة ولا يمكن أن ينظم أشخاص جدد من هذه الفئة إلا إذا كانت هناك مغريات كبيرة لهم أو أن نشأتهم الدينية أساساً أصولية، وعادة ما يتم تزكيتهم مقدماً للالتحاق بالجماعة خاصة القادمون من بلدان أوروبا.<sup>215</sup>

كما أن النساء ما بين (18-21) سنة وهي فئة هامة أصبحت الحركات الراديكالية تستهدفها وتحديداً تنظيم داعش.<sup>216</sup>

### الأسباب والعوامل المؤدية لانضمام الشباب للجماعات الراديكالية:

مما سبق يلاحظ أن الشباب والمراهقين من الجنسين هم الفئة الأساسية التي تستقطبها الحركات الراديكالية المسلحة وهناك العديد من الأسباب والعوامل التي تساهم في انضمام الشباب إلى الحركات الراديكالية المسلحة يمكن تقسيمها إلى قسمين: الأول أسباب وعوامل مباشرة، والثاني أسباب وعوامل غير مباشرة، حيث جرى استنباط هذه الأسباب والعوامل بمراجعة لقائمة كبيرة من المرجعيات والمصادر إلى جانب الجلوس مع مجموعة من الخبراء والمهتمين في هذا الجانب وبعض الشباب وخاصة ممن مروا بتجربة استقطاب من تلك الجماعات.

---

213 يوسف ورداني، العوامل الخمسة: لماذا ينضم شباب الإقليم إلى تنظيم "داعش"؟، 2014/12/16، المركز الإقليمي للدراسات الاستراتيجية-القاهرة، <http://goo.gl/OMkzVL>

214 سعوديون في داعش.. 12 سببا تدفع مراهقي المملكة إلى التنظيم، 7 أغسطس/آب 2015، الديار، <http://goo.gl/pAabnm>

215 "داعش" يكشف شروط الانضمام إليه.. وينصح الجدد: احمل سحائر وابتعد عن المساجد، 8 نوفمبر/تشرين ثان 2014، بوابة المصري اليوم، <http://goo.gl/wWm9fY>

216 سر انضمام النساء إلى تنظيم داعش، كايرو دار، 17 يناير/كانون ثان 2015، <http://goo.gl/6Or6Qt>



## الأسباب والعوامل المباشرة:

### (1) طبيعة مرحلة الشباب وخصائصها:

من الملاحظ تركيز هذه الجماعات على فئة الشباب والمراهقين نظرا لسهولة التأثير عليهم وبرمجتهم إيدولوجيا وعقائديا ثم توجيههم نحو الغيات المرسومة بسهولة فمفهومهم الذهني لم يكتمل وخبراتهم في الحياة محدودة ومعارفهم سطحية ونفسياتهم طموحة وطاقاتهم كبيرة وبالتالي تسهل تلك الخصائص استدراجهم وتشكيلهم كيفما شاءت تلك الحركات.<sup>217</sup>

### (2) الإغراءات المالية مقابل الفقر والبطالة والحرمان الاجتماعي:

تعاني العديد من المجتمعات العربية واقعا اقتصاديا مترديا يتسم بالحرمان وغياب العدالة الاقتصادية مما يجعل شرائح وأعداد كبيرة من المجتمع تعيش حالة بؤس وفقير مدقع وفئة الشباب أكثر تتعرضا لذلك وهنا يأتي دور تلك الجماعات لاستقطابهم واغرائهم بالمال، فأكثر الشباب في داعش والقاعدة جرى تجنيدهم بوسائل مختلفة في صدارتها الاغراءات المالية فهي تنقلهم ليس لسد حاجاتهم بل إلى الثراء.<sup>218</sup>

ويكفي أن نعرف أن داعش استولت على قرابة مليار دولار من بنوك في العراق وسوريا كما أن حجم عوائدها من بيع النفط والضرائب تصل إلى مليارات أيضا وبقية الجماعات الراديكالية تتوفر لها مصادر متنوعة ما بين تجارة الأثار والمخدرات ونهب البنوك ومؤسسات الدولة وتجارة الأسلحة... وغيرها، مما يتيح لها فرص تمويل كبيرة وإغداق المال على المنظمين لها.<sup>219</sup>

217 عبد الودود حريوش، سيكولوجية المتطرف الانتحاري، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 25-26، شتاء وربيع 2010، ص 32.

218 حيدر سعيد، تنظيم (الدولة الإسلامية في العراق والشام) في سياقه العراقي، مؤتمر صعود الراديكالية مرجع سابق ص 82

219 محمد العمري، داعش معضلة التمويل وخفاياه أغسطس/آب 2014 ص 7.

### 3) ضعف الوعي الديني مقابل القدرة على الإقناع بالأفكار الأصولية والقناعة بها:

تمثل قوة الخطاب السياسي لدى السلفيين الجهاديين محور أساسي يرتكزون عليه في إقناع الشباب<sup>220</sup>. بل وحتى هي مقنعة للكثير من التجار والممولين لحركاتهم باسم الزكاة ودعم الجهاد ضد الكفار ونشر الدين. ولذلك فإن كثير من قيادات هذه الجماعات شغلهم الشاغل الخطاب الديني والإقناع فهم يحشدون ويحشرون الأدلة ويؤلون الدين بصورة تحقق تأثير قوي على الشباب وتقنعهم حتى وإن كانت في طيات تلك الخطب الكثير مما ليس دقيقاً أو حتى صحيحاً ولا يتفق مع نصح الدين وروحه السمحة.<sup>221</sup>

### 4) الفراغ مقابل فرص إثبات الذات التي تتيحها تلك الحركات المسلحة:

أجمع كل من تم مقابلتهم لأخذ آراءهم في هذا الموضوع أن غياب تقدير الذات في المجتمع الذي يعيشه الشباب وضعف الاندماج في المجتمع عموماً أسباب أساسية يدفع الشباب نحو البحث عن فرص لإثبات الذات، حيث توفر هذه الجماعات لهؤلاء الشباب فرص للسفر والقيام بأعمال خطيرة وتجعله يحس بلذة الإنجاز في إطار تلك الأعمال الخطرة، ولذا نلاحظ أن فئة الشباب الميسورين هم من يدفعهم هذا الفراغ وعدم قدرتهم في إثبات الذات في إطار بيئتهم الاجتماعية للانخراط بهذه الحركات ليجدوا ما لم يتوفر لهم في بيئاتهم الاعتيادية، فكيف هو الشعور إذا سوغت تلك الأعمال الخطرة برعاية دينية وبموارد مالية مغرية.<sup>222</sup>

### 5) أحادية الثقافة وطبيعة الأفكار العقدية المتشددة:

يعاني كثير ممن ينضم إلى هذه الحركات من أحادية الثقافة فهو لم يقرأ ولا يؤمن بأي أفكار خارج سياق ثقافته الدينية وينظر إلى الثقافات الأخرى بازدراء مما يجعله فرصة سانحة للأفكار العقدية المتطرفة والتي تحاصره في فكر أحادي لا يقبل بالآخر وإن كان مسلماً مثله فيسير في فلکها طوعاً ويسهل استقطابه وتوجيهه.

220 مرابط بطل الشيشاني، السلفيون الجهاديون في الأردن وتأثيرات الصراع في سوريا، ص 59

221 نتائج لقاء أجراها الباحثان مع مجموعة من الشباب والمهتمين.

222 نتائج لقاء أجراه الباحثان مع مجموعة من الشباب والمهتمين.

## 6) اختلالات في التربية والعلاقات الأسرية:

تمثل الاختلالات في العلاقات الأسرية عامل دافع لدى الشباب لترك أسرهم والانضمام لهذه الحركات، حيث يتم استغلال سوء العلاقة بين الشاب وأسرته كما أن التربية الأسرية المتشددة تسهل لهذه الجماعات استقطاب أولئك الشباب وتمثل متنفس لهم للهروب من أسرهم.<sup>223</sup>

## 7) التهميش السياسي والاقتصادي:

يؤدي التهميش لدور الشباب وعدم قدرتهم في الاندماج في المجتمع إلى إيجاد روافع لخطاب ديني بديل يحقق لهم فرصة وجود ودور فاعل ويكون ملاذهم الحركات الراديكالية التي أساسا تعاني من التهميش والإقصاء فيتلاقى الهدفان وتكون النتيجة صراع مسلح بين الأنظمة وهذه الجماعات.<sup>224</sup>

## 8) الرغبة في الانتقام:

يعاني بعض الشباب من مشكلات اجتماعية وخلافات مع العديد من أفراد المجتمع حوله ويشعر بالقهر والغبن من نتائج هذه الخلافات، ولذا فإن عملية الاستقطاب تقدم لهم مغريات في المال والسلطة وتبيح لهم الانتقام من أعدائهم والأخذ بالثأر.<sup>225</sup> ولا أدل من ذلك العديد من المقابلات مع عدد من الشباب الذين أفادوا أن الانتقام كان أحد أهم الدوافع لهم في الانضمام لهذه الحركات.

## 9) البحث عن الهوية:

نتمثل مسألة الهوية الإسلامية أحد المنطلقات لدى الشباب في ظل تراجع الفكر القومي وضعف الولاء الوطني فكانت الهوية الإسلامية بديلا للشباب يبحث عنها لتمجيدها واستعادتها بدافع عقدي وهنا يأتي دور المرشدين من الجماعات الإسلامية

223 نتائج آراء عدد من الخبراء تم مقابلتهم لتحديد أسباب انضمام الشباب للجماعات الراديكالية المسلحة.

224 محمد أبو رمانه، هل هو ربيع القاعدة، مرجع سابق، ص21

225 سلطة المال والسلاح تجذب شباب "مثلث الموت" العراقي إلى "داعش"، جريدة الحياة اللندنية، 4

أغسطس/آب 2014، <http://goo.gl/uveiFc>

التي في جعبتهم الكثير مما يطرحونه في فكر الشباب الباحث عن هويته ويقدم لهم البديل المناسب والادوات والمساعدة عبر الانضمام لتلك الحركات.<sup>226</sup>

## 10) الاستخدام الفعال لمواقع التواصل الاجتماعي (الإرهاب الإلكتروني) مقابل غياب استراتيجية للتعامل مع هذه الظاهرة:

استطاعت الحركات الدينية المتطرفة المسلحة أن تستخدم التقنية المعلوماتية بكفاءة وفاعلية عاليتين، مكنها من نشر المعلومات بسرعة عبر شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي واستقطاب العديد من الشباب المستخدم لهذه المواقع وتهيئة فرص انضمامهم لها، حيث إن قيادات الجماعات تلعب مباراة سهلة في هذا الشأن لجذب الشباب الصغير اليأس من خلال تقديم الأمل لهم في حياة وعالم أفضل، كما أن تقنيات الإنترنت ووسائل الإعلام الاجتماعية والاتصالات السلكية واللاسلكية الجديدة سمحت بسرعة نقل الرسائل والأنشطة في وقت قصير، وبالمقابل على الرغم من اعتراف العديد من المعنيين في الدول العربية وحتى الغربية بقدرة هذه الحركات على استخدام مواقع التواصل وتقنية الاتصالات لتجنيد الشباب إلا أن استراتيجية التعامل معها قاصرة حتى الآن.<sup>227</sup>

### الأسباب والعوامل غير المباشرة:

#### 1) ضعف دور الدولة في تحقيق التنمية:

أدى ضعف دور الدولة في تحقيق التنمية وتحسين معيشة المجتمعات إلى بروز حرمان اجتماعي وارتفاع مستوى المعيشة وتحديدًا في تلك الدول التي اتجهت لإصلاحات اقتصادية زادت الطين بلة وكانت النتيجة مستوى حياة اقتصادي متردي وخدمات ضعيفة لا تفي باحتياجات المواطن، وأمام ذلك سنحت الفرصة للحركات الأصولية في لعب دور في هذه الجانِب في تلك المجتمعات واستقطاب أبناءها.<sup>228</sup>

226 صعود الراديكاليات الدينية في العالم العربي، مرجع سابق.

227 دراسة ترصد 10 أسباب وراء انضمام الشباب إلى الجماعات الإرهابية، بوابة الموجز، 20 أغسطس/آب 2015، <http://goo.gl/0TD14l>.

228 مرابط بطل الشيشاني، السلفيون الجهاديون في الأردن، مرجع سابق، ص 59.

## 2) الاختلالات في أنظمة التعليم:

يؤدي النظام التعليمي الذي يحتوي على قيم التحريض ورفض الآخر كما هو الحال بعض البلدان العربية إلى نشأة أجيال لديها اتجاهات للعنف وتهيمته فكرية لرفض الآخر والعنف معه وتقدم مناهج مصر والأردن واليمن والسعودية وبقية دول الخليج مثال واضحاً في هذا الإطار.<sup>229</sup>

كما سمح أو غرض الطرف لفترة لهذه الجماعات بأنشاء نظم خاصة بالتعليم لها تستقطب من خلالها الشباب في العديد من البلدان، حيث أنشأت ما يعرف بمراكز تقوية الإيمان، والمراكز والمدارس الدينية... وغيرها تمجد المجاهدين في أفغانستان وتقدم دروس في الجهاد في المجتمع الفاسد.<sup>230</sup>

يضاف إلى ذلك فشل أنظمة التعليم العربية في تناول العديد من المثالب في العملية التربوية فعوضاً عن غرس الوعي المدني ومبادئ المواطنة وقيم التضامن الاجتماعي والقبول بالآخر والتركيز على المهارات التحليلية الضرورية والتفكير النقدي، اعتمدت مناهجها على الأساليب التلقينية لا التفاعلية، وعلى التقبل غير النقدي لفكرة السلطة الهرمية من دون مساءلة. كما عززت مناهج التاريخ والتربية الدينية عقلية "نحن" في مواجهة "هم"، على أسس عرقية وإيديولوجية وطائفية، ما جعل الشباب عرضة لتأثيرات شتى وساهم في تغير المشهد الثقافي العربي بشكل جذري، وسهل انتشار الإيديولوجيات المتشددة والتلقين العقائدي المبكر للأطفال والشباب.<sup>231</sup>

## 3) المعارضة للإيديولوجيات:

كانت طلبان والقاعدة مع بداية نشأتها تقاوم إيديولوجية الاشتراكية ومن ثم تحولت لتقاوم إيديولوجية الرأسمالية الأمريكية وجاءت العديد من الحركات الجهادية

---

229 منار الرشواني، صعود الراديكاليات الدينية في العالم العربي الأسباب والمؤشرات والاستراتيجيات المضادة، ص113.

230 عبد الودود خربوش، سيكولوجية المتطرف الانتحاري، مرجع سابق ص 33

231 زهير المالكي، داعش الأسباب والنتائج، كتابات، مرجع سابق ص6.

لترتكز على الإيديولوجية كمسوخ لوجودها طالما هي تقاوم أي فكر يتعارض مع فكر إسلامي منتقى يرفض الآخر ويعاديه حتى إن كان إسلاميتهما واحدة.<sup>232</sup>

#### 4) الصراع الطائفي السني الشيعي:

في البلدان التي يتواجد فيها طائفتين سنية وشيعية يبرز صراع مذهبي واضح أسس لعداء بين الطائفتين ويجعل الخطاب الاجتماعي في اوساطهما عدائيا ويقابل ذلك ضعف الدور الرسمي في التعامل مع هذا الخطاب أو انخيازه لطرف على حساب الآخر، وهنا يأتي دور الحركات الراديكالية لتلعب دور المنقذ والمنتقم للمجتمع من الطائفة الأخرى وهو ما يجري في العراق وسوريا واليمن.<sup>233</sup>

#### 5) عدم الرضا عن الأنظمة السياسية التي ينظر إليها على إنها فاسدة:

إن حالة الإحباط التي لدى الشباب من الأحزاب والأنظمة السياسية تدفعهم إلى الانضمام إلى الحركات الراديكالية، سواء كان ميسور الحال أو من أسرة فقيرة، كما أن الشباب لم يجد قدوة سياسية، أو مشاركة في الحياة السياسية مما يدفعهم إلى الوقوف ضد تلك الأنظمة عبر البحث عن بدائل تعاديبها وتصارعها من منظور عقدي وهنا يأتي دور الحركات الراديكالية والفكر التكفيري المرتكز على القوة والعنف.<sup>234</sup>

#### 6) غياب الحرية الفكرية ومنابرها المشروعة:

تتسم أغلب البلدان العربية بكبت الحريات الفكرية وعدم اتاحة الحديث عن الأفكار السياسية والدينية ومختلف الإيديولوجيا المعارضة لأنظمة الحكم والنقد لها مما يفتح باب للبحث عن منابر أخرى يكون العنف عنونها الأبرز، حيث يؤدي هذا الكبت إلى حالة من العداء تجاه الأنظمة السياسية في تلك البلدان تستثمره الحركات الراديكالية في استقطاب الشباب الطامح والمكبوت.<sup>235</sup>

<sup>232</sup> ظهور الإرهاب في المجتمع الجزائري، الفصل الرابع صفحات متفرقة، بدون تاريخ.

<sup>233</sup> حيدر سعيد، مرجع سابق ص79.

<sup>234</sup> 4 أسباب تدفع الشباب المصري للهجرة إلى داعش، موقع اليوم السابع، 22 فبراير/شباط 2015،

<http://goo.gl/ZhF9Wl>

<sup>235</sup> نتائج مقابلات أجراها الباحثان مع مجموعة من المختصين.

ما هي تأثيرات انضمام الشباب والمراهقين إليها؟ جرى توجيه سؤال لمجموعة من المهتمين والشباب بشأن الجماعات الراديكالية في اليمن حول تأثيرات انضمام الشباب والمراهقين لتلك الجماعات فكانت الإجابة أن أبرز هذه التأثيرات تتمحور في الأبعاد التالية:<sup>236</sup>

**بعد التأثير على مستقبل الشباب المنضمين لتلك الحركات:** ففي إطار هذه البعد يفقد الشاب هويته وينساق إلى ممارسة الإرهاب وقتل الآخرين فيعيش حياته مطاردة من مكان لآخر لا يعرف الاستقرار ولا والأمان ويفقد قدرته على التحكم بنفسه ومصيره الذي يصبح ملك لتلك الحركات توجهه حيثما شاءت وقد يفقد حياته في عملية إرهابية يروح ضحيتها أبرياء وإن رفض الانصياع فقد حياته فهو في الحالتين ميت لا محالة.

**بعد التأثير على مجتمعات والدول التي تتواجد فيها تلك الحركات:** من البديهي عندما تفقد الدولة أو المجتمع طاقاته المتجددة وتتحول تلك الطاقات إلى مصدر للدمار والقلق وتؤثر على الأمن فإن حجم التأثير غير محدود في تلك المجتمعات والدول وخير مثلا تلك الطاقات الشبابية التي تحولت إلى مشكلة تتعاضم آثارها وتناحها السلبية في بلدان كالعراق وسوريا ولبنان وفي اليمن ومصر وليبيا وتونس الصومال... وغيرها شباب وأبناء تلك المجتمعات والدول هم من يقلق الأمن ويشير الفتن والحروب ويعيق التنمية في بلدانهم ومجتمعاتهم.

**بعد التأثير العالمي:** لم يعد خافيا على أحد حالة القلق التي يعيشها المجتمع الدولي من الحركات الراديكالية المسلحة وها نحن نرى التحالف الدولي كيف يواجه جهوده نحو حرب داعش وطالبان... وغيرها من الحركات المسلحة كونها باتت تهدد الأمن والسلام العالمي فلم تقتصر تهديداتها وعملياتها على الدول والمجتمعات التي تتواجد فيها بل وتجاوزت ذلك إلى العديد من بلدان العالم في أوروبا والولايات المتحدة وأستراليا... وغيرها.

---

236 نتيجة جلسة مقابلات أجراها الباحث لبيب إسماعيل مع شباب وسياسيين ومهتمين بشؤون الجماعات الإسلامية المسلحة في اليمن.

وقد أدى هاجس القلق الدولي إلى تبني قرارات أممية وإقليمية تجاه هذه الحركات لمحاربتها والحد من تأثيراتها العالمية.<sup>237</sup>

**ما الذي يجب عمله للحد من مشكلة انضمام الشباب إليها؟ إن إيجاد حلول تخفف من مستوى استقطاب الحركات الراديكالية المسلحة للشباب يجب أن يتم من خلال تطبيق سياسات عالمية وإقليمية ووطنية تعمل على:**

■ تجفيف مصادر التمويل لهذه الجماعات بالعمل المشترك على خنق التمويل المالي واقامة عقوبات على الدول التي تتساهل في تمرير عمليات غسل الأموال أو التحويلات لهذه الجماعات.

■ تفعيل دور المؤسسات الدينية من خلال حوكمتها ومنحها الاستقلالية وتحميلها مسؤولية التوعية المتوازنة والمعتدلة في مجتمعاتها.

■ إطلاق استراتيجية مكافحة الاستقطاب للشباب عبر المواقع الاجتماعية، بحيث يتم رصد ومتابعة المواقع التي تقوم بعمليات استقطاب الشباب والتعامل معها أول فأول.

■ إطلاق برامج وطنية لتحسين المناهج وحصر التوعية بالدين من منطلقات معتدلة بالمؤسسات الدينية الرسمية.

■ تبني مشروع عالمي لتحسين معيشة المجتمعات المهمشة في دول الصراع التي تتخذها هذه الحركات حواضن اجتماعية لها.

■ إيجاد سياسات وطنية وإقليمية تشجع الانفتاح الفكري الإسلامي وتفعيل النقاشات والمناظرات ونشر الأفكار وتبادلها وتعميق احترام الآراء والأفكار بشفافية.

■ إطلاق حملة إعلامية ابتكارية عالمية للتوعية بمخاطر ما تقوم به هذه الجماعات ونشرها في مختلف وسائل الإعلام، بحيث يكون النشر لهذه الإعلانات مجاني ومساهمة من تلك الوسائل الإعلامية في الحد من الإرهاب (تحالف إعلامي دولي ضد الإرهاب العالمي).

---

237 مثال القرار الأممي رقم (2249) الخاص بمكافحة الإرهاب والذي بموجبه يتم ضرب داعش، قرار الجامعة العربية رقم ((7/9/2014) - (ق: رقم 7804 - د. ع ( 142 ) - ج) حول صيانة الأمن القومي العربي ومكافحة الجماعات الإرهابية المتطرفة.



## الأبعاد المحلية لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية

عمر سمير خلف

### مقدمة:

ليس ثمة شك في أن هناك أسبابا عديدة لانضمام الشباب لجماعات العنف الراديكالية، لكن التطورات المحلية المرتبطة بالصراعات الممتدة عبر المنطقة والمستمرة عبر الزمن وبنافجار موجات الغضب التي عرفت بالربيع العربي تمثل حالة خاصة من التفاعل الحي والدراماتيكي للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والهوياتية على مستويات محلية وإقليمية ودولية لإنتاج هذه الحالة من العنف من قبل تلك الجماعات والعنف المضاد من قبل الأنظمة تجاه هذه الجماعات وتجاه قوى التغيير الديمقراطي والاجتماعي والاقتصادي وإن بدرجات متفاوتة.

إذ تعبر هذه الموجة عن تراكمات الغضب من السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي أثرت على شكل التطورات المحلية لمجتمعات دول الربيع العربي كما للمجتمعات العربية التي تبدو مستقرة نتيجة للرشى الاقتصادية والاجتماعية، هناك تطورات ذات أبعاد محلية قوية كانت مؤثرا في انضمام العديد من الشباب لهذه الحركات والتي سوف تقوم هذه المقالة البحثية برصدها في النقاط التالية:

### أسباب محلية متعلقة بالتهميش والفقر والصراع:

لعل الحالات التي تشهد نشاطا واسعا لجماعات العنف الراديكالية التي تستهوي الشباب، تعاني من التشوهات الاقتصادية والاجتماعية والخلل الكبير في توزيع الدخل ومعدلات عالية من البطالة وبالذات في الدول التي تشهد صراعا سياسيا ممتدا حتى في ظل وجود ديمقراطية انتخابية فنيجيريا والعراق وأفغانستان وباكستان كلها نظم تشهد عمليات انتخابية وديمقراطية شكلية، لكن اقتصاداتها تعاني من خلل جوهري سواء في توزيع الدخل والثروة بين الأفراد أو بين المناطق المختلفة ويمكن أن تتطابق عملية التوزيع هذه مع انتماءات عرقية ودينية وطائفية، وهذا لا يعني أن من لم يتعرضوا للتهميش والفقر لم ينضموا لتلك الجماعات فالكثير من أعضائها هم من

ذوي المستويات الاقتصادية والتعليم والدخول المرتفعة أحيانا، لكن هذه تظل حالات محدودة يمكن تفسيرها نفسيا بعمليات تأنيب الضمير لسوء أحوال الآخرين أو حتى المسؤولية الأخلاقية تجاههم.

وفي دراسات اقتصاديات الحرب، وبالذات في حالة البلدان التي تعاني من صراعات ممتدة ومستمرة، يصبح الانضمام إلى الجماعات المتطرفة أمرا مربحا وفي بعض الحالات التي تضيق الأنظمة السياسية فيها الخناق على مناطق محدد ومدد طويلة يصبح الانضمام إلى تلك الجماعات الملاذ الأخير للهرب من الجوع والفقر وينطبق هذا بشكل واضح على العراق وسوريا،<sup>238</sup> حيث طال أمد الصراع ومن ثم تزايدت رغبة الأفراد في الانتقام لمقتل ذويهم وتحولت ثقافة الاستشهاد والقتال وسيلة للحياة، ولعل اختيار تنظيم الدولة لسوريا والعراق باعتبارهما الحلقتين الأضعف في الشرق الأوسط يفسر كيف يؤدي تشابك المذهبي والطائفي مع الاقتصادي والاجتماعي إلى مزيد من الأعضاء والأنصار والمتعاطفين، إذ بينما تعجز الحكومة عن توفير الرواتب لشهور فإن هذه التنظيمات المتطرفة كتنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة وحركة أحرار الشام وغيرها من الحركات الراديكالية تتنافس في جذب المقاتلين إلى صفوفها عن طريق ما تقدمه من مزايا وحوافز اقتصادية واجتماعية، حيث استولى تنظيم الدولة الإسلامية على مناطق غنية بالموارد، بدءا من أواسط العام 2014، في محافظة الرقة الشمالية، وفي المحافظات العراقية التي سيطر عليها وأصبح في خاتمة المطاف مكتفيا ذاتيا على المستوى المالي في سورية من خلال بيع النفط، والقمح، والمياه، وطلب الفدية مقابل إطلاق الرهائن الأجانب، وفرض المكوس والضرائب على السكان المحليين، وبالتالي فالعديد من أعضاء داعش انضموا إلى هذا التنظيم لدواع اقتصادية. ففي سوريا، على سبيل المثال، تخلى بعض مقاتلي الجيش السوري الحر عن مواقعهم، التي كانت تدر عليهم 60 دولارا شهريا، للانضمام إلى جبهة النصرة، التي عرضت

---

238 Vaira Vike-Freiberga and Peter R. Neumann, ICSR Insight – Violence and Its Causes, 16/10/2015, at: <http://is.gd/VLI2AR>

عليهم 300 دولار شهريا، ثم التحقوا فيما بعد بتنظيم الدولة الإسلامية الذي عرض عليهم رواتب أعلى.<sup>239</sup>

وفي ليبيا أيضا يسعى التنظيم والتنظيمات الراديكالية الأخرى للسيطرة على مصادر النفط ومخازن السلاح بحيث تتاح له موارد تمكنه من تجنيد المزيد من الشباب سواء من ليبيا أو من دول أفريقيا، حيث دائما هناك قطاع من الشباب يسعى للانضمام للأقوى والأكثر قدرة على السيطرة وفرض إرادته على الآخرين، مستغلا أزمة الشرعية الموجودة في البلاد منذ انتهاء ولاية المجلس الوطني الانتقالي.

### تطورات محلية ذات أبعاد تعليمية وثقافية:

لا يرتبط الأمر هنا بالتعليم الديني بقدر ما يرتبط بما تبثه المؤسسات الدينية الرسمية من خطابات، وما تقوم به السلطات من سياسات للسيطرة على المجال الديني، ومحاولة توجيهه بعيدا عنها بحيث تركز الخطابات الدينية الرسمية على جانب العبادات بشكل يبدو مكررا ورتيبا، وتحتزل العلاقة بين الحاكم والمحكوم في اعتباره ظل الله على الأرض مع تحميل المجتمع كافة خطايا الحكام باقتطاع نصوص من سياقها وتوظيفها لترهيب من يفكرون في الخروج عليها،<sup>240</sup> ما يفعله هذا الخطاب وهؤلاء الأئمة الرسميون يدفع لأقصى درجات الانفصام بين الدين والواقع الذي يفترض فيه معالجته لا الانفصام عنه، والعجيب أن هذا يحدث تحت بند تحديد الخطاب الديني، لكنه بصيغته هذه سيدفع لمزيد من التطرف والعنف، فهذا الخطاب يفقد مصداقيته، وفي سياق فشل الخطاب الإسلامي السياسي في الإصلاح عبر التحالف مع أجهزة الدولة كما في الكثير من التجارب بالذات في مصر وليبيا والمن، يؤدي لبحث الشباب عن خطابات أكثر إقناعا من هذه الخطابات الأمنية، ومن ثم الوقوع في شرك الحركات الراديكالية العنيفة، باعتباره بديلا أكثر عقلانية من خطاب الدولة القمعي وخطاب القوى الإصلاحية الساذجة.

239 لنا الخطيب، استراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية: باقية وتمتد، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 29

يونيو/حزيران 2015، <http://is.gd/QGUxKw>

240 انظر نص خطبة لجمعة المنشور على موقع وزارة الأوقاف المصرية 11 ديسمبر/كانون أول 2015،

<http://is.gd/OCJzD4>

يضاف لذلك أن كثيرا من عمليات العنف السياسي التي وقعت في الدول العربية وعبر بلدان العالم هي ناجمة عن تحييشات طائفية ودينية، أو حتى تشهد نموا لليمين المتطرف الراض للآخر غير المنتمي لنفس القومية، كما في بعض الدول الأوروبية التي لديها يمين قوي، ومن ثم كان الاستهداف على أساس مذهبي وطائفي ما بين أبناء الدين الواحد، وعلى أساس ديني ما بين أبناء الأديان المختلفة، هذا ناتج مباشر لغياب قيم المواطنة التي نادى بها ثورات الربيع العربي، هذا الأمر لا يقتصر على دول العالم الإسلامي لتي سرعان ما تتخذ موقع المدافع عن نفسه بمجرد وقوع أي حادث إرهابي في الغرب بينما هي لا تسأل نفسها الأسئلة الجدية لفهم ما يحدث داخلها من تطرف وعنف، ولعل موجات الاستهداف للمسلمين في أوروبا المرتبطة بالإسلاموفوبيا ولا يتم تصنيفها باعتبارها أعمالا إرهابية عادة تحدث وتزايد عقب كل عمل إرهابي يستهدف هذه البلدان.

وحتى إذا تحدثنا عن المقاتلين الأجانب في صفوف الدولة الإسلامية سواء ما يتبنونه من عمليات عنيفة داخل دولهم أو ما يقومون به من عمليات داخل سوريا والعراق وبلدان أخرى واللذين يتزايد أعدادهم باضطراد<sup>241</sup> فإن العديد من هؤلاء مسلمون جدد أو من الجيل الثاني ويتلقون خطبا دينية من قبل خطباء إما من نفس جنسيتهم أو معينين من قبل المؤسسات الدينية الرسمية في دول جنوب المتوسط من خلال اتفاقات ثنائية بين البلدان الأوروبية وبعض البلدان كمصر وتونس والمغرب لتأهيل وتدريب الأئمة وبالتالي فإن هذا الخطاب الرسمي لهذه المؤسسات يحتاج لتجديد حقيقي.

### تطورات محلية متعلقة باليأس من إمكانية التغيير السلمي:

نجحت هذه العوامل من تعامل الأنظمة الحاكمة سواء تلك التي قامت عليها الثورات أو التي أتت بعد الثورات بنوع من التخوين والتشويه لكل ما هو ثوري ونوع من الريبة والشك تجاه حتى القوى الإصلاحية القريبة من تلك النظم في الأفكار

---

241 Swati Sharma, Chart: The number of foreign fighters in Syria surged in 2015, Washington Post 7th décembre 2015, at: <https://is.gd/create.php>

والإيديولوجيا اليمينية اقتصاديا على الأقل، هذه الريبة والشك والتشويه والتخوين تحول لسياسات عنف ممنهجة من هذه النظم تجاه الجميع بحيث أصبحت الأجهزة الأمنية تتصرف باعتبارها تنتقم من الشباب تحديدا وتقوم برد اعتبارها، هذه الحالة خلقت المئات من حالات التعذيب للشباب من كافة التيارات داخل سجون وأقبية النظم العربية عبر السنوات الخمس الماضية ربما أضعاف ما كان سائدا قبيل الثورات.

لعل من بين التحليلات اللافتة للنظر ما أشار إليه البعض عقب تزايد موجات العنف التي تحدث داخل الغرب الأوروبي والأمريكي تحديدا بينما المفارقة أن 83% من ضحايا الإرهاب في الفترة من 2000: 2013 كانوا من خمس دول هي (العراق وسوريا وأفغانستان وباكستان ونيجيريا)<sup>242</sup>، وهذه الدول في حقيقة الأمر تشهد صراعا سياسيا معقدا ومن ثم يسهل تفسير العنف فيها بمقولة "العنف يولد العنف"، حيث عنف سياسي وطائفي موجه من قبل السلطة تجاه مجموعات بعينها ومن قبل هذه المجموعات تجاه السلطة وتجاه بعضها البعض،<sup>243</sup> ويمكن أن تكون هذه الدائرة اتسعت لتشمل مصر وليبيا واليمن، ومعظم هذه الحكومات تدعوا إلى تطوير الخطاب الديني وتحديده، لكن ربما طريقتها في التطوير والتحديد بحيث يبدو تحديدا لخطاب لا يعارض السلطة القائمة، باعتبار أن العنف الموجه ضد هذه السلطة هو الإرهاب والتطرف فقط، ومن ثم تؤدي السياسات المبنية على هذه الرؤية لمزيد من التطرف كرد فعل على هذه السياسات وليس كرسبة أصيلة في التطرف.

لعل ارتفاع معدلات العنف والتطرف في دول الربيع العربي مثلا واضحا على آثار عملية اليأس من التغيير السلمي عبر الآليات الديمقراطية كالانتماء للأحزاب وخوض الانتخابات المحلية والتشريعية وإنشاء الصحف أو المواقع الإلكترونية، إذ

---

242 Global Terrorism Index 2014, P13, available at: <http://is.gd/XFyHy2>

243 Mark Clark, Youth and Violent Extremism in the MENA Region: Risk and preventive factors of youth violence in the MENA region in the context of ongoing crisis. , Generations for peace institute website at: <http://is.gd/IMZbhc>

تحولت معظم الكتلة الشبابية في هذه الدول إلى السكون والميل نحو عدم المشاركة، ومن ثم لم يبد الفعل البديل لبعض هؤلاء الشباب واضحا ومن هنا نجد أنه حتى الحركات الإسلامية التي كانت توصف بالوسطية بدأ الشباب المنضمون حديثا لتنظيمات عنيفة كتنظيم الدولة الإسلامية يكفرونها علنا مجرد مشاركتها في عملية انتقالية كان يفترض فيها استيعاب الجميع لكنها لم تنجح.

هذا لا ينفي أن المنتمين لحركات متطرفة هم بالأساس ضد هذه العمليات السياسية سواء الانتقالية أو المستقرة لكن، انعدام أفق هذه المسارات أدى لجاذبية خطابات حركات العنف الراديكالية الجديدة عن طريق طرح أسئلة استنكارية من حين لآخر من قبيل "ماذا نجم عن اتباع دول الربيع العربي المسارات السلمية في مكافحة النظم الاستبدادية؟"

### أسباب محلية خاصة بضعف الدولة:

حيث تشهد معظم الدول العربية ودول العالم الإسلامي التي ينتشر فيها التطرف والإرهاب ضعفا للدولة كمؤسسات وخدمات عامة، بينما تشهد نظما سياسية قوية نوعا ما وقادرة على الاستمرار رغم اشتداد موجات العنف سواء ضد الحكومات أو حتى ضد المدنيين، وهذه النظم تستفيد من بقاء التطرف واستمراره لأنها دوما ما تحير المواطنين بينها وبين الفوضى، ثمّة دور وظيفي للإرهاب والتطرف والحرب عليه إذ ربما يتخذ ذريعة لتبرير تحالفات خارجية أو سياسات محلية، فمثلا عادة ما تبرر باكستان علاقاتها القوية مع الولايات المتحدة الأمريكية بالمساعدات التي تقدمها الأخيرة لها في الحرب على الإرهاب، بينما هناك مصالح عسكرية قوية بين البلدين في إطار التنافس بين الهند وباكستان على إقامة تحالفات أكثر مع القوى الكبرى، فيما أجادت العديد من الأنظمة العربية استخدامات خطر تنظيم القاعدة، وهو حقيقي، لأغراض الحفاظ على هذه الأنظمة أو لتحديد شرعيتها الخارجية<sup>244</sup>، في إطار الربيع العربي استخدمت كل الأنظمة التي قامت ضدها الحركات الشعبية العربية تعبير الحرب ضد

---

244 فواز طرابلسي، القاعدة في استخدامات "القاعدة"، السفير العربي، 27 فبراير/شباط 2013، <http://is.gd/Mb7q6l>

المجموعات الإرهابية المسلحة، حتى قبل أن تتحول الثورات لنمط العنف ضد هذه النظم، واستخدمت مساومات بقاء هذه الأنظمة مع الفوضى، وهو ما يشير إلى دور هذه الأنظمة ذاتها في صناعة الفوضى وتحويل الشباب إلى اليأس من إمكانية التغيير.

هذا الضعف يظهر واضحا في انتشار عمليات العنف بشكل واسع مؤخرا في حالات عدة كما في اليمن عقب سيطرة الحوثيين على السلطة منذ سبتمبر/أيلول 2014، وفي مصر عقب الثلاثين من يونيو/حزيران 2014، وفي ليبيا عقب أزمة الشرعية بين برلمان طبرق والمجلس الوطني الانتقالي الذي انتهت ولايته منتصف 2014 حيث بدت الدولة أكثر ضعفا في مواجهة العنف بينما النظام أصلا جاء بشرعية مواجهة العنف والإرهاب الذي كان محتملا، رغم تشديدها على القوانين التي تجعل التعبير السلمي عن الرأي أمرا شبه مستحيل، وأصبح الاستقطاب حادا بين القوى السياسية الرئيسية، وهنا تكمن حالة ارتباط التطرف الراديكالي بالعنف السياسي وإن بدرجات متفاوتة في الحالات السابقة.

#### خاتمة:

يمكن القول أن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن فشل السياسات المحلية في تحقيق قدر مقبول من العدالة في التوزيع للدخل والثروة والخدمات تعد سببا قويا لانضمام الشباب لهذه الحركات الراديكالية العنيفة، لكنها غير كافية لتفسير العنف المفرط الذي تتبعه هذه الجماعات، ومن ثم يصبح العنف الممارس من قبل السلطة يولد مزيدا من العنف الناجم عن مظلوميات هذه الجماعات، لكن أيضا فإن هذا العنف وهذه السياسات وحدها غير كافية لتوليد هذا القدر من العنف والراديكالية الذي تبدو عليه حركات مثل داعش والنصرة وأحرار الشام وبوكو حرام، لكن تراكم السياسات التي جعلت من الإرهاب سواء من قبل السلطة أو تلك الجماعات يؤدي دورا وظيفيا لكلا الطرفين خصوصا في الحالات التي تتشابك فيها الطائفية مع الصراع السياسي الممتد.

وبعبارة أخرى فإن المظلوميات وحدها أو وجود الأفكار المتطرفة لا تؤديان للعنف تلقائيا لكن عندما تجتمعان مع صراع سياسي عنيف وممتد يصبح العنف والتطرف

نتيجة شبه حتمية، ولا يمكن معالجته دون معالجة الجذور السياسية والاقتصادية والاجتماعية له بالتوازي مع محاربه أمنيا، إذ أن اتباع نمط قمعي وعنيف من قبل الدولة يزيد من امتداد الحلقات المفرغة للعنف، مع وجود دين رسمي للدولة مختلف مع دين المجتمع ومعاشه يسهل تكفير خطابه لانفصامه عن المجتمع.

وعلى الصعيد الاقتصادي والاجتماعي فإن تبني سياسات إصلاحية بطيئة في لحظات ثورية أو لحظات تحول تتطلب تغييرا أكثر جذرية، يضع متبنيها في مرمى الجميع ويدفع بقطاع من المجتمع نحو السخط على الجميع والشعور بالعدمية، لعل عام الإخوان المسلمين كان كفيلا بإعطائنا درسا في هذا الصدد إذ قامت المجموعات المتطرفة التي كانت تقف على يمينهم بتكفيرهم وهم في أوج سلطاتهم في قصر الرئاسة، ولعل الخط يستقيم في المرحلة التالية عليهم إذ لا تغييرات حقيقية في جوهر السياسات.



# السياسات المحلية وتغذية الراديكالية لدى الفئات الشبابية

فؤاد غربالي

## مقدمة

يتضح من خلال تتبع ظواهر الراديكالية وبشكل خاص الراديكالية الدينية التي تعتمد العنف الجهادي كأداة لتحقيق رؤية وتمثل سياسي للدولة والمجتمع أن أغلب الفاعلين فيها هم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة وهو أمر ذي دلالة من الناحية السسيولوجية يجعلنا نتساءل بدرجة أولى عن السياقات الماكرو والميكرو سسيولوجية التي تدفع بعديد الفئات الشبابية للانخراط في الجماعات الجهادية المسلحة التي صارت تتنامى بدرجات متفاوتة في عدة بلدان عربية مشكلة عدة تحديات أمنية على رسمي السياسات العمومية في هذا البلدان وعلى هذا الأساس يصير من الأجدى، من أجل فهم وتفسير لهذه الظاهرة المعقدة والمتعددة الأبعاد التفكير في الخيارات السياسية والاقتصادية التي دفعت بعده شباب سواء من أبناء الفئات الاجتماعية الفقيرة أو الطبقات المتوسطة المتدرجة في السلم الاجتماعي وفي هذا الصدد تغدو مساءلة السياسات المحلية منطلقاً لفهم وتفسير الظاهرة الجهادية بماهي خيار راديكالي عنيف ولعل السياسات المحلية المعتمدة في عدة بلدان عربية والمتعلقة خاصة بالتعليم والتشغيل والفضاءات الترفيهية والأمن وحقوق الإنسان ويغلب على هذه السياسات في غالب الأحيان الطابع المركزي والتسلطي وخاصة فيم يتعلق بالشباب وعلى هذا الأساس فإن الإشكالية الرئيسة لهذه الورقة تتجه بنا إلى طرح التساؤل التالي: كيف يمكن الربط بين ديناميكيات المحلية ودورها في "إنتاج" النزعة الراديكالية؟ ولعل إرجاع الظاهرة الراديكالية العنيفة لدى الشباب إلى السياسات المحلية هو نقض للخطابات الإيديولوجية المهيمنة التي تتجه إلى تفسير الظاهرة عبر نزعة ثقافية تفسر العنف الراديكالي عبر المرجعيات الدينية بوصفها

مرجعيات جوهرانية ثابتة في حين "تناسى" الخيارات السياسية التي أفرزت الظاهرة الجهادية بوصفها ظاهرة سسيولوجية وتاريخية محكومة بديناميكيات المحلي.

## I. سياسة تخلي الدولة وتآكل الطبقات المتوسطة:

لقد كانت فترة الثمانينيات مرحلة حاسمة في التاريخ الاجتماعي المعاصر للدولة الوطنية حيث اتسمت تلك العشرية بأزمات سياسية، واقتصادية واجتماعية تولدت عنها عدة حركات احتجاجية أو ما يسمى في القاموس الرسمي "بالأحداث الحضرية"، وهي تسمية تهدف إلى نزع الطابع السياسي عن تلك الاحتجاجات واختزلها في مجرد أعمال شغب وعنق يستوجب قمعها. يفسر كلود ليوزي تلك الاحتجاجات التي عرفتها جل البلدان المغاربية وبشكل خاص تونس بكونها تعبير عن "انفجار للحاجات" ورغبة جامحة من الفئات الوسطى والفقيرة في الانخراط بشكل كامل في مجتمع الاستهلاك خاصة وأن المدينة "تجسد وتثير وتحبط نوبة من الاستهلاك" الذي تحول إلى مرجعية لتحقيق الذات ونزع الاعتراف وهذا ما لم تقدر عليه الفئات الشعبية التي وجدت نفسها في إطار تناقض وتباعد بين النموذج الحضري للاستهلاك وبين عدم توفر الإمكانيات الحقيقية للانخراط في نموذج الاستهلاك بشكل كامل دون إحباطات، ومن بين الرغبات الغير متحققة لدى فئات واسعة من الطبقات المتوسطة التي بنت حراكها الاجتماعي على الدولة الراعية هي رغبة "الحصول على مسكن" وهي رغبة ذات بعد ثقافي ورمزي. في هذا الصدد يشير صالح الحمزاوي إلى إن "أية دراسة للمجال الحضري لا تأخذ بعين الاعتبار المعايير الثقافية التي تحدد جزئيا إدراكات واستعمالات المجال هي دراسة منقوصة وتبسيطية"،<sup>245</sup> وعلى هذا الأساس فالسكن بلغة مانويال كستال "هو عالم العلامات وهو عالم مشحون بالدوافع الإحباطات وإدارة تلك الرموز له دلالة قوية من حيث الإدماج الاجتماعي والتطور

---

245 Salah Hamzaoui, "logement et conduites économique" in Système de développement urbaine au Maghreb,(Tunis: Edition Cérès, 1980), p.43.

النفسي لهؤلاء المتساكنين<sup>246</sup> وقد أصبح مجال السكن أحد الأشكال الجديدة المعبرة عن "النقص في الإدماج الاجتماعي وعن خيبات حيث تستشعر بقسوة الفجوة القائمة التي تفصل الواقع عن الطموحات".

لا يمكن فهم إحباطات الفئات الفقيرة والمتوسطة من "وعد التنمية" إلا بربطها بتآكل إيديولوجيا دولة الرعاية الاجتماعية التي لم تعد قادرة على الوفاء بالتزاماتها الاجتماعية بعد أن بنت إيديولوجيتها تحت يافطة "تحقيق الرفاه للجميع"، إذ تتخلى الدولة اليوم عن التزاماتها تحت ضغط مضاعف داخلي وخارجي بعد أن بنت شرعيتها منذ الاستقلال على أولوية المسألة الاجتماعية. تشير الباحثة الفرنسية Sylvia Chiffolleau في كتابها المعنون بـ "المجتمعات العربية في حركة: ثلاث سنوات من التغيير" أن جل المجتمعات العربية قد أخذ نصيبها من فك التزام الدولة والدعم المتزايد للقطاع الخاص، وقد كان من نتائج تراجع تدخل الدولة ليس فقط بروز مشروعات مجتمعية جديدة ولكن تآكل بشكل خاص الأنظمة العمومية الموجودة وفي ضل سياق تزايد فيه اللا مساواة فإن الطبقات المرفهة بإمكانها التعويل على قطاع خاص بصدد التمدد في حين أن الفئات الهشة تفضل تابعة لقطاع عمومي في حالة رثة. فالتعليم والصحة بوصفهما رمز قوي للسياسات التنموية والاجتماعية قد تأثرا بشكل مخصوص بهذا الاستقطاب الذي يشي بولادة مجتمع يسير بسرعتين<sup>247</sup>.

### سياسة صناعة الفقر الجديد:

لقد كان الفقر دائم الحضور في السياق التونسي خاصة بعد 14 يناير/كانون ثان حيث انكشف "وهم المعجزة التونسية" إذ تبين أن نسبة الفقر تعادل 25 بالمئة وأن "التلميذ النجيب" للبنك الدولي هو "تلميذ فاشل" إلا أن هنالك أشكال جديدة للفقر قد برزت منذ فترة الانخراط في "اقتصاد السوق" أو ما يعرف بفترة الانفتاح الليبرالي التي جاءت تحت توصيات إملاءات البنك الدولي في إطار ما يعرف بإعادة

246 Castels (Manuel) La question urbaine (Paris, Maspero: 1974), p. 190.

247Chiffolleau (Sylvia), Sociétés arabes en mouvements: trois décennies de changements (Paris: L'Harmattan 2013), p 16.

الإصلاح الهيكلي ويرتبط ظهور "الفقراء الجدد" بأزمة الشغل ولكن أيضا بالتحويلات التي يشهدها عالم العمل وبداية تآكل الطبقة المتوسطة.

يتبين التحول الحاصل في عالم العمل في مستوى تراجع العمل القار، حيث أصبحنا في سياق "مجتمع ما بعد الأجرة" إزاء عمل يتميز بعدم الثبات والمرونة، وهو ما يعني "تفريد" عقد العمل و"تحريره من صرامة الاتفاقيات الجماعية، ومن تحكيم أو تدخل الدولة"<sup>248</sup>.

على هذا الأساس وكما يشير كلود ديبار<sup>249</sup> نكون إزاء تعويض للعمل المعياري بالعمل غير المعياري "فالنمو الاقتصادي تحت شروط السوق العالمية يجعل من تصور التشغيل التقليدي الكامل، أي مناصب العمل المستمرة مدى الحياة مع ما يتبعها من ترقية وما إلى ذلك تصورا قديما" فسوق الشغل يسير نحو تقليص الضمانات المتمثلة في أنظمة الحماية الاجتماعية.

وقد أصبح هذا التحول الذي عرفه بعالم العمل أحد الآليات التي تغذي الأشكال الجديدة للتهميش في الفضاءات الحضرية، وتؤدي إلى تحطيم الهوية المهنية فبحسب Robert Castel "إن وضعيات عدم الثبات إزاء العمل وضعف الشبكة العلائقية كثيرا ما تتسم بمخاطر الاتجاه نحو نوع من العطوية الاجتماعية وفك الارتباط الاجتماعي"<sup>250</sup>، حيث يواجه الفرد بشكل مزدوج فقدان العمل والعزلة العلائقية، خاصة في ضل انهيار الدعائم السابقة التي تحقق له جملة من الدعائم والضمانات إذ بتنا نعيش "تھاوي المؤسسات"، وهو تھاو يخص المؤسسات التي قامت مع المشروع التحديثي والمتمثل في تطابق كامل بين الدولة الوطنية والمجتمع. في هذا

---

248. فتحي الرقيق، من مرونة العمل إلى مدينة المشروعات، صفاقس: دار محمد علي للنشر، 2009. ص.

249 Dubar Claude " De l'école à l'emploi: les parcours précaires " in Serge Paugam dir, l'exclusion: l'état des savoirs (Paris: la découverte, 1996), p184.

250 Robert Castel, " La Dynamique de marginalisation: de la vulnérabilité à la désaffiliation " in Cahier de recherche sociologique, n° 22. p. 19.

الصدد يرى Danilo Martucelli أن "الوهن المتوقع للمؤسسة كما تعبر عنه كلمة تحمل المؤسسة يعني أن كل ما كان بالأمس يعهد للكفالة الجماعية قد أضحى يترك أكثر فأكثر للفرد نفسه، هذا الذي عليه أن يتحمل لوحده مصيره الخاص، وكأن ذلك هو مسار حياته الشخصية"<sup>251</sup>، بهذا المعنى يعاد اليوم في ضل هذا السياق إعادة تشكيل المسألة الاجتماعية، حيث أصبح الإقصاء يشمل كافة نطاقات الحياة الاجتماعية ولم تعد "الصراعات الاجتماعية مرتبطة بالعمل ولكنها صراعات تتأسس حول القدرة على تحقيق الاندماج والخوف من الإقصاء"<sup>252</sup> الذي يرى فيه Pierre Rosanvallon أنه "نتاج لصيرورة تفتت وفجوة في النسيج الاجتماعي"<sup>253</sup> في حين يعده Michel Wewiorka فكرة تحيل على "الفراغ الاجتماعي اللا معيارية والحرمان والمعاناة أو فقدان الموجهات" في حين يرى Robert Castel أن هذا المفهوم هو مفهوم مفخخ ومطية سهلة وطبيعة لكل ضروب المناقشات السياسية والإيديولوجية باعتباره يفتقد إلى المتانة النظرية.

## II. الراديكالية: في ضل سياسة محلية اللامساواة

يرى الباحث المغربي محمد الشرقاوي<sup>254</sup> أن هناك ثلاثة أقطاب رئيسية داخل أي مجتمع وهي: الاجتماعي، والديني، والدولة. وعادة ما تتكفل الدولة في المجتمعات الحديثة بالاجتماعي ولكن في اللحظة التي تتخلى فيها الدولة عن التكفل بالمسألة الاجتماعية فإن الديني هو من يتولى ذلك والمقصود بالديني، هو جل الحركات التي تستند إلى مرجعية دينية لتبرير فعلها وحضورها في الفضاء العمومي. يتأكد هذا الأمر في حي العقارية من خلال الحضور الكثيف للمجموعات السلفية وجماعات الدعوة

251 Martucelli (Danilo) la grammaire de l'individu, (Paris, Gallimard, 2002), p. 347.

252 Pierre Rosanvallon, La nouvelle question sociale, Repenser l'Etat providence, (Paris: Seuil, 1995), p. 118.

253 Castel (Robert) "les pièges de l'exclusion" in Lien social et politiques n 34, 1995 p 118.

254 قيلت هذه الفكرة في إطار محاضرة ألقاها محمد الشرقاوي في افتتاح المؤتمر التاسع عشر للجمعية العالمية لعلماء الاجتماع الناطقين باللغة الفرنسية الرباط 2-4 يوليو/تموز 2012

والتبليغ وكذلك مظاهر التدين التي تبدو على البعض من الشبان الذين سلكوا قبل تدينهم مسار الانحراف بل وتجربة السجن. إذ يبدو استدعاء القيم الدينية كدعامة رمزية في ظل غياب الدعامات الأخرى، أحد الآليات التي تمكن من مقاومة مع واقع تجربة الإقصاء الاجتماعي بوصفها تجربة تضعهم على "الهامش" وتسجنهم في "اللا مرئية الاجتماعية" حيث يرى البعض من الشبان العاطلين أن "البطالة هي قضاء وقدر" كما لا يخفي البعض منهم نوع من "التدين" الصريح والمرئي ( اللحية والقميص) مع مواظبتهم على أداء الصلاة في أوقاتها والإصرار على أن تكون في المسجد، ليظهر الدين بهذا المعنى كقيمة ملجأ وكإطار انتماء، يمنح المعنى ويعيد الاعتبار إلى ذاتية مجروحة ومنزوعة الكرامة، وهو ما تعمل الحركة السلفية بشقيها العلمي والجهادي داخل الحي على تأكيده حيث تسفيد المجموعات السلفية بشكل كبير من الإحساس بالظلم والمعاناة لدى شباب الحي، كما تستفيد كذلك من غياب الدولة عن الفضاءات المهمشة ومن تخلي الأحزاب السياسية والمجتمع المدني عن أدوارها التأطيرية حيث تعمل على "الأدلة الدينية للإحساس باللا مساواة" وتحويله إلى ممارسات وخطابات تستلهم مرجعياتها من النصوص الدينية، لتتشكل بذلك المجموعات السلفية بوصفها إطارا للممارسة السياسية على هامش الدولة والمؤسسات مثلما ترى الباحثة ألفة الموم<sup>255</sup>، حيث تمنح تلك المجموعات للفئات الشبانية المنخرطة فيها أطرا للفعل الجماعي وإمكانات لمقارعة "المجتمع" و"الدولة" في الآن ذاته بوصفهما مصدر "الفساد" و"الظلم" و"إهدار الكرامة". يقول نزار (27 سنة، عامل يومي وينشط في مجموعة سلفية) "سبب الفساد في المجتمع ناتج عن عدم تطبيق الشريعة والعودة إلى الدين لو نطبق ذلك ونحكم شرع الله سينتهي الظلم والفساد والسرقة وكل شيء غير سليم...أنا شخصيا أجاهد مع الإخوة من أجل تحقيق هذا...إننا نجاهد عبر النصيحة والموعظة وتذكير الناس بضرورة الالتزام بشرع الله...لقد قمنا بمهادية الكثير من شبان الحي ومن شبان أحياء أخرى أيضا عبر إرجاعهم إلى طريق الله بدل الفساد الذين كانوا يعيشون فيه...أنا شخصيا كنت مثلهم...كنت

255Olfá Lamloum, " la politique à la marge de l'Etat et des institutions " in Olfá Lamloum et Mohamed Ali Ben Zina, op. cit. p. 115.

أعيش حياة المتعة والفساد والآن لقد هداني الله صرت أصلي لم أنقطع عن الصلاة يوماً واحداً أحظى باحترام كبير من الإخوة ومن أبناء الحي".

لكن ما يجب الإشارة إليه بالمقابل أن هذا التدين الذي يتجه إليه بعض الشباب العاطلين ليس بمعزل عن ثقافة شبابية تستحيل في خضم "القلق" و"التوتر" و"الشعور بعدم الأمان" إزاء المستقبل إلى قضية هوية ذاتية، تبحث عن معانيها بصفة فردية، والمقصود بالهوية الفردية كما يحددها Manuel Castels "نتاج عمل هوياتي يستند إلى خاصيتين هما: إعطاء معنى للأنا والقدرة التعبيرية عنها عبر مختلف الأفعال والسلوكيات التي تتجلى في علامات هوية صريحة"<sup>256</sup>، وعلى هذا الأساس فالتدين لدى هؤلاء الشباب "المحبتين" هو سلوك ومسألة شخصية تتقاطع أحياناً مع مقولات الإسلامية الراديكالية الاحتجاجية، كما تبدو الرغبة الملحة في تحقيق الاعتراف الاجتماعي والخروج من حالة عدم الاعترافية الاجتماعية التي تعيشها بعض الفئات الشبابية والتي تعد بمثابة الوجود الممحي، أحد الدوافع إلى استثمار الراديكالية العنيفة كواجهة رمزية وكإطار احتجاجي.

كذلك فهذا الميل إلى تجسيد الهوية الذاتية بل والجماعية أحياناً من خلال الديني، هو راجع أيضاً إلى غياب الأطر المؤسساتية التي تتكفل بتطلعات الشباب العاطلين ومتساكني الأحياء الفقيرة من خلال مساعدتهم على إعادة الاعتبار للذات عبر بناء مشروع حياتي، وتشكيل هوية مشروع حيث يغيب داخل حي العقارية التآطير الجمعياتي والحزبي، وتغيب أيضاً كل أشكال التدخل الاجتماعي بقرب هؤلاء العاطلين المحفوفين بالمخاطر ( لمخدرات، العنف الموجه نحو الذات... الخ)، كما أن حضور الدولة هو في الغالب حضور أمني وحضور ديني أحياناً عبر تكفلها وترخيصها لبناء المساجد، مقابل غيابها على المستوى الثقافي والاجتماعي. وقد أدى هذا "الغياب" للدولة الاجتماعية إلى تشكل ما يمكن تسميته بالفجوات الحضرية، لهذا فقد تبين لنا من خلال المعايير الميدانية أنه في ظل الغياب المزدوج للدولة والمجتمع المدني يعم "اللاشكلي" و"المرئي" على جميع المستويات، من ذلك مثلاً حضور

---

256Manuel Castels, Le pouvoir de l'identité, (Paris: Fayard 1999), p. 116.

"الوعاض الدينين" في الهوامش الحضرية كجماعة الدعوة والتبليغ وجماعة السلفية العلمية والجهادية، حيث يتجه هؤلاء الفاعلون اللا شكليون من خلال خطاب ديني مغرق في التبسيط إلى فئات شبابية محبطة تعاني "الفراغ" وتفتقد إلى موجهات هوياتية ولديها "القابلية النفسية" للتماهي مع خطاب الوعاظ الحضريين الجدد.

### خاتمة

وفقا لما ذكر يبدو أن انخراط الشباب في الحركات الراديكالية العنفية مرده تهاوي سرديات عدة على المستوى المحلي لعل أهمها "الدولة الراعية" التي طالما دعمت شبكة الأمان الفردي ومكنت الفئات الشبابية من موجهات هوياتية مرتبطة أساسا بالتشغيل والتموقع الاقتصادي والاجتماعي في حين يسود منذ ثمانينيات القرن الفائت بفعل سياسة السوق حالة من اللايقين والخوف إزاء المستقبل يدعمه تهاوي المؤسسات التقليدية، إذا فالراديكالية تجد جذورها في خيارات وسياسات محلية تتفاعل مع السياسات الإقليمية المعولمة لتغذي جذوة الراديكالية لدى عدد كبير من الشباب في المنطقة العربية.



## كيف تؤدي السياسات المحلية لالتحاق الشباب بجماعات العنف

سارة سوجار

أصبح العالم المعاصر يعيش مؤخرا على وقع ارتفاع أحداث العنف المرتبطة بالتطرف -على اختلاف أشكاله وأنواعه- متجاوزا الحدود الجغرافية والتقسيمات البنينة التقليدية، وحاملا عنوانا عريضا "موت الإنسانية في ربوع العالم".

"في افتتاح مؤتمر الشبكة الدولية للحقوق والتنمية النروجية، أورد مديرها بعض الحقائق الصادمة بصدد الإرهاب الذي بات يشكل تهديدا للعالم بأسره، إذ قال: قبل خمس سنوات، كان ضحايا الإرهاب ينحسرون في ثماني دول، أما اليوم فقد أصبح الضحايا يتوزعون على 151 دولة، ويوجد 1812 منظمة مدرجة على قوائم الإرهاب، يعمل تحت رايته أكثر من 13 مليون شخص، ويتأثر بأفكارها ما يقارب الـ80 مليونا. قبل عشر سنوات، كانت مساحة أماكن سيطرة الإرهابيين لا تتعدى الـ30 ألف كلم<sup>2</sup>، وقد باتوا يسيطرون بالكامل على أكثر من 12 مليون كلم<sup>2</sup>، أي ما يقارب عشر اليابسة. أما خسائر الإرهاب الاقتصادية فتفوق الخمسة تريليونات دولار".

على اختلاف الأسباب والمسببات إلا أن النظام العالمي المهيمن والأنظمة المطبقة لسياساته يتحملون المسؤولية الأولى في أزمات التطرف -الديني بالخصوص- والتي ما هي إلا واجهة لتسليع العلاقات الإنسانية وتحويلها إلى أرصدة مالية بقتل روح الإنسان مقابل مراكمة الثروة، وعودة القيم الاستهلاكية التي أدت في المقابل إلى عودة العنف والتطرف، وتمكن الجماعات المسلحة من استقطاب الشباب من جميع أنحاء المعمورة دونما تمييز بين الشرق والغرب، وعلى اختلاف البنيات الثقافية والدينية لشعوب المعمورة، ما يطرح تساؤلات حقيقية عن الأسباب الخفية وراء عودة العنف والتطرف.

لسنا هنا في صدد محاولة الإجابة عن هذا السؤال بقدر محاولة تقديم تصور للأسباب التي تدفع شباب المنطقة العربية -بالخصوص- إلى الارتقاء في أحضان التنظيمات المسلحة، والبحث عن الموت عوض عن البحث عن الحياة، خصوصا بعد مآلات الحراك الاجتماعي التي أظهر فشل السياسات المحلية لهذه البلدان في استيعاب حاجيات الشباب وتطويرها لتتحول الطاقات المكبوتة إلى طاقات في خدمة العنف، ولعل أبرز أوجه السياسات المحلية المسؤولة عن التطرف والعنف الديني:

### 1. سياسة ثقافية تشجع التمييز والعنف

لقد اتجهت الأنظمة العربية إلى تبني أنظمة تعليمية مبنية على التلقين بدل التفاعل، وعلى قبول اليقينيّات دون نقد، وتكريس العداء لكل مختلف في الانتماء الديني أو الهوياتي -بالمفهوم الضيق للهوية- الذي يضيق شيئا فشيئا ليصبح الأنا عدواً ونقيضاً للأخر، هذا الآخر الذي يمكن أن يكون آخراً في الدين أو الوطن أو اللون أو الجنس... الخ، فتحل الكراهية عوض الأئسنة.

وقد تضافر هذا مع تربية أسرية قائمة على القبولية والتنميط ضمن أطر جاهزة، ترسخ ثقافة السلطوية وتكبت وتقمع قدرات الطفل محولة إياه إلى آلة منتجة للكبت الاجتماعي، مع غياب الإحساس بالانتماء الوجداني للوطن وللإنسانية ككل، بسبب التمايزات التي تصنعها العولمة خاصة في شقها الاستهلاكي، ليعوضها الانتماء الديني أو الاثني.

كما ساهم التحكم في المجال الديني من طرف الأنظمة، وقمع الاجتهاد داخله، إنتاج ثقافة متعصبة إما موالية لتلك الأنظمة تبرر بها شرعية وجودها، أو رافضة لمفهومها بسبب رفضها للحكم، فأغلق باب الاجتهادات وملاّت أجوبة القنوات الفضائية والمؤسسات المتطرفة عقول المواطنين الناتجة عن احتكار المعلومة وقمع الاجتهاد الفكري.

ويلخص المفكر المصري فؤاد زكريا (1927-2010) في كتابه "الصحة الإسلامية في ميزان العقل" (1987) الروابط بين الاستبداد والتطرف قائلا: "لو شئت أن أخلص العلاقة بين الفكر الديني المتطرف من جهة وبين الديمقراطية

والاستبداد السياسي من جهة أخرى، لقلت إن الديمقراطية لا تحارب هذا الفكر المتطرف، وإنما تزيل أسباب وجوده، فالتطرف الديني لا يضطهد في النظام الديمقراطي. بل إنه، ببساطة، لا يجد التربة الصالحة لظهوره. أما الاستبداد السياسي فإنه يعطي التطرف كل مقومات وجوده، ويهيئ له المناخ الذي يسمح له بالازدهار، لكنه سرعان ما يقمعه بعنف إذا تجاوز حدودا معينة، وهو لا بد أن يتجاوز هذه الحدود، لأن التطرف لا يمكن حصره أو رسم "خط أحمر" لا يصح له أن يتعداه. وهكذا فإن الاستبداد يدخل مع التطرف في علاقة شديدة التعقيد: إذ إنه ينفعه ويضره في آن معا، ويعيشه ثم يخنقه في حركة جدلية مأسوية لا مفر منها. ومع ذلك، فإنك لو سألت التطرف الديني: أيهما عدوك الأول: الحاكم المستبد الذي يفتح لك الأبواب ثم يقمعه، أو الحاكم الديمقراطي الذي لا يضطهدك، ولكنه لا يعطيك فرصة الظهور، كان جوابه، الذي أثبتته أحداث التاريخ، هو أن الأخير هو العدو الحقيقي".

كل هذا أدى إلى تطور حاضنة فكرية وثقافية تسود فيها عقول تقبل الجاهز واللامعقول وتكرس أرضية خصبة لتقبل التطرف والعنف والتمييز وترفض كل قيم المساواة والمواطنة والاختلاف والأنسنة وتلجأ إلى التعبير عن العنف الممارس ضدها بعنف مضاد.

## 2. ابعاد الشباب عن صناعة القرارات السياسية في مجتمعاتها

"إن واقع الشباب العربي سياسيا شبه معدوم إذا صح التعبير لان هذا القطاع المهم من المجتمع مغيب عن المشاركة السياسية إما بقرار رسمي من الحكام أو من الشباب أنفسهم، وفي بعض الحالات قد تعتمد الأجهزة إلى تقويض حركتهم وتمنعهم من القيام بواجباتهم تجاه مجتمعاتهم".<sup>257</sup>

أبان الحراك الاجتماعي الذي عرفته منطقتنا عن مفارقة صارخة بين إرادة الشباب في التغيير، وقدرتهم على زعزعة موازين القوى، وبين رفضهم لكل أنواع

<sup>257</sup> د. مصطفى عبد القادر الشباب، بين الطموح الإنتاجي والسلوك الاستهلاكي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2004، بيروت، لبنان

المشاركة السياسية الكلاسيكية والتعبيرات التقليدية من مؤسسات حزبية، سياسية معارضة أو رسمية. كما تم دحض كل الأطروحات المؤيدة لعزوف الشباب عن السياسة بانخراط هذه الفئة في كل المعارك الديمقراطية والتعبئة لمشروعاتها عبر تطوير وسائلها الخاصة والاستفادة من التطور التكنولوجي بدل الانضمام إلى التعبيرات التقليدية.

بالمقابل ظهر جليا أن إشراك الشباب لم يكن إلا موضة للمزايدة بالأعداد المشاركة دون إعطائها المكانة الحقيقية في صناعة القرارات السياسية التي تمس حياة الشعوب والمرتبطة بالمشاغل الحياتية واليومية، فتم اقصاؤهم من التنظيمات والاطارات التي تشكل حاضنة لتطوير ملكات الاختلاف والنقاش، وتهميش كل مطالبهم وحاجياتهم الأساسية.

مما أدى إلى تشجيعهم على الخروج إلى الهامش بسبب الاغتراب الذي يعانون منه والذي يتحول فيما بعد إلى نزعة عدوانية في الانتقام وفي البحث عن موقع اجتماعي بالعنف بعدما فشلت كل الوسائل السلمية، ما يلتقي مع خطابات الجماعات العنيفة والقائمة على المظلومية ومحاربة الفساد والظلم، فتخلق أمل تحويل الشباب من حالة المفعولية إلى حالة الفاعلية، إنه بصيغة أخرى البحث عن المعنى والموقع والوجود.

ان إنتاج سياسات عمومية خاصة بالشباب، تجيب عن حاجياتهم وتشجع مشاركتهم في تقرير مصائرهم داخل المجتمعات التي ينتمون إليها يعتبر أول حصن منيع أمام كل محاولات البحث عن الذات في ممارسات العنف والتطرف.

### 3. اقتصاد تبعي يكرس التهميش والظلم

لقد كان من تبعات النظام الاقتصادي المهيمن، الحد من دور الاقتصاديات الوطنية، ما قلص الفرص الاقتصادية بما فيها فرص الشغل والمساهمة في الانتاج، لينعكس الوضع على النظم الاجتماعية التي أصبحت متميزة بالهشاشة والضعف، وتوسع الهوة بين الطبقات وغياب العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروات وللخدمات الأساسية والبنيات التحتية، التي تضمن الحد اللازم من الكرامة الإنسانية،

ما أدى إلى سيادة حالة من الإحباط الفردي والسخط الجماعي وقد زاد في تغذيتها صعود النمط الاستهلاكي باعتباره النمط الأمثل.

"تشير التقديرات إلى وصول معدلات البطالة في الدول العربية إلى 16 بالمئة خلال العام الماضي وفقا لتصريحات، أحمد لقمان المدير العام لمنظمة العمل العربية".  
"يقول صندوق النقد العربي في أحدث تقاريره إن دول المنطقة العربية تواجه عددا من التحديات الاقتصادية، وعلى رأسها انخفاض وتيرة النمو دون المستويات التي تمكنها من تحقيق إنجاز ملموس على صعيد خفض معدلات البطالة التي تمثل أهم التحديات الاقتصادية التي تواجه الدول العربية".

"كل ارتفاع في معدل البطالة بنسبة 1 بالمئة سنويا تنجم عنه خسارة في الناتج الإجمالي المحلي العربي بمعدل 2.5 بالمئة، أي نحو 115 مليار دولار، وهو ما يعني ارتفاع المعدل السنوي للبطالة إلى 1.5 ويرفع قيمة الخسائر السنوية إلى أكثر من 170 مليار دولار، وفق تقديرات منظمة العمل العربية؛ وهذا المبلغ يمكن أن يوفر نحو 9 ملايين فرصة عمل وبالتالي تخفيض معدلات البطالة في الوطن العربي إلى ربع حجمها الحالي".<sup>258</sup>

تحرير السوق، عقد اتفاقيات تجارية غير عادلة، والسماح باستغلال الثروات، تعتبر أهم سمات الأنظمة الاقتصادية العربية: "النظام الاقتصادي المتبع في المغرب اقتصاد ريعي يشجع الفساد وتنمية الثروة لدى فئة دون أخرى، في الأردن خفضت الضرائب على البنوك والمؤسسات من 50 إلى 30 في المئة، فيما رفعت على المواطنين من 28 إلى 30 في المئة، في فلسطين تصل قيمة الضريبة على القيمة المضافة المقسمة إلى 3 شطور إلى ما بين 15 و30 في المئة، وهذه ضريبة استهلاكية مرهقة".

كلها اقتصادات تركز الإقصاء الاقتصادي للشباب، ولا توفر لهم أدنى ظروف العيش الكريم، بسبب تنامي الفقر، وعدم الاستفادة من الثروات، واستمرار المعاناة اليومية لتلبية أبسط ظروف الحياة.

<sup>258</sup> بطالة الشباب أم الأزمات في المنطقة العربية، موقع العرب، 2 مايو/آيار 2015،

<http://goo.gl/Wobhep>

لقد أسهم هذا الوضع في خلق حراك قوي رافض لكل نتائج هذه السياسات وانعكاساتها، ومطالباً بالحريات والعدالة الاجتماعية والديمقراطية، إلا أن القمع الذي قوبلت به والعنف الذي مارسته بعض الدول ضد المدنيين ولد احساساً بلا جدوى النضال السلمي ليتحول إلى حقد يتبنى خيار العنف خاصة بعدما وعى الشباب بقدراته على الإنتاج والتأثير وبدا له واضحاً حجم الاستبداد والظلم المسلطين عليها.

إن استمرار تبني الأنظمة الحاكمة لسياسات اقتصادية وثقافية تابعة تغذي حالة الاحباط والعنف وتغلق كل أبواب النضال السلمي وتقتل كل إمكانيات انبثاق وعي إنساني قائم على تجاوز النظرات الضيقة للهوية واستمرار مظاهر الفقر، الأمية، الحرمان والتهميش وغياب العدالة الاجتماعية، أدت، وتؤدي، وستؤدي، إلى تحول كل الطاقات المكبوتة والمقموعة إلى طاقات عنيفة، تتمظهر على مستوى العنف المرتبط بالتطرف الديني، وأيضاً على مستوى العنف المرتبط بالجريمة، والذي أصبح خطره لا يقل خطراً عن خطر التطرف الديني، وخاصة مع إمكانيات المنطقة من العنصر البشري الشاب ما يجعلها أمام قبلة موقوتة انفجرت بعض من أجزائها وقد تكون الكارثة بانفجارها ككل.

وهنا نتساءل متى تستوعب السياسات المحلية لبلدان المنطقة العربية حاجتها للتحرر والكرامة والمساواة وتعرف أن الديمقراطية الحقيقية أول مداخل القضاء على التطرف الديني أو الإجرامي.

## المحتويات

5	تعريف بالباحثين
11	فصل تمهيدي
13	تحولات جماعات العنف حدود المواجهة الفكرية - الدينية
25	الباب الأول: الشباب الأوروبي وحركات العنف الراديكالية
27	الأجيال الجديدة في أوروبا من أصول عربية وأزمة الاندماج (النموذج الفرنسي)
37	لماذا ينضم الشباب من الجيل الثاني في أوروبا لجماعات العنف الراديكالية؟
47	دوافع الشباب الأوروبيين للانضمام للجماعات المتطرفة: داعش مثالا
59	لماذا ينضم الشباب الأوروبيون للجماعات الإسلامية المتطرفة: الأسباب والمفاهيم الخاطئة
67	الباب الثاني: الشباب من الدول العربية وحركات العنف الراديكالية
69	لماذا ينضم شباب الدول العربية المستقرة للجماعات الراديكالية المسلحة؟
75	لماذا لم تستطع الديمقراطية أن تمنع التطرف في تونس؟
83	اتجاه الشباب للتطرف في دول الربيع العربي: تونس مثالا
91	لماذا ينضم الشباب من دول الربيع العربي للجماعات الراديكالية المسلحة؟
99	الشباب العربي والحركات الراديكالية ملاحظات حول الحضارة والسلوك والعنف
109	الباب الثالث: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية
111	أسباب اجتماعية واقتصادية لتحول الشباب من البدائل المدنية إلى جماعات العنف المسلح
121	دعوة إلى قراءة سياسية: الشباب المتطرف بين "صليل الصوارم" والحقوق المسلوقة
129	انضمام الشباب للجماعات المتطرفة
137	الباب الرابع: الأبعاد السياسية والإيديولوجية لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية

- 139 لماذا ينضم الشباب للجماعات الراديكالية المسلحة لأسباب تتعلق  
بالسياسة أو الإيديولوجيا؟
- 155 الحشد السلفي الجهادي في الصراعات المسلحة: وضع الأسس المنطقية  
الإيديولوجية والسياسية في سياقات متعددة
- 161 الإسلام الراديكالي في السياق
- 167 الباب الخامس: الأبعاد الثقافية والهوياتية لانضمام الشباب لحركات  
العنف الراديكالية
- 169 تشكل هوية الشاب السلفي بين الفردانية والجماعية
- 179 أسباب التحاق الشباب بجماعات العنف الراديكالية "داعش نموذجا"  
من منظور الثقافة والهوية
- 189 لماذا يسافر الشباب للقتال في مناطق النزاع من منظور الثقافة  
والهوية؟ (بالتطبيق على السلفية الوهابية)
- 197 أسباب إلحاق الشباب بجماعات العنف من منظور الثقافة والهوية  
لماذا يلتحقن بـ"داعش"؟ "دابق" تخبّر قصة سياق ملعن
- 205 الباب السادس: الأبعاد الجيوستراتيجية لانضمام الشباب لحركات العنف  
الراديكالية
- 207 دور السياسات الخارجية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة  
دور الظروف المعيشية في انضمام الشباب للجماعات المتطرفة:
- 213 الراديكالية في سياق إقليمي
- 221 أسباب انضمام الشباب للحركات الراديكالية الإسلامية المسلحة
- 233 الأبعاد المحلية لانضمام الشباب لحركات العنف الراديكالية
- 241 السياسات المحلية وتغذية الراديكالية لدى الفئات الشبابية
- 249 كيف تؤدي السياسات المحلية للتحاق الشباب بجماعات العنف